مقالات الرافعي المجهولة
(في اللغة والأدب)

وليد عبدالماجد كساب



مقالات الرافعي المجهولة

(في اللغة والأدب)



جمعها وقدم لها

وليد عبدالماجد كساب







رئيس التحرير

محمد بن عبدالله السيف

الرياض - طريق صلاح الدين الأيوبي (الستين) - شارع المنفلوطي
هاتف: 4767345 - 4777943 فاكس: 4766464
ص.ب 5973 الرياض 11432
المملكة العربية السعودية

www.arabicmagazine.com
info@arabicmagazine.com





ح المجلة العربية، 1438هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
كساب، وليد عبدالماجد
مقالات الرافعي المجهولة (في اللغة والأدب). / وليد عبدالماجد كساب.- الرياض، 1437هـ
164ص؛ 14 × 21سم.- (كتاب المجلة العربية؛ 239)
ردمك: 6-01-8204-603-978
1 - الرافعي، مصطفى صادق، ت 1356هـ 2 - المقالات العربية - مصر أ.العنوان
ديوي 814.962 1438 / 139

رقم الإيداع: 139 / 1438
ردمك: 6-01-8204-603-978

المحتويات

الناشيء

(إنَّ (أُسلُوبَه) سَليمٌ من الشَّوائب الأَعْجميَّة التي تَقَعُ لنا في كتاباتنا نحنُ العَرَبَ المتأخِّرين، فكأنِّي وأنَا أَقْرَأُ له: أَقْرَأُ من قلَم المُبَرِّد)

أحمد لطفي السيد

(إنَّه لَيَتَّفقُ لهَذا الكَاتب من أَسَاليب البَيَان ما لا يَتَّفِقُ مِثْلُهُ لِكَاتِبٍ مِنْ كُتَّابِ العَرَبِيَّةِ في صَدْرِ أيَّامِها)

عباس محمود العقاد

(وكذلكَ تَظْلِمُ الأستاذَ الرَّافعيَّ إنْ قُلْتَ إنَّ حَظَّهُ مِنْ العلْم باللغَةِ العَرَبيَّة وآدابهَا وبدَقائقهَا وأَسْرَارهَا قَليلٌ؛ وإنَّما الحَقُّ أَنَّ الذينَ يَعْلَمُونَ هذه اللُّغَةَ كما يعلَمُهَا الرافعيُّ قَليلُونَ جِدًّا وأحسبُهُم يُحصَوْن أيضاً)

طه حسين

(كان رأيي فيه دائماً أنه أعلم أهل العربية وأوسع أدبائها اطلاعاً على علوم الدين... وأحسبني لا أبالغُ حين أقولُ: إن له بين آثاره ما لا يرقى إليه قلمٌ قديمٌ أو حديثٌ)

إبراهيم عبدالقادر المازني



صورة نادرة للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

تمهيد

مصطفى صادق الرافعي: رؤية مغايرة

ارتباطي بأدب مصطفى صادق الرافعي قديمٌ يضرب بجذوره الممتدة إلى أيام الطَّلب عندما كنت في بواكير المرحلة الثانوية، وقد مثَّل لي أدب الرجل في ذلك الوقت صدمة فكرية لا أستطيع وصفها؛ إذ انتقل بي من القراءة السريعة العابرة إلى نوع جديد من القراءة المتأنية؛ فكنتُ أُعيد قراءة العبارة الواحدة أكثر من مرة لأفهم مرادها وأستشعر حلاوتها، ووجدتني أُمسكُ بالقلم –على غير عادتي- لأخُطَّ خطوطاً واضحةً تحت هذه العبارات الوامضة.

وإنْ أَنس لا أنسَ يوم أن كنتُ أتجولُ في شوارع مدينة طنطا الهادئة التي عاش فيها الرافعي حيناً من الدهر؛ فإذا بي إزاء محل لبيع الأدوات المدرسية وبعض الكتب القديمة أسفل بناية موغلة في القِدَم، أو بتعبير أدق (آيلة للسقوط)؛ فدلفت إليها وسألت صاحبها –وكان قديماً هو الآخر- عن بعض كتب الرافعي؛ فابتسم في نشوة حانية وقال: ليس عندي من كتبه شيء، لكن لديَّ شيئاً مهماً يخُصُّه ربما تحبُّه؛ تعجبت وسألته في دهشة؛ فأشار إلى البناية ذاتها قائلاً: هنا، في هذا البيت كان يعيش الأستاذ الرافعي!

لا أدري كم مرة قصدت هذا البيت ووددتُ وُلُوجَه والتجول في ردهاته، لا لشيء إلا لأنه كان شاهدَ عدْلٍ على كثير من تفاصيل حياة الرافعي الغائبة، لقد رآه في شِبعه وجوعه، في فرحه وحزنه، في حلمه وغضبه؛ لكن البيت كان موصداً تماماً، ولم يكن فيه ما ينبض بالحياة إلا ذلك الشيخ الكبير الذي ينتظر مصيره أسفل هذه البناية المتداعية!

ظللت حيناً من الدهر أطالعُ ما بين يديَّ من أدب الأستاذ مثل كتابه الأشهر

(وحي القلم)، و(إعجاز القرآن) و(تحت راية القرآن) وغيرها من مؤلفاته المعروفة، ولم أكن أتصور أن تكون للرجل أعمال ضخمة مجهولة لا يعرف عنها القراء شيئاً البتة؛ لكن عندما طالعتُ كتاب (حياة الرافعي) لتلميذه الأستاذ محمد سعيد العريان، فَجَأني ما ورد في طيات كتابه عن مقالات بعينها، كحديثه عن مقالات (نقد ديوان وحي الأربعين) للأستاذ العقاد، ومقال (طبقات الشعراء) ومقالات أخرى في نقد المجمع اللغوي بالقاهرة، وغيرها من المقالات المهمة التي غيبتها يد الزمن.

ليس هذا فحسب؛ بل نصَّ العريان صراحةً على وجود أعمال لم تنشر في كتب الرافعي، منها ما سبق نشره في الدوريات، ومنها المخطوط الذي لم يُنشر من الأصل، ولعل ذلك ما جعله يختم كتابه بقوله: (ليس يكفي أن يكون كلّ وفائنا للرافعي حفلة لتأبينه، وبضع كلمات لرثائه؛ ولكن الوفاء حق الوفاء أن نعمل على تخليد ذكراه، وتخليد أدبه، وتجديد دعوته، وإبقاء ذكره، ونشر رسالته، فليكن هذا الكتاب الذي أنشأته عن حياة الرافعي أولاً له ما بعده؛ لنفكر في الرسائل النافعة التي تجدي على الأدب أكثر مما تجدي رسائل التأبين وكلمات الترحُّم والاسترجاع)، هزتني كلماته هذه، كما هزتني كلمات الأستاذ محمود شاكر: (وغداً يجد الناس بين أيديهم كل ما كتبه حاضراً لم يضع منه شيء، وكذلك يجد كل من يريد سبيله إلى معرفة الرافعي من قريب وتقديره والحكم إمَّا له وإمَّا عليه). وسألت نفسي حينها: هل من الممكن أن أبحث عن مجهولات الرجل وسط هذا الركام الهائل المُهمَل؟! كانت الإجابة التي تلقَّيتُها: مستحيلٌ!

ورغم أن اختلاف النهار والليل يُنسي؛ فإن فكرة جمع هذه المجهولات لم تغب عني؛ وظلت تراود مخيلتي من آنٍ لآخر، وحدث أن كتبتُ مقالاً بالتزامن مع

ذكرى وفاة الرافعي بصحيفة الأهرام القاهرية بتاريخ 15 مايو 2008م، فتلقيتُ عندها دعوة من أسرته لحضور احتفالية بأحد المنتديات الثقافية الضخمة بالقاهرة يحضرها بعض أساطين الأدب والثقافة، وكان ما كان مما يضيق المقام عن ذكره، لكني خرجت في هذه الليلة أكثر تصميماً على جمع مجهولات الرجل في مواجهة الحملة الشرسة التي لا تفتر تجاه أدبه ومدرسته وامتداداته الفكرية.

أشواك في الطريق

انتويتُ جمع تراث الرافعي المجهول واهتديتُ إلى تتبع الكتب التي أرَّخت للرافعي أو لفترة من حياته أو لمعركة من معاركه؛ فتتبعت رسائله إلى محمود أبي رية، وما كتبه العريان في (حياة الرافعي)، والكاتب العراقي الدكتور مصطفى البدري في سفره الضخم (الإمام مصطفى صادق الرافعي)، والأستاذ أنور الجندي في كتابيه (المعارك الأدبية) و(صفحات مجهولة من الأدب العربي المعاصر)؛ فأمسكت بعض خيوط توصَّلتُ من خلالها إلى عناوين عدد من المقالات التي وردت عَرَضاً في سياق الحديث.

لكن ثمَّة صعوبات كثيرة واجهتني أثناء التنقيب في صحافة القرن الماضي وتراثه عن كتابات الرافعي المجهولة؛ وذلك بسبب من اتساع تراث الرجل وتناثره بشكل يدع الباحث حيران تتقاذفه الأوهام، حتى لقد أحصيتُ نحو خمسين صحيفة ومجلة كتب لها الرافعي، منها مطبوعات لم أستدل ولو على عدد واحد منها لنُدرتها مثل مجلة (المضمار) الرياضية، وقد ألحقتُ بهذا الكتاب بياناً بها إتماماً للفائدة وإعانةً لمن رغب من الباحثين في سلوك هذه السبيل الوعرة.

كان الحصـول على بعض الدوريات -التي لم تحـظ بالاهتمام الكافي رغم نفاسة ما تحويه من تراث- ضرباً من المستحيل؛ فمثلا مكثتُ سنوات طويلة أبحـث عـن مقـال الطبقات الـذي نشره الرافعـي مطلع القـرن الماضي في (مجلـة الثريا) دون جدوى، حتى إنَّ أعداد المجلة كانت متاحة جميعها بدار الكتب المصرية إلا العدد الذي أبحثُ عنه، وقد ظللت أُفتِّش عنه داخل مصر وخارجهـا حتـى أكرمني الله تعالـى بأخي أحمد عبد الرحيـم الذي وصَلَني بالصديق الأديب السعودي حامد المالكي؛ فأهداني المقال مشفوعاً بمقالات أخرى نفيسة؛ فلهما الشكر الجزيل.

وصعَّـب من مهمتـي أنَّ أكثر الصحـف والمجلات القديمـة لم تتم فهرستها بشـكل يجعلها متاحـةً أمـام الباحثـين، إذْ لم أُصادف كشافـات إلا لبعض المجلات الكـبرى كـ(الرسالـة) و(المقتطف)، و(الهـلال) وهناك مجلاتٌ محـدودة الأعـداد مثـل مجلتـي (الزهـور) و(أبولـو) كان البحـث فيهـا أيسـر بطبيعـة الحال؛ لكن ما عسـاي أن أفعل في صحيفة مثـل (المؤيد) أو (السياسة) و(كوكب الشرق) وغيرها من الصحف التي لم تحظ بالفهرسة وللرجل فيها عدد غير قليل من المقالات؟!

كان التعامل مع ما عثرتُ عليه صعباً ومُضنياً في الوقت ذاته، فقد كنتُ أجد المقـال فأنقلب إلى الناسخ مسـروراً ليكتُبَه، وسرعان ما أُصدم عندما أُعيد قراءتـه فأكتشـف أن صاحبنا قد أعاد نشره في كتاب لـه بعد تغيير العنوان فقط كما في مقاله (في وحي الروح.. التراب المتكلم أمام التراب الصامت) الـذي نُشر في المقتطف وأعـاد نشره في (كتاب المساكـين)، وربما دَمَجَه في مقـال آخر كمـا في مقاله المعنون بـ (لماذا أستمسـك بالطربوش؟!) المنشور بمجلـة الهلال حيث أعاد نشـره في وحي القلم وسمَّاه) (سـر القبعة)؛ لذا

أصبحـتُ أكثر حرصاً على تحرِّي الدِّقَّة والبحث بتؤدة وتريُّث حتى لا أتورَّط مـن جديد وتذهب جهـودي سُدىً، ولعلَّ في هذه الأمثلة التـي أوردناها دليلٌ علـى تهافت الرأي القائـل إنَّ العريان قد تصرَّف في مقـالات الرافعي وهو الأمر الذي سبَّب القطيعة بينهما، والأمثلة في هذا الشأن أكثر من أن تُذكر.

أمـا عن مستوى جـودة الدوريات محل البحـث؛ فالأصل هو عـدم الوضوح لإيغالهـا في القِدَم، وقد عانيتُ كثـيراً من طمس بعض الكلمات وإشكالها في الأصل، ولعـل ذلك راجع في أساسه إلى مستوى الدوريات العتيقات البائسة الآخذة بالتلف بسبب من عقوقها والإساءة إليها من (أمة اقرأ)، ولكم كنتُ أتحسـر عند رؤية هذا الـتراث الذي تظاهر عليه الإهمـال والبلى؛ حتى إن الأوراق لتتكسَّر في هشاشةٍ مِن وَقْع الرطوبة الفتَّاكة!

تمنيتُ لو قدَّمت لي أسرة الرافعيِّ الدَّعم المعنوي اللازم وظاهرَتْني في هذه المهمـة التي استهدفتْ خدمـة أدب جدِّهم أبي السامـي.. وتعدَّدت زياراتي لهم وتوالت الاتصالات الهاتفية دون جدوى، وأذكر أنني قد وقفتُ منذ نحو سبع سنوات في بيت حفيد الرافعي على ملف مكتوب عليه (أسرار الإعجاز) وبداخله بعض الأوراق التي تسلَّل إليها البلى على غير استحياء، فتصفحتُها علـى عَجَلٍ؛ فإذا بها آياتٌ وخواطرُهُ عليهـا، وسعيتُ مراراً في التحصُّل على صورة من الكتاب لنشره حتى يفيد منه الناس لا سيما في ظل إلحاح كثير من عشَّاق أدب الرافعي الذين راسلوني من سوريا والمغرب والجزائر والسعودية واليمن وتركيا وغيرها من الأقطار يطلبون مني إخراج الكتاب؛ لكن ذلك لم يكن مجدياً مع أسرته التي لم أُرِدْ منها إلا المودةَ في القُربى!!

فلماذا غابت هذه الأعمال؟!

هناك اتجاهٌ يرى في نشر المجهولات تعدِّياً على حقوق صاحبها وإساءة إليه؛ ويتذرَّع أصحاب هذا الاتجاه بأن الكاتب لو أراد نشر هذه الأعمال وإذاعتها لفَعَل؛ لكنه أهملها لكونها بدائية ساذجة لم تعد تُعبِّر عن فكره وقلمه؛ وهذا كلام له وجهٌ من الصحة لا يُغفل؛ لكن ماذا نفعل إذا كان الكاتب نفسه قد أشار في غير موضع إلى افتقاده بعض المقالات التي ضاعت في دوَّامة السنين؟!

جَمَع الرافعي كثيراً من مقالاته وجعلها بين دفتين، كما الحال في كتابه (تحت راية القرآن) الذي سمَّاه (المعركة بين القديم والجديد)، وأصلُهُ مقالات كتبها في صحيفة (كوكب الشرق) وغيرها عام 1926م تقريباً، كما جمع مقالاته التي كتبها في مجلة (العصور) في نقد الشاعر عبدالله عفيفي والأستاذ عباس العقاد وضمَّنها كتاباً سمَّاه (على السَّفود)، ثم أصدر جزأين من كتابه الأكثر ذيوعاً (وحي القلم) وقضى نَحْبه قبل أن يُصدر الجزء الثالث؛ فتولَّى العريان هذا الأمر.

ليست وفاة الأستاذ هي السبب الأوحد لغياب هذه المقالات عن القارئ كل هذه السنوات؛ بل هناك سببان آخران -لا نستطيع أن نغفلهما- حالا دون نشر كثير مما كتبه:

الأول: أن الرافعي كان أحياناً يفقد مقالاته بعد نشرها، وقد سجَّل ذلك في عدد من الرسائل التي أرسلها إلى أبي رية، ففي رسالته رقم (112) المؤرخة في 25 أغسطس 1928م يقول: «وقد عجبت من أنك وجدت خمسين مقالة، وسأدُلُّك على كل مقالة تُنشر إن شاء الله لتكون (دفترخانة) رافعية

حتى يجيء الوقت»، وفي رسالته رقم (132) المؤرخة في 5 يناير 1930م يخاطبه قائلاً: «يا أبا رية.. إذا كانت عندك المقالة التي نشرتُها في الهلال عن الأخلاق الواجب أن تحتفظ بها المرأة الشرقية وما كُتب عن هذه المقالة في (منيرفا) فأرسل إليَّ ذلك... سيصدر الكتاب وليس عليه اسمي مراعاة للظروف الحكومية الحاضرة». وقد تتبعت كثيراً من المقالات التي أشار إليها الرافعي في هذه الرسائل وحصلت على بعضها بعد بحثٍ شاقٍ ومُضنٍ.

الثاني: تغيُّر الظروف السياسية وتعاقب الحكومات في ذلك الوقت، فكانت كلما تولت حكومةٌ زمام الأمور لعنت أختها، وفي بعض رسائله تلميح إلى هذا التضييق الذي كان يعانيه كغيره من الأدباء والمفكرين، من ذلك الرسالةُ المؤرخةُ في 18 يناير 1920م التي رد فيها على تساؤل (أبورية) واندهاشه من عدم رثاء الزعيم (محمد فريد)، يقول الرافعي: «أمَّا ما كنتَ كتبتَ لي عنه من رثاء الشهيد العظيم فريد بك؛ فأنت لا تعرف الظروف المحيطة التي جعلتني أرى السلامة في السكوت، واعلم أنني لو نظمتُ ذلك الرثاء كما يجب أن يُنظم، وفي المعاني التي تليق به؛ لرأيت في الصحف خبر نقلي إلى قنا أو ما دونها؛ فترك الشر ساكناً أجمل بي» إنه يرى السكوت أفضل في ذلك الحين، فهو الذي يضيق بالوظيفة وأعبائها، ويرى فيها مضيعة لوقته، وإهداراً لطاقته؛ يخشى أن يصيبه الجهر بآرائه السياسية بالنقل إلى منطقة نائية؛ فتذهب بما تبقى من راحته التي ظل ينشدها طيلة حياته؛ ولأن ترك الشر ساكناً – كما يرى- أجملُ به من الحديث في أمر قد يُكلِّفه الكثير، وأظن ذلك هو السبب نفسه الذي جعله لا يُعيد نشر مقاله في رثاء ابن عمه الأستاذ أمين الرافعي الذي توفي عام 1927م وكان على خلاف سياسي كبير مع سعد زغلول باشا والوفد، رغم أن هذا المقال من أجمل ما

كتب الرافعي، وفي رسالة -ورد ذكرها منذ قليل- أخبر أبا رية أنه سيصدر كتاباً دون توقيع نظراً للظروف السياسية وقتها.

قبل الانتهاء من إعداد هذه المقالات المجهولة؛ فكرتُ في تصديرها بدراسة علمية ضافية تتناول الكاتب والمقالات؛ غير أنِّي تراجعتُ وعَزَمتُ على تقديمها للقراء والباحثين بتصدير موجز بعيد عن الإسهاب؛ لأفتح المجال أمام الدراسات النقدية واللغوية الجادة؛ إذْ تُميط هذه المقالات الحُجُب عن جانب مطمور من جهود الرافعي في مجال اللغة والأدب، وهي جهود حقيقةٌ بالبحث والدراسة؛ بل لعلها تكون فرصة حتى يعيد الباحثون الذين تناولوا جانبي اللغة والنقد في أدب الرافعي النظر في ضوء هذه المقالات القديمة الجديدة، لكني سأكتفي من قراءة هذه المجهولات بالإشارة إلى عدة أمورٍ أراها حَرِيَّةً بالتأمل.

1 - من الشعر إلى النثر

لم يجد الرافعي نفسه في كتابة الشعر رغم جودة بضاعته منه وإصداره أكثر من ديوان في أوائل حياته، وهناك أبيات له صارت مضرب المثل في بابها؛ من ذلك قوله مُتغزِّلاً:

يا مَنْ على البُعْدِ يَنْسَانَا ونَذْكُرُهُ
لَسَوْفَ تَذْكُرُنَا يَوْماً ونَنْسَاكَا
إنَّ الظَّلامَ الذي يَجْلُوكَ يا قَمَرُ
له صَبَاحٌ مَتَى تُدْرِكْهُ أَخْفَاكَا

وبين يديَّ ديوانه (نسيمُ السَّحَر) وهو -فيما أعلم- ديوانٌ لم يعرف عنه تاريخ الأدب شيئاً يذكر، ولم يتناوله من أرخوا لحياة الرجل أو درسوا جانباً

من أدبه، يقول الرافعي في مقدمته: «وهنا أُثبتُ كلمة تُذكِّرني الأمر فيما بعد يوم يكونُ لهذا الديوان -إن شاء مَنْ وهَبَ- المنزلةُ الأولى بين أدباء العصر».

كانت الساحة ملأى بعدد من أعلام الشعراء، فقام بمحاولة طريفة لوضع نفسه على خريطة الشعر العربي وفي القلب منها مصر، ففي العام 1905م كانت مجلة (الثريا) لصاحبها إدوارد جدّي على موعد مع مقالٍ طويلٍ لكاتبٍ مجهولٍ -اكتفى بأن رمز إلى نفسه بنجمة (*)- قسَّم الكاتب شعراء عصره إلى طبقات ثلاث، وجعل في الأولى أربعة شعراء هم: الشاعر العراقي عبدالمحسن الكاظمي، ومحمود سامي البارودي، وحافظ إبراهيم، ثم وضع نفسه رابعاً، وضمت الطبقتان الأخريان أسماءً لامعة كإسماعيل صبري، وأحمد شوقي، وخليل مطران، ومحمد توفيق البكري، وشكيب أرسلان، ومصطفى لطفي المنفلوطي، وأحمد الكاشف، وأحمد محرم، ولم يحتج الشعراء والقراء إلى كثير عناء ليعرفوا أن كاتب المقال هو الرافعي رغم إمعانه في الإنكار، قبل أن يُقرَّ بذلك لاحقاً.

ومما غاب عن أعين النقاد والمشتغلين -أو غيبوه- أن الرافعي لم يكن مقلداً محضاً في شعره، بل نادى بالخروج على قيود الشعر المُكبِّلة، يقول الأستاذ رجاء النقاش: «ولست أشك في أن وقفة الرافعي ضد قيود الشعر التقليدية كانت أخطر وأول وقفة عرفها الأدب العربي في تاريخه الطويل، وأهمية هذه الوقفة أنها كانت حوالي سنة 1910، أي قبل ظهور معظم الدعوات الأدبية الأخرى التي دعت إلى تحرير الشعر العربي تحريراً جزئياً أو كلياً من القافية والوزن» يأس الرافعي من تحصيل إمارة الشعر وسط هذا الزَّخَم من الشعراء، وعندها لم يعد أمامه إلا أن يكتفي بكتابة المقال ويُبدع فيه؛ فتعددت سُهَم الرافعي وتشعَّبت مجالات إبداعه؛ فكتب الرسالة والمراثي،

كما كتب القصة وإن لم يتقيَّد فيها بقواعد السرد الحديث، وأسهب في الحديث عن ذلك في مقال كتبه تحت عنوان (فلسفة القصة ولماذا لا أكتب فيها).

كتب الرافعي المسرحية بالتزامن مع قرض الشعر في وقت مبكر من حياته، وكانت له سهمته النقدية من خلال عدد من المقالات النقدية التي لم يحظ أكثرها بالانتشار، وكذلك كان له جهده العلمي المنظم في كتابه (تاريخ آداب العرب) الذي أرَّخ فيه للأدب العربي بعيداً عن التقسيم المعتاد لعصوره التاريخية كما هو الحال عند التالين من مؤرِّخي الأدب العربي كالدكتور شوقي ضيف الذي اختار أن يؤرخ للأدب بعد تقسيم العصور التاريخية منذ العصر الجاهلي وصدر الإسلام ومروراً بالدولة الأموية والعباسية وهكذا؛ لكن الرافعي اختار أن يتناول قضايا الأدب الكبرى من جذورها ويدرس تطورها عبر العصور التاريخية المختلفة.

2 - الرافعي والمَلَكَة اللغوية

نشأ الرافعي نشأة دينية في بيت عُرف بالعلم، وكان أبوه قاضياً كبيراً يعرف للعلم حقه ولأهله فضلهم، فنشَّأه على حب القراءة والتعلم، كما ربَّاه تربيةً إيمانيةً أثَّرت في نفسه وحبَّبت إليه القرآن ولغته، ولنستأنس بالرافعي ليحدثنا عن طرف من تربية أبيه له؛ يقول: «كنتُ في العاشرة من سِنِّي، وقد جمعتُ القرآنَ كلَّه حفظاً، وجوَّدتُه بأحكام القراءة، ونحن يومئذ في مدينة (دَمَنهور) عاصمةِ البُحَيْرَة؛ وكان أبي -رحمه الله- كبيرَ القُضاة الشرعيينَ في هذا الإقليم، ومن عادته أنه كان يعتكف كل سنة في أحد المساجد عشرة الأيام الأخيرة من شهر رمضان؛ يدخل المسجد فلا يَبْرَحُهُ إلا ليلة عيد الفطرَ بعد انقضاء الصوم؛ فهناك يتأمل، ويتعبَّد، ويتَّصِل بمعناه الحق...

وذهبتُ ليلةً فَبتُّ عند أبي في المسجد؛ فلمَّا كنَّا في جَوْف الليل الأخير أيقَظني للسُّحور، ثُمَّ أمرني فتوضأتُ لصلاة الفجر، وأقبل هو على قراءته»

اكتسب الرافعي مَلَكَةً لغويةً متينةً بعد أن تفتَّحت عينُه على أمهات الكتب ينهل من مَعينها، وحفظ القرآن الكريم والأحاديث الشريفة في سن مبكرة، واتسعت مداركه شيئاً فشيئاً؛ إذْ كان يقرأ كل ما يجده من كتب، حتى إنه عندما سُئل في استفتاء مجلة (الهلال) عن أهم الكتب التي أفادته؛ قال: «في أيام التحصيل كنتُ أقرأ كلَّ ما أصابته يدي، وكنتُ أكثر الملاحظة وأُدقِّق فيها؛ فلا أعرف كتاباً أنا منه أكثر مما أنا من غيره؛ ولكن إن يكن؛ فلعلَّه كتابٌ في الحديث اسمه (الجامع الصغير)، كنت أَحضرُ به درس أبي -رحمه الله- ثمّ قرأتُه من بعد للسيّد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده»، وقد أشار في مقدمة ديوانه المجهول (نسيمُ السَّحَر) إلى أنه كان شيخ نفسه، يقول: «أما العلوم؛ فقد تناولتُ الأدبيات بنفسي، لم يُرشدني في ذلك أستاذ، ولا علَّمني إنسان، ومن آتاه الله من فضله استغنى عن المخلوقين... وما زلتُ أُنمي قواي العقلية بالحكمة وغيرها مما تحصد من زرعه ثمار الفضائل الإنسانية»، وقد قيل إنه استظهر كتاب (نهج البلاغة) في القطار أثناء ذهابه وإيابه بين طنطا وطلخا؛ فأفاد منه فوائد لغويةً وأسلوبيةً جمَّةً.

نلاحظ هنا أن كثيراً من مقالات الرافعي التي أوردناها في مجال اللغة جاءت في معرض الرَّدِّ والتصويب اللغوي؛ حتى إن المجمع اللغوي نفسه لم يسلم من استدراكاته؛ فقد كتب سلسلة مقالات في صحيفة (البلاغ) بدأها أول فبراير سنة 1934م بمقال عنوانه (أول الغَلَطِ من المجمع اللُّغوي) انتقد فيها المجمع بتوقيع (أديب صغير)؛ وليس باسمه الصريح، وأخذ عليهم بعض الكلمات والأساليب التي رآها غير صحيحة.

كان الرافعي ثبتاً في اللغة على علم كبير بها؛ وهو الأمر الذي شهد به أقرانه وخصومه التقليديون أنفسهم؛ فعندما قرَّظ الأستاذ أحمد لطفي السيد لكتاب (تاريخ آداب العرب) قال عن أسلوب الرافعي «إنَّه سليمٌ من الشوائب الأعجمية التي تقع لنا في كتاباتنا نحن العرب المتأخرين، فكأني وأنا أقرأ له؛ أقرأ من قلم المُبَرِّد».

ومن العجيب أن الأستاذ عباس محمود العقاد قال عنه بعد وفاته بنحو ثلاث سنين: «إن للرافعي أسلوباً جزلاً، وإنَّ له من بلاغة الإنشاء ما يَسْلُكُهُ في الطبقة الأولى من كُتّاب العربية المنشئين». وكان قد قال قبل أن يختلفا وتنشب بينهما المعارك: «إنه ليتفق لهذا الكاتب من أساليب البيان ما لا يتفق مثلُه لكاتبٍ من كُتَّاب العربية في صدر أيامها».

أما الدكتور طه حسين؛ فرغم خلافه القديم مع الرافعي فإنه أقرَّ في كتابه (حديث الأربعاء) بتمكُّنه اللغوي؛ يقول: «وكذلك تظلمُ الأستاذ الرافعي إن قلتَ إن حظه من العلم باللغة العربية وآدابها وبدقائقها وأسرارها قليل؛ وإنما الحق أن الذين يعلمون هذه اللغة كما يعلمها الرافعي قليلون جدًّا وأحسبهم يُحصون أيضاً».

ويُمعن الأستاذ زكي مبارك في مدح قدرات الرافعي اللغوية حيث يقول في معرض قدحه للأستاذ أحمد أمين: «آه ثم آه!! ما جزعتُ على وفاة الأستاذ مصطفى صادق الرافعي كما جزعتُ عليها اليوم! فلو كان الرافعي حياً ورأى أحمد أمين يقول في ماضي الأدب العربي ما يقول؛ لأصلاه نار العذاب وصيَّره أضحوكةً بين أهل الشرق والغرب».

وفي حديثه عن الرافعي نجد الأستاذ إبراهيم عبدالقادر المازني يقول في مقاله المعنون بـ(مصطفى صادق الرافعي فقيد الأدب الكلاسيكي): «كان

رأيـي فيه دائمـاً أنه أعلم أهـل العربية وأوسـع أدبائها اطلاعـاً على علوم الديـن... وأحسبنـي لا أبالغُ حين أقولُ: إنَّ له بين آثـاره ما لا يرقى إليه قلمٌ قديمٌ أو حديثٌ». هكذا كان بعض رموز الفكر والأدب يُقرّون بتمكُّن الرافعي اللغوي رغم الخلاف الشديد بينهم!!

3 - الرافعي والنقد الأدبي

لم يكن الرافعي غائباً عن ساحة النقد الأدبي كما يُتَصَوَّر؛ بل كانت له جهود مبكرة لا يمكن إغفالها بحال من الأحوال؛ نعم أغلب ما قدَّمه الرجل من نقدٍ كان في إطـار المعارك الأدبية الحامية وهو مـا جعله يختلط بغيره من النقد الشخصي الذي استهدف هدم الخصم ورميه بالنقائص، ولما كان الرافعي حديـد اللسان؛ فقد طغت هذه الحـدة فأصبحت هي السمة الأبرز في نقده، ومن ثم رآها الكثيرون خارجة عن إطار الموضوعية، وفي ذلك يقول العريان: «لقد كان ناقداً عنيفاً حديد اللسان، لا يعرف المداراة ولا يصطنع الأدب في نضـال خصومه، وكانت فيـه غيرة واعتداد بالنفـس؛ وكان فيه حرص على اللغة من جهة الحرص على الدين».

وحسب ما وصل إلينـا من مقالات؛ فقد بدأت جهود الرافعي النقدية مبكراً في عـام 1903م عندمـا صدَّر الجـزء الأول من ديوانه بمقدمـة تناول فيها الشعـر وفنونـه ومذاهبـه، ورغم أنه لم يُعـرِّف الشعر تعريفـاً محدداً؛ فقد ضمَّـن مقدمتـه رؤىً تجديديـة للشعر العربـي، وهي رؤى لا بـد من الوقوف أمامهـا مليَّاً حتى نـذُبَّ عن الرجل ما يُروَّج عنه مـن وقوعه أسيراً للقديم، ولعـل بعض الباحثين ينبري لدراسـة هذه الآراء التجديديـة التي نادى بها الرافعـي في مقدمتـه للديـوان وفي غيرها من المقالات التـي نشرها في كتبه والتي نشرناها هنا.

وفي عام 1905م –وعمره آنذاك نحو خمسة وعشرين عاماً– كتب مقال (الثريا) الذي أشرنا إليه آنفاً، فكشف عن ذائقة نقدية مطبوعة، ثم تأتي بعد ذلك معركة النشيد الوطني في مطلع العقد الثالث من القرن العشرين، وهي المعركة التي أسهم فيها كلٌّ من الرافعي والعقاد بنقدٍ لاذعٍ لنشيد أحمد شوقي الذي مطلعه:

بني مصرَ مكانكمو تهيَّا

فهيَّا مهِّدوا للمُلكِ هيَّا

ثمة معركة هي الأشهر في النقد وهي معركة السفافيد، حيث بدأ الرافعي كتابة سلسلة مقالات بين عامي 1929 و1930 تحت عنوان (على السَّفُّود) بـ(مجلة العصور) باسم رمزيٍّ هو (إمام من أئمة الأدب العربي)، وهي المقالات التي انتقد فيها شاعر الملك عبدالله عفيفي والأستاذ العقاد، وقد أثارت جلبة كثيرة في الأوساط الفكرية والأدبية، ثم أصدر هذه المقالات في كتاب منفرد يحمل ذات العنوان واللقب.

وبعض أساتذتنا يرى أن ما كتبه الرافعي في هذه السفافيد، وإن دلَّ على عارضة العالم القوي الثبت، وعلى ملاحظة الأديب المعتمد على تراثنا الثقافي العظيم؛ فإنه يدور في إطار الطريقة الجزئية للنقد، وليس في إطار النظريات والفلسفات المتقدمة ؛ لكن هذا الكتاب يكشف عن بعض الحلقات المفقودة في المنجز النقدي للرافعي كما في مقالاته، مثل: حرفة الأدب، وإعجاز القرآن: نقد ظهرت أذنه، وكتاب ابن الرومي.. نقد وتحقيق، والشعر الفني في نظم شوقي بك، وكلها مقالات جديرة بالدراسة بإمكانها أن تُضيف الجديد إلى الرافعي ناقداً.

لماذا يُعادون الرافعي؟!

أرى أن الكتابة في الوقت الراهن عن الرافعي وأمثاله ممن تغيَّوا الحفاظ على هوية الأمة أمرٌ واجبٌ تُحتِّمه الظروف الراهنة التي تعيشها أمتنا، وسط المحاولات الضارية التي تستهدف بنيانها من القواعد، إذْ للرافعي خصوصيةٌ كبيرةٌ بين كُتَّاب عصره، وهو ما وضَّحه تلميذه محمد سعيد العريان بقوله: «فالرافعي أديب الخاصة، كان يُنشئ إنشاءه في أي فروع الأدب ليُضيف ثروة جديدة إلى اللغة تعلو بها وتعزُّ مكاناً بين اللغات».

نعم كانت الرمزية سمةً مميزةً لكتاباته؛ لكنه لم يُغرق فيها إلى الحدِّ الذي يخرجها عن إطار الإبداع الأدبي إلى الكتابات الفلسفية التي تستعصي على الفهم وتأباها النفس، وكان له تفكيره المتفرِّد عن غيره، ولطالما رأى في نفسه ما لا يراه الآخرون، وهو ما جعله هدفاً لسهام الآخرين في شعره ونثره، ولا أجدُ رجلاً تعرَّض لظلم التاريخ والنقد كما هذا الرجل، فبسبب من اتجاهه المحافظ أُخِّر عن مكانته التي تليق به، ولم يحظ بنفس الاهتمام الذي أحاط برجال عصره الأقل شأناً!

ومن أسف أنَّ بعض من انتقدوا الرافعي لم يُنصفوا في نقدهم له، نعم هو ليس فوق النقد؛ لكنهم غضُّوا الطرف عن النصف الآخر من الكوب، فعندما تُخضع الأستاذة نعمات أحمد فؤاد أدب الرافعي لمعاناته مع المرض والفقر فتتبع بعض كتاباته ورسائله، وتحاول جهدها التقليلَ من شأن الرجل انتصاراً لأستاذها بشكل غير مباشر؛ فهذا مما يبعث الحزن في النفس؛ إذْ صار العلم (تصفية حسابات)، واختل ميزان النقد الأدبي حتى طاش!

لقد جرَّ مذهب الرافعي المحافظ عليه ويلات كثيرة، ففي الوقت الذي

كانت الثقافة تولِّي وجهها شطر الغرب في خفوت وإدبار عن هويتنا وتراثنا بداعي التجديد؛ كان الرجل يؤكد اعتزازه بمذهبه الذي يقوم على ترسيخ الفضائل ومحاربة كل رذيلة؛ ولذلك نراه غير متردد في الجهر بإطار هذا المذهب قائلاً: «والقبلة التي أتجه إليها في الأدب إنما هي النفس الشرقية في دينها وفضائلها؛ فلا أكتب إلا ما يُبقيها حيةً ويزيد في حياتها وسمو غايتها، ويُمكِّن لفضائلها وخصائصها في الحياة؛ ولذا لا أمسُّ من الآداب كلها إلا نواحيها العليا، ثم إنه يُخيّل إليّ دائماً أنني رسولٌ لغوي بُعِثتُ للدفاع عن القرآن ولغته وبيانه، فأنا دائما في موقف الجيش تحت السلاح له ما يعانيه وما يحاوله ويفي به وما يتحفظ فيه، وتاريخ نصره، وهزيمته في أعماله دون سواها».

وبسبب من معاركه التي لم تضع أوزارها؛ رُمي الرجل بكل نقيصة، وجَدّ خصومُه كثيراً في تشويه صورته وأدبه ورميه بالتشدُّد والتطرُّف؛ وهذا ما أشار إليه تلميذه العريان في قوله: «ولم يكن يعتبر له مذهباً في النقد إلا المذهب الأدبي الذي لزمه منذ نشأ في الأدب؛ فمن ذلك كانت خصوماته الأدبية تنتهي نهايتها إلى اتهامه في وطنيته وفي مذهبه السياسي، ورآها أكثر خصومه من كُتَّاب الشعب فرصة سانحة لينالوا منه عند القراء، فانتهزوها، وبالغوا في اتهامه، وأغرقوا في الطعن على وطنيته وتأوَّلوا مذهبه».

ليس ذلك فحسب؛ بل من عجبٍ أنهم رموه بعدم الوطنية وهو الذي أحب بلده كما لم يحبه أحدٌ غيره؛ ونشيده الوطني الخالد بعذوبة كلماته وغلبة عاطفته يشي بغير ذلك.

إن الإشكالية الكبرى عند هؤلاء الذين يَدَّعون الحداثة مشترطين القطيعة

مـع التراث أن «أكثر ما كان يتناوله الرافعي مـن شؤون الأدب هو ما يتصل بحقيقـة الإسلام أو معنى من معانيه» ، وهل هنـاك أقبح من أن يأخذ عليه أحدهم أنه أسير الجملة القرآنية؟! فهل هذا اتهام يوجِّهه عقلاءٌ؟!

لقـد راعني مـا قرأته في تصدير كتبـه الأستاذ رجاء النقاش منذ سنوات لمختاراته من كتاب (وحي القلم) الذي أصدرته الهيئة العامة للكتاب ضمن مشـروع مكتبة الأسرة في النصف الأول مـن تسعينيات القرن الماضي حيث كشـف حقائق مؤلمة تؤكِّـد ما ذهبنا إليه في هذه المقدمة ومـا كتبناه سابقاً، إذْ يشـير –كان ذلك في عام 1995 – إلـى أنَّ «الحياة الأدبية العربية بدأت تكتشـف الرافعي من جديـد بعد أن أهملته ما يقرب من ستين سنة متصلة، وبعـد أن نظرت إليه على أنـه أديب تقليدي تصعب قراءته؛ لأن كتابته مليئة بالتعقيد والتكلُّف كما كان يُقال عنه!! الآن فقط، وبعد وفاة الرافعي بثمانية وخمسين عاماً بدأ الأدباء يعـودون إلى الرافعي ويُعيدون التفكير فيه ويرون أن نظرتهـم إليه كانت خاطئة وأن أسرار الجمـال في أدبه كانت أكثر بكثير ممـا توهَّم المتوهمون الذين حكموا عليـه بالغموض والتعقيد»، ومما يُؤسف لـه أن دور النشـر في مصر قد سارت على نفسـ الطريق في إهمال الرافعي وإعطـاء ظهرها له «فلم تنشر له دار مصرية كلمة واحدة منذ ما يقرب من نصف قرن كامل».

ورغم الحمـلات المنظمة التي لا تزال تُشنُّ على الرافعـي وأدبه؛ فإنَّ مواقع التواصـل الاجتماعي المختلفة علـى الشبكة العنكبوتية قـد أعادت للرافعي بعضـ حقـه؛ إذْ سرت عباراتـه وكلماته في هذا العـالم الافتراضي وشاعت بشـكل ملحوظ، وأسس بعض القراء عشـرات الصفحات والمنتديات باسمه تـارةً، وتـارةً أخـرى باسـم كتبه؛ فكشفـوا عن لآلـئ أدبـه ودرره في الدين

والحيـاة، وفي كل يـوم يكتسب هذا الرجل أرضاً جديـدة بين محبي العربية رغم التعتيم المتعمد حول أدبه وشخصيته.

***

لقد كنت أتوخَّى مراجعة المقالات وأحرص على تدقيقها وتفسير غوامضها، وإضافة بعض ما من شأنه توضيح النص للقارئ الكريم، وعَزو ما ورد فيها مـن نصوص وأشعار؛ وحاولتُ جهـدي أن أُقدِّم النصَّ كمـا أراده صاحبه؛ فصحَّحـتُ مُجتهداً ما تراءى لي مـن أخطاء، وضبطتُ الكلمات في المواضع التـي قد تلتبس على القارئ الكريم، أو في المواطن التـي قد تُعينه على فهم أفضـل، مـع حرصي علـى ألا أُثقل النص بالحواشي الزائـدة التي لا تزيدُ القـارئ إلا خَبَـالاً، أما الحواشي التـي وضَعَهَا الرافعي فقـد أثبتُّها كما هي ووضعت اسمه في آخرها بين قوسين هكذا: (الرافعي).

وقـد رأيتُ إيـراد المقالات حسب تاريخهـا من الأقدم إلى الأحـدث مع توضيح مناسبتهـا في الحاشية كلما عَنَّ ذلك؛ وأثبتُّ عدداً من الوثائق والصور النادرة التـي تحصَّلتُ على كثير منها من ذاكرة مصر المعاصـرة بمكتبة الإسكندرية؛ فلهم مني خالص الشكر والتقدير، وعساي أن أكون قد أصبت الطريق الصحيح في التعامل مع هذه الأعمال التي تُقدَّم للقارئ أول مرة.

إن تـراث الرافعي المجهول الـذي لم يصل إلى القارئ ليس محـدوداً كما يُظنُّ خطأ، ولا هو قليل الفائدة؛ فقد كان صاحبنا مكثراً من الكتابة لا يتردَّد في تلبية أية دعوة للكتابة مهما كان حجم المجلة أو الصحيفة، ولستُ أزعم أني قد جمعتُ كل مجهولاتـه بحيث لم أتـرك شاردة ولا واردة؛ بل هنـاك أعمالٌ أخرى كثيرة بتوقيعـه أو باسم وهميٍّ كمـا كان شأنه في كثير من المقالات، فضلاً عن خزائن ورثته وورثة أصدقائه وأقربائه وتلاميذه الذين كانت له معهم مراسلات.

وبعـد؛ فرغم كل العَنَت الذي لاقيته مذْ ولجتُ سبيـل الرافعي الشائكة هذه حتـى بلغتُ معه السعي في هذا الكتاب الذي تُقدِّمه (المجلة العربية) للقارئ الكـريم مشكورةً؛ فقد كنت حريصاً على ألا أتكاسل أو أتوانى عن تأدية هذا العمـل الشاق؛ إذ إنَّ أدب هذا الرجل الصَّلْب جزءٌ أصيلٌ لا يتجزَّأ من هُوية هـذه الأمة، وبعثُ هـذا التراث والمحافظة عليه أمرٌ واجـبٌ تُحتِّمه الظروف الراهنـة القاسيـة التـي نُصارع فيها من أجـل البقاء، والغـارةُ على ثوابتنا قائمـةٌ ومستعرةٌ؛ فهل سنفيدُ من ماضينـا لحاضرنا ومستقبلنا؛ أم سنكونُ كالتي نقضت غَزْلَهَا من بعد قوة أنكاثاً؟!

وليد عبدالماجد كساب
ثغر الإسكندرية – سيدي بشر
الأحد 11 ذو القعدة 1437 هـ
14 أغسطس 2016 م

حياة الرافعي: تأريخٌ وأحداثٌ

1230 هـ: وفاة الشيخ عبدالقادر الرافعي الكبير عميد الرافعيين بطرابلس الشام.

1243 هـ / 1827م: هجرة الشيخ محمد طاهر الرافعي إلى مصر وتولِّي قضاء المذهب الحنفي بقرار من السلطان العثماني محمود الثاني، وبه بدأ أول عهد آل الرافعي بمصر حسب رأي البعض، ويُرجِّح بعض الباحثين أن أصلهم مصري وليس سورياً؛ وينتهي إلى قرية (بيسارة) في محافظة أسيوط بصعيد مصر.

1881: مولد مصطفى صادق بن عبدالرازق بن سعيد بن أحمد بن عبدالقادر الرافعي بقرية بهتيم بمحافظة القليوبية بمصر في بيت جده لأمه أسماء ابنة الشيخ أحمد الطوخي.

1314 هـ / 1896 أو 1897م: صدور الطبعة الأولى من مسرحيته (حسام الدين الأندلسي) تقديم الشاعر محمود سامي البارودي، وهي المسرحية التي ظلت غائبة عن خريطة الأدب أكثر من قرن من الزمان حتى أعان الله كاتب هذه السطور فأعاد تقديمها إلى القارئ سنة 1436هـ / 2015م.

1897 – 1898: حصوله على شهادة الابتدائية من مدرسة المنصورة الأميرية، ثم إصابته بمرض التيفود الذي أفقده جزءاً من سمعه.

أبريل 1899: تعيينه بمحكمة طلخا الشرعية، قبل أن ينتقل إلى محكمة إيتاي البارود الشرعية، ثم إلى محكمة كفر الزيات فمحكمة شبين الكوم، وأخيراً محكمة طنطا التي استقر به المقام فيها حتى وفاته.

1903: صدور الجزء الأول من ديوان الرافعي بشرح أخيه محمد كامل

الرافعي، وبتقريظ الشاعر محمود سامي البارودي والشاعر العراقي عبدالمحسن الكاظمي والشاعر حافظ إبراهيم والكاتب والشاعر مصطفى لطفي المنفلوطي، ثم كتب الشيخ إبراهيم اليازجي تقريظاً له في مجلة (الضياء) بعدد يونيو من العام نفسه.

1904: زواجه من شقيقة صديقه الأستاذ عبدالرحمن البرقوقي أحد أعيان كفر الشيخ وصاحب مجلة (البيان) فيما بعد.

1904: صدور الجزء الثاني من ديوان الرافعي.

1905: المعتمد البريطاني اللورد كرومر يُشير في تقرير رفعه إلى الحكومة البريطانية إلى تعاظم دور عائلة الرافعي في القضاء بشكل لافت.

1905: الشاعر العراقي الكبير عبدالمحسن الكاظمي يتأهب لمغادرة القاهرة إلى الأندلس ويكتب للرافعي كتاباً جاء فيه: (ثق أني أسافر مطمئنّاً وأنت بقيتي في مصر).

1905: الرافعي يبدأ معركة (طبقات شعراء العصر) بمقال كتبه مجهَّلاً في (مجلة الثريا) قسَّم فيه شعراء عصره إلى طبقات وجعل نفسه في الطبقة الأولى مع الكاظمي والبارودي وحافظ، واستمرت المعركة عدة شهور وشهدت ردوداً لاذعة في كثير من الصحف والمجلات، وتعتبر هذه المعركة هي البداية الحقيقية للرافعي إذ عُرف من خلالها بشكل أوسع.

1324 هـ / 1906م: صدور الجزء الثالث من ديوان الرافعي.

1327 هـ / 1908م: صدور الجزء الأول من ديوان (النظرات).

1911: صدور كتابه (تاريخ آداب العرب) الذي انقطع لتأليفه منذ منتصف سنة 1909.

1911: معركته مع أحمد لطفي السيد بسبب دعوة الأخير إلى العامية بديلاً للغة العربية الفصحى.

1912: إنشـاء كتابـه (حديث القمر) وهـو أول ما أنشـأه الرافعي من أدب الإنشاء، وكان قد شرع في كتابته بعد عودته من رحلة لبنان من العام نفسه.

1332 هـ / 1914م: صدور كتاب (إعجاز القرآن) أول الأمر كجزء من كتابه السابق (تاريخ آداب العرب) قبل أن يتم فصله بعد ذلك ونشره مستقلاً.

1335 هـ / 1917م: الرافعـي يُصدر كتابـه (المساكين) إثـر قيام الحرب العالمية الأولى وما جرَّته من ويلات على العالم والإنسانية.

1920: الرافعي يفقد السمع نهائياً ويبدأ تعامله مع الناس من خلال الكتابة وقراءة حركة شفاه الآخرين.

1339 هـ / 1920م: صـدور كتابه (النشيـد الوطني المصـري) عن نشيد (اسلمي يا مصر) أهداه لسعد زغلول باشا.

1921: الرافعي يهاجم سعـد زغلول في مقال بعنوان (جنود سعد) بجريدة (الأخبار) عقب الاعتداء على ابن عمه أمين بك الرافعي، فيما قيل إنه كان بإيعاز من زغلول نفسه.

1921: محاولـة لنقل الرافعـي إلى أسيـوط إثر دسيسة مـن بعض الناس، وقيـل إن سببها هو مقاله (جنود سعد)، ثم توسط البعض لإلغاء النقل إلى أسيوط وجعله مخففاً إلى المنصورة.

1342 هـ / 1923م: اعتمـاد نشيد الرافعي (اسلمي يا مصر) نشيداً قومياً لمصر، وقد ظل معمولاً به حتى عام 1936.

1924: صـدور كتابـه (رسائل الأحزان)، وانتقاد الدكتـور طه حسين له في

صحيفة (السياسة الأسبوعية).

1924: معركته الصحفية مع الكاتب فكري أباظة، ونشره مقالاً في يناير من نفس العام بصحيفة الأهرام تحت عنوان (إلى الأستاذ فكري أباظة).

1343 هـ / 1925م: إصدار كتاب (السحاب الأحمر).

1925: تقدمه لجائزة القصة التي أعلنت عنها مجلة (المقتطف) بقصة تحت عنوان (عاصفة القدر) وإخفاقه في الفوز، واتهامه للجنة بالتحيز في التحكيم.

1926: اعتماد الرافعي شاعراً للملك فؤاد الأول بعد ترشيحه من قِبل محمد نجيب باشا.

1926: نشوب معركة الشعر الجاهلي بين الدكتور طه حسين وكثير من رموز عصره ومنهم الرافعي، وهي المعركة الأشهر في تاريخ الحياة الفكرية والسياسية في مصر؛ إذ رأى فيها الكثيرون خروجاً على ثوابت الدين الإسلامي الحنيف، وقد جمع الرافعي جُل هذه المقالات فيما بعد في كتابه (تحت راية القرآن).

1926: سعد زغلول باشا يُقرِّظ الطبعة الملكية لكتاب (إعجاز القرآن) للرافعي بعد فصله عن كتاب (تاريخ آداب العرب)، ويقول مقولته الشهيرة: «كأنه تنزيل من التنزيل، أو قبس من نور الذكر الحكيم».

1926: الأستاذ عباس محمود العقاد ينتقد كتاب (إعجاز القرآن) بصحيفة (البلاغ الأسبوعي) والرافعي يرد عليه بمقال لاذع.

1927: وفاة ابن عمه أمين الرافعي، وهو أحد رواد الحركة الوطنية المصرية، التحق بـ(الحزب الوطني) مع الزعيم مصطفى كامل، وزامل سعد زغلول

قبل أن يختلف معه، وهو علم من أعلام الصحافة العربية.

1927 أو 1928: انتخاب الرافعي عضواً بالمجمع العلمي بدمشق، والذي سُمِّي فيما بعد بمجمع اللغة العربية بدمشق.

1928: جمعية الشبان المسلمين تختار نشيد الرافعي (ربنا إياك ندعو) نشيداً رسمياً لها من بين عدة أناشيد تقدَّم بها بعض الشعراء.

1929 – 1930: الرافعي يكتب سلسلة مقالاته (على السفود) بـ(مجلة العصور) باسم رمزي هو (إمام من أئمة الأدب العربي)، وهي المقالات التي أثارت جلبةً كثيرةً في الأوساط الفكرية والأدبية، ثم صدور هذه المقالات في كتاب منفرد يحمل ذات العنوان واللقب.

1930: الشاعر عبدالله عفيفي يحلُّ محل الرافعي شاعراً للملك بإيعاز من الإبراشي باشا.

1930: معركته الأدبية مع الدكتور زكي مبارك على صفحات (مجلة المقتطف)، وقد دارت المعركة حول بداية نشأة فن المقامات المعروف في الأدب العربي.

1930: معركته مع سلامة موسى في مجلة (الفتح) عقب انتقاد موسى له في مجلته (المجلة الجديدة) ورميه بعدة تهم ونقائص.

1349 هـ / 1931م: صدور كتابه (أوراق الورد: رسائلها ورسائله).

1350 هـ / 1931م: الرافعي يكتب نقداً –نُشر في مجلة المعرفة– لكتاب (ابن الرومي) الذي ألَّفه الأستاذ عباس محمود العقاد.

1932: بداية تعرف الأديب محمد سعيد العريان إليه في طنطا، وإلى العريان يرجع كثير فضل في نشر أدب الرافعي والتعريف به.

1933: الرافعي ينتقد (ديوان الأربعين) لعباس محمود العقاد في عدة مقالات مسلسلة على صفحات (البلاغ) نقداً لاذعاً؛ لكنه أقل حدة من السفافيد، ويمكن القول إن هذه المقالات تُفصح عن الرافعي الناقد الحقيقي.

1934: بداية كتابته في (مجلة الرسالة) بدعوة من صاحبها الأستاذ أحمد حسن الزيات، وكان مقال (فلسفة القصة) أول ما كتب، وقد نُشر في العدد الأربعين.

1355 هـ = 1936م: صدور الجزء الأول والثاني من كتابه الأشهر (وحي القلم).

1937: سأله محرر (الدنيا) قبل وفاته بنحو شهرين: بعد الموت ماذا تريد أن يقال عنك؟ فكتب إليه الرافعي مقالاً موجزاً يعتبر من أخريات ما كتب.

فجر الاثنين 29 صفر 1356 هـ / 10 مايو 1937م: وفاة الرافعي إثر سكتة قلبية مفاجئة ودفنه بمقابر العائلة بطنطا.

1937: اندلاع معركة بين الرافعيين والعقاديين إثر كتابة العريان سلسلة مقالاته (حياة الرافعي) في مجلة الرسالة، حيث تصدى له سيد قطب –تلميذ العقاد النجيب آنذاك- مما أثار حفيظة العريان وعلي طنطاوي وانضم إليهم كثيرون.

1360 هـ / 1941م: العريان يُصدر الجزء الثالث من (تاريخ آداب العرب) الذي يحتوي على تاريخ الشعر ومذاهبه والفنون المستحدثة منه.

1942م: العريان يُصدر الجزء الثالث من كتاب الرافعي الأشهر (وحي القلم) ويضم المقالات التي عثر عليها ولم تنشر من قبل في كتب الرافعي.

1371هـ / 1950م: محمود أبورية يُصدر (رسائل الرافعي)، وهو كتاب

يضـم (218) رسالة كتبهـا الرافعي إليه في الفترة من 1912 حتى 1934م، وقد أصدر أبو رية طبعة أخرى متأخرة زاد فيها نحو عشرين رسالة أخرى.

***

مقدمة ديوان (نسيمُ السَّحَر)



ديوان

نسيم السحر

من

كلام الفقير الضعيف

مصطفى صادق

الرافعي

من هجرة خاتم النبيين

صلى الله عليه وسلم

آمين

صورة من غلاف الديوان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لمن أجرى سلسال البلاغة من أفواه الشعراء وهو الله الذي لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة والصلاة والسلام على منبع الفصاحة العربية سيدنا محمد وآله وصحابه أما بعد فإن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا

الصفحة الأولى من المقدمة

الصفحة الثانية من المقدمة



(٣)

وقد أصبحت ولله الحمد مع [illegible] في منزلة إذا [illegible]

الكلام ارتجالًا [illegible] وأول [illegible]

[illegible] بالحكم [illegible]

[illegible] الفضائل الإنسانية [illegible] المزيد

رب زدني من الفيوضات علمًا
وأرو روحي بحكم التنزيل
إن علمي يقل عند مرادي
فامح مني شوائب التقليل

طنطا في يوم الأحد ١٤ محرم سنة ١٣١٢

مصطفى صادق الرافعي

الصفحة الثالثة من المقدمة

ديوان نسيم السَّحَر

من كلام الفقير

مصطفى صادق الرافعي

كان الابتداء في كتابته يوم الأحد لأربعة عشر يوماً

خلون من محرم المحرم افتتاح سنة

ألف وثلاثمائة وثمان عشرة

من هجرة خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم

آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أجرى سلسال البلاغة من أفواه الشعراء، وهو الله الذي لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة. والصلاة والسلام على منبع الفصاحة العربية سيدنا محمد وآله وأصحابه أما بعد.

فإن من الشعر حكمةً، ومن البيان سحراً، وإن أحسن بيت يُقال ما جرت به الألسن في ميادين الأمثال، وما عسى أن يلفظ في مدح كلام جعله العرب علة العلل في بلاغة القرآن وإعجازه أَمۡ ﴿يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ﴾[1] ذلك الميدان جرت فيه أفراس الشعراء؛ فمنها السابق واللاحق، والمُقَصِّر والواقف، والقوي والضعيف، شأن العامل في كل عمل، أما ما عدا الأول فلا تذكر درجة، ثم هو بعد ذلك درجات ومناصب، والسابقون السابقون أولئك هم المقربون.

(1) سورة الطور / 30.

وليس من الشعر إلا ما كان مطبوعاً لا تشويه نقيصة التكلُّف، ولا تدنسه وصمة المجاهدة، على أن هذا وإن جاء تارة في لباس ذلك إلا أنه حكى ولكن فاته الشنبُ، أما وإن مما أنعم ذو الفضل العظيم على كاتب هذه الأسطر أن وهبه تلك المَلَكَة، ولا أقول ذلك افتخاراً ولكن (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ)[1].

وشيء حسبته لتسلية!

ولا صديقَ إليهِ مُشتكى حَزَني،

ولا أنيسَ إليه مُنتَهَى جَذَلي

لا يسعني أن يكون طعمة الضياع؛ بل لا يسعني إلا أنه أعد له المكانة الرابعة من حافظتي بعد كلام الله ورسوله ومَنْ سَبَقَ من المتقدمين، ولا غرابة إن قيدت ما سُرد منه في هذا الكتاب.

على أني لم أتحقق أني حللت ذلك المنزل فإني أضرب الآن في العشرين من العمر، وما كان السابق مدة تُذكر، فلا والله ما أعدها إلى سنة أو بضع سنة.

وهنا أثبت كلمة تُذكرني الأمر فيما بعد، يوم يكون لهذا الديوان إن شاء مَنْ وَهَبَ المنزلةَ الأولى بين أدباء العصر. يوم أنزل في اللغوب لجمعه وترتيبه بقواي لا أستثني منها شيئاً (وَمَنْ يَقْنَطْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ).[2]

مجمل من ترجمة الحياة

نشأتُ بقرية بهتيم من أعمال مصر في الثامنة والتسعين بعد المائتين والألف —ولستُ أذكرُ شهر الميلاد ولا اليوم— من أب شامي من طرابلس، ووالدة مصرية من بهتيم تولَّاها الله برعايته، ثم حُملتُ بعد ذلك إلى المكاتب

(1) 2 سورة الضحى / 11.

(2) 2 سورة الحجر / 56.

لحفظ القرآن؛ وكان من توفيق الله أن حفظته مجوَّداً في الحادية عشرة من سنِّي.

ثم نُقلتُ بعدها إلى المدارس وبقيتُ فيها إلى الثامنة عشرة، حتى إذا آنَ وقتُ الخروج منها بانتهاء الدراسة كانت في يدي شهادة تُثبتُ الكفاءة منها، وأنا الآن أكاد أقطعُ العشرين، وما بين زمن النشوء لهذه المدة أمراض تتناوب هذا الجسد النحيل نسألُ الله أن يقطع دابرها.

أما العلوم؛ فقد تناولتُ الأدبيات بنفسي؛ لم يرشدني في ذلك أستاذٌ، ولا علَّمني إنسانٌ، ومن آتاه الله من فضله استغنى عن المخلوقين.

وقد أصبحتُ -ولله الحمد- مع سنِّي ذلك في منزلة إذا دعوتُ فيها الكلامَ ارتجالاً أتتني بوادره عِجَالاً، وأول الغيث قطرٌ ثم ينسكب.

وما زلت أُنَمِّي قواي العقلية بالحكمة وغيرها مما تحصد من زرعه ثمار الفضائل الإنسانية. نسأل الله المزيد.

رب زدني من الفيوضات علماً
واروْ رُوحي بمحكمِ التنزيلِ
إنَّ عِلمي يقلُّ عند مُرادِي
فامحْ مني شوائبَ التقليلِ

مصطفى صادق الرافعي

طنطا في يوم الأحد 14 محرم 1318

المقالات المجهولة

شعراء العصر[1]

قـرأت في بعض أعداد (الثريَّا) كلمة عـن الأدب قديماً وحديثاً؛ فقلت كلمة مألوفـة ولم ألبث أن رأيت جملة أخرى لأديب غيـور على الشعراء كان رأس الشعـر بين أولها وآخرها، كأنما خدش بين حجرين؛ فقلت إني أنظم الشعر فأُسـرّ، وأقـرأُ عنه فأُسرّ، فمالي لا أنفثها والقوم قـد أصبحوا يتنافسون في أسماء الشعراء كمـا يتنافسون في ألقاب الأمراء، وقد استويا في الزُّور، فلا أكثر أولئك شاعر، ولا أكثر هؤلاء أمير.

ثـم رأيت بعد أن عـزم الله لي كتابة هـذا المقال أن أتركه بغـير توقيع، وإن كنـت أعلـم أن أكثر من يقرأونه كذلك سيخرجون مـن خاتمته كما لو كانوا أُمِّيِّين لم يقرأوا فاتحته، فإن الحكمة كلَّها والمعرفة بجميع طبقاتها أصبحت في أحـرف الأسمـاء، فـإن قيل: كتاب لفـلان؛ قلنا أين يبـاع؟! وإن كان من سقط المتاع، على أن اسمي قد لا يكون في غير بطاقتي، وكتبي إلى أصحابي القليلـين، وفي سجل بعض الجرائـد والمجلات، فليظنني القـارئ ما ضرب على رأسه الظن.

كان يقـال قبل أن تبلى عظام الأدباء: مغرسُ الشِّعر القلبُ، وزارعُهُ الفكرُ، وقيِّمُـه العقل، وزهرُه الإعرابُ، وثمرُه الصـوابُ، وجانيه اللسانُ، فأنت ترى أن مما يشترط لكمال الشاعر أن يكون ذا قلبٍ قد وسع منه الاختبار فتقلبت فيـه المعاني مـن كل طائفة، وفكرٍ قادرٍ بما اكتسب من القوة أن يكره ما شاء مـن المعـاني على التجلـي؛ فيأخذ منها ويـدع، ومع ذلك عقـل يتعهد الفكرَ

(1) مجلة الثريّا، الجزء التاسع، السنة السادسة، يناير 1905م.

فيسقيــه، والقلبَ فيزيد فيه، فإذا جرى الـكلام على إعرابه في لغته، ووقف مــن غايته عند حد الصواب؛ تناوله اللسان بأسَلَتِــه[1]، ومرَّ به فكان شعراً، ولذلــك لا يكون مــن الشعر ما إذا نطقـتَ به لا تشعر بقلبــك يهتزُّ، وفكرك يتحــرَّك، وعقلــك يتنبَّه، ولسانك برنــين معانيه كأنه جرسٌ يــدقُّ، وإذا كان الشــرط ثقيــلاً كما علمت؛ ربما لا يكون عنده في هــذه الأمة أكثر من أصابع الكـفِّ، فما الذي يحمل الناس على الغرور والدعـوى حتى ليمكنك أن تضع معجماً ضخماً من أسماء شعراء اليوم؟!

لعــلَّ ذلك لأن أكثرهم يجد السبيل إلــى النظم أسهل مما يتصور، فهو يرى أنه إذا كتب كلمات يذكر فيها الخَدَّ والورد، والقَدَّ والنَّهْد، ويذيب فيها قلبه، ويشـق مرارته، ويلعـن الدهر وحكمه، والحظَّ ونجمــه، ثم يقول فلان كريم كالبحر، وذلك لئيم كالدهــر، ويبكي الدار ومَنْ بنى الدار، أو يرتقي فيذكر بعضَ المخترعات كيف جاء بها الوزن، واتَّفقـت معها القافية، على شريطة أن يتجنَّــب في ذلــك مثل (المنســرح) وضروب بعض الأبحــر؛ لئلا تموج في صحيفتــه، فقد أصبح شاعراً (تحــت التجربة)، ولكن متى اهتدت يداه إلى بعضِ الدواوين أو اختلفـت عينه إليها، وكتبتْ عنــه إحدى الصحف: (قال يمدح، أو قال يهنئ، أو عثرنا، أو وقفنا... إلخ إلخ)، فتلك الشهادة الناطقة بــأن اسمه قد أُضيف إلــى الأسماء الخالدة في سجل الدهر، وأصبح لا يُقال له إلا (الشاعر المجيد...).

هــذه حالــة كثيرين من القوم لا يقولــون إلا الشعر الفاتــر، يستدفئون به في الشتاء، ويَخرَجُون[2] عقول الناس في الصيف، وليتهم يعرفون نصيحة (أبي

(1) الأسَلَةُ مُستَدقُّ اللسان والذراع.

(2) يعني يمسحون؛ ففي التهذيب: خَرَجَتِ السماءُ خُروجاً إذا أصْحَتْ بعد إغَامَتِهَا.

العبر)، وإن كان أحمق، فقد قالها منذ ألف وأكثر من مائة سنة لمحمد بن مبروك الشيباني، قال له: «بلَغَني أنَّك تقول الشعر، فإن قدرت أن تقوله جيِّداً جيِّداً، وإلا فليكن بارداً بارداً، وإياك والفاتر فإنه صفعٌ كله».

وسأذكر في هذه الأسطر كلَّ مَنْ عرفته، أو اتصل بي اسمه من الشعراء وأقطع عليه رأيي، فإمَّا وسعه فكمل به، وإمَّا أظهره كما هو في نفسه، لا كما هو عند نفسه، ولذلك فقد ضممتهم إلى ثلاث طبقات وجاريت في تسمية بعضهم بالشعراء عادتنا المألوفة:

الطبقة الأولى

1 – الكاظمي[1]: هو رجل من العراق قدم على مصر من بضع سنين، ولم يزل فيها إلى اليوم، ولا أراني مبالغاً إذا قلت إنه ليس أحدٌ أحقَّ باسم الشاعر منه بيننا. فهو طويل النفس، قوي العارضة، حاضر البديهة، رفيع الخيال، لا يتعاصى عليه معنى، ولا يلوذ عنه فكر.

ثم هو يمتاز عن غيره بحسن الإنشاد على غير ما نرى من باقي الشعراء الذين تعترض أنفسهم في مجاري أنفاسهم، فلا يتم أحدهم البيت حتى ينتفض وريده، ولمَّا حَلَّ هذا الشاعر في مصر، وسمع به القوم؛ هرع إليه كل الفضلاء، وكلهم أصبح له صديقاً، ولقد لقَّبه المرحوم محمود باشا البارودي بـ(ماكينة الشعر)؛ لأنه متى شاء نظم، وقلَّ أن تنزل له قصيدة عن سبعين بيتاً نصفها جيد مختار، مع أنك تقرأ لغيره القصيدة في ثلاثين

---

(1) عبدالمحسن الكاظمي (1282 – 1354 هـ / 1865 – 1935 م): شاعر عراقي شهير، امتاز بارتجال القصائد الطويلة. اتصل بجمال الدين الأفغاني، ثم جاء إلى مصر في أواخر سنة 1316 هـ فاتصل بالشيخ محمد عبده، وسعد زغلول وغيرهما، وتوفي في مصر، لُقِّب بشاعر العرب (الأعلام للزركلي 4 / 152).

وأربعين وأكثر، لا تختار منها أكثر من خمسة إلى عشرة أبيات.

وللكاظمي أدب نفس عجيب، فهو الحري بقول أنوشروان: «عجبتُ لمن يشهره الأدب، كيف تدعوه نفسه إلى مكرمة»، والرجل ضنين بشعره كل الضَّنِّ، فلا يذيله إنشاءً ولا إنشاداً، ولذلك لم أطَّلع منه إلا على القليل، ومنه هذه الأبيات قالها من قصيدة يُعاتب بها كبيراً من كبراء مصر ويتهكم عليه، وكان قد وعده وأخلفه:

ومن عجبٍ لي تُعزَى البحارُ
وأرضَى من الماءِ بالجدولِ

وأصبرُ منه على حالةٍ
على مثلِها الصبرُ لم يَجْمُلِ

برغمي أصبحتُ أدعو الكريمَ
بين البرية بالأبخل

أعرني وجهاً يقدُّ الصَّفَا،
ويقسمُ في الناس من جندلِ

وقُل لي كيف أُلاقي الوَرى
إذا قلتُ قولاً ولم أفعلِ

سألتُك فانهجْ معي غيرَ ذا،
ولولا وِدادُك لم أسألِ

وإنْ أنتَ لم تلو عن خطةٍ
تعسَّفَ في ليلها الأليلِ

فعندي من العُتب مشبوبةٌ
وأخشى بجمرتِها تصطلي
فلا تتركني بفصلِ الخطاب
أحزُّ بكفِّي في مِفْصلي
أعيذُك من قلمٍ إنْ طغى
على الطِّرْسِ طوَّح بالمقتلِ
فبيناه من عسلٍ نَاطف
إذا هو يقذفُ بالحنظلِ
إذا أنا أرسلته للكفاح
بجعد من القولِ أو مرسلِ
تهبُّ قوارصُهُ العاصفاتُ
وتعصفُ بالشامخِ الأطولِ
وكيف أخافُ عليه العِثَارَ
وهذي قوائمُهُ أنمُلي

ولو لم يكن له غير هذا البيت العجيب لكفاه، وهو قادرٌ على الارتجال قدرةً انفرد بها عن جميع الشعراء المعاصرين، ومن ذلك أنه رأى ذات مرة مليحاً يمر بين أشجار روضة كان بها مع جماعة من صحبه؛ فنظر إليه؛ فخجل الفتى، ثم تلهَّى بقطف وردة من غصنها؛ فارتجل الشاعر أرجوزة منها:

وشادنٌ مَرَّ مع الظبَاء
يمرحُ في خميلةٍ غَنَّاءِ

أخجلتُهُ فعادَ من حياء
يقتطفُ الوردَ وعينَ الرائي
تقطف من وجنته الجمراء

هذا هو شاعر الطبقة الأولى، على أن الشعر ما قدمناه في صدر الكلام، وهنا ربما اعترض بعض من يعرف الرجل؛ فيقول لماذا لا ينظم في الأغراض الجديدة على نحو ما ينبغي أن يتجدَّد الشعر بحسب انقلاب الحال وتبدُّل الأيام؟ ولمثل هذا المعترض أقول إن في مجال الكاظمي متسعاً لكل غرض كما يُعرف من أسلوبه وتنهض بحجته تلك المقدرة التي تشاهدها في كلامه، ولكن له أحوالاً تسوق نفسه إلى حيث تبدأ بالتنفس، ولو بلغ من أفاضل قومنا أن يعتبروا الشعر فناً بذاته داخلاً في أصول التهذيب كما هو الشأن عند غيرنا لصح ذلك الاعتراض، ونحن إنما نتكلم عن أحوال الشعراء كما هي قائمة بهم، لا كما هم قائمون بها.

2 - البارودي[1]: اتفق لهذا الشاعر -رحمه الله- ما لم يكن لغيره، فلا نذكره بغير الحسنى، وقد لبث يقول الشعر زهاء نصف قرن، ومع ذلك لم ينظم أكثر من ألفي بيت إلا قليلاً، ولكن أكثرها جيدٌ بديعٌ، وإنَّما فضَّلنا عليه الكاظمي؛ لأن الشعر كان عصيّاً عليه في أكثر أيامه بخلاف الأول، وكان قد بدأ ينقض معلقة عنترة منذ ثلاث سنوات، ومات -رحمه الله- ولم يتمها، ومن هذه القصيدة:

(1) محمود سامي البارودي باشا (1255 - 1322هـ / 1839 - 1904م)، جركسي الأصل، مصري المولد، ينتسب إلى (إيتاي البارود) بمحافظة البحيرة، التحق بالمدرسة الحربية، تقلد عدة مناصب آخرها رئاسة النظار، ساند الثورة العرابية، ثم نفاه الإنجليز إلى جزيرة (سيلان) سبعة عشر عاماً، وعاد إلى مصر، وإليه فضل بعث الشعر العربي في العصر الحديث، توفي بعد ما كف بصره (معجم المطبوعات العربية 2 / 513).

كم غادرَ الشعراءُ من مُتردَّم
ولَرُبّ تالٍ بَزّ شأوَ مُقدَّمِ
في كلِ عَصرٍ عبقريٌّ، لا يَني
يفرى الفري بكل قول محكمِ
وَكفاك بي رجلاً إذا اعتقل النهى
بالصمت، أو رَعَفَ السنان بعندم

إلى أن يقول في وصف مصر، وهو البيت البديع فيها:

هي جنةُ الحسنِ التي زهراتُها
حُورُ المَهَا وهزارُ أيكتِها فمي

وله هذه القصيدة يعارض بها قصيدة أبي فراس الحمداني، وهي من آيات سحره وبديع شعره:

طَربتُ، وعَادَتني المَخيلة والسُّكْرُ
وَأَصْبَحْتُ لاَ يُلْوِي بِشِيمَتِي الزَّجْرُ
كَأَنِّيَ مَخْمُورٌ سَرَتْ بِلِسَانِه
مُعتَّقة مِمَّا يَضنُّ بِها التَّجْرُ
صَرِيعُ هوىً، يُلْوي بِيَ الشَّوْقُ كُلَّمَا
تَلأْلأَ بَرْقٌ، أَوْ سَرَتْ دِيَمٌ غُزْرُ
إِذا مَالَ مِيزَانُ النَّهارِ رَأَيْتُنِي
على حَسراتٍ لا يُقاومُها صَبرُ

يَقولُ أناسٌ إنَّهُ السحرُ ضَلَّةً
وَمَا هيَ إلاَّ نَظْرَة دُونَهَا السِّحْرُ

فَكَيْفَ يَعِيبُ النَّاسُ أمْرِي، وَلَيْسَ لي
وَلاَ لامْرِئ في الحُبِّ نَهْيٌ وَلاَ أمْرُ؟!

ولَو كانَ ممَّا يُستطاعُ دِفاعهُ
لألوَت بهِ البيضُ المباتير والسُّمرُ

وَلَكِنَّهُ الْحُبُّ الَّذي لَوْ تَعَلَّقَتْ
شرارتهُ بالجمرِ لاحترَقَ الجمرُ

عَلَى أنَّني كَاتَمْتُ صَدْرِيَ حُرْقَة
مِنَ الْوجْدِ لاَ يَقْوَى عَلَى مَسِّها صَدْرُ

وَكَفْكَفْتُ دَمْعاً، لَوْ أسَلْتُ شؤونَهُ
عَلَى الأرْضِ مَا شَكَّ امْرُؤٌ أنَّهُ الْبَحْرُ

حياءً وكِبراً أن يقالَ ترجَّحت
به صَبوةٌ، أو فلَّ من عزمه به الهَجرُ[1]

وإنِّي امرؤٌ لولا العوائقُ أذعَنت
لسلطانه البدو المُغيرَة والحَضرُ

مِنَ النَّفَرِ الْغُرِّ الَّذينَ سُيُوفُهُمْ
لَهَا في حَوَاشي كُلِّ دَاجِيَة فَجْرُ

إذَا اسْتَلَّ مِنْهُمْ سَيِّدٌ غَرْبَ سَيْفِه
تفزَّعتِ الأفلاكُ، والتفَتَ الدَهرُ

---

(1) في الديوان (أو فلَّ من غَرْبِهِ الهَجْرُ). وغرب كلِّ شيء حدُّه.

لَـهُـمْ عُـمُـدٌ مَـرْفُـوعـة، وَمَـعـاقِـلٌ
وألـويـة حُـمـرٌ، وأفـنـيَـة خُـضـرُ

وَنَـارٌ لَـهَـا فِي كُـلِّ شَـرْقٍ ومَـغْـرِبٍ
لِمُـدَّرعِ الظَّـلْـمَـاءِ أَلْـسِـنَـة حُـمْـرُ

تَمُـدُّ يَـداً نَـحْـوَ السَّـمَـاءِ خَضِيبَة
تصافحها الشِّعرَى، ويلثمُها الغَفرُ

وَخَـيْـلٌ يَـرُجُّ الْخَـافِـقَـيْنِ صَهِيلُهَا
نـزائـعُ معـقـودٌ بِأعـرافِـهـا النَّصرُ

مُـعَـوَّدة قَـطـعَ الـفـيـافِي، كـأنَّـهـا
خُـداريَّـة فـتـخـاءُ، لـيسَ لَـهـا وكـرُ

أقـامـوا زمـانـاً، ثـمَّ بـدَّدَ شملهُم
أخـو فتكات بالكرام اسمه الدهر

فلم يبقَ منهُم غيرُ آثـارِ نعمَة
تضوعُ بِريَّاها الأحاديثُ والذكرُ

وَقَـدْ تَـنْـطِـقُ الآثَـارُ وَهْـيَ صَوَامِتٌ
ويُثنى بِريَّاهُ على الوابِلِ الزَّهرُ

لَعَمْرُكَ مَا حَيٌّ وَإِنْ طَالَ سَيْرُهُ
يُـعـدُّ طليقاً والمنونُ لـهُ أسـرُ

ومـا هـذه الأيـامُ إلاَّ مـنـازلٌ
يَـحُـلُّ بِـهـا سَـفْـرٌ، وَيَـتْـرُكُـهَـا سَـفْـرُ

فلا تَحسبنَّ المرءَ فيها بِخالد
وَلَكِنَّهُ يَسْعَى، وَغَايَتُهُ الْعُمْرُ

3 - حافظ[1]: هو المشهور بأنه شاعر مصر في هذه الأيام، وقد أخذ بيده فنصَّبه للناس حكيم الشرق الشيخ محمد عبده، ولحافظ خواطر جميلة وبعض معانٍ سامية، ولولا أنه يتبع خطوات البارودي في النظم ويسبك بيده قصائده، ما عُدَّ من الطبقة الأولى، وفي الرجل روية وأناة، وهما اليدان اللتان ينفلت من بينهما الشعر في أكثر الأوقات، ولذلك تراه مقلاًّ؛ وهو عيبه، فإن الشعر إنَّما هو شعور النفس وهي تشعر بكل شيء، فينبغي أن يكون الشعر في أكثر ما تشعر به، وأن يتناول المهمَّ من كل غرض، وهو بخلاف ذلك مع هذا الشاعر، على أن له حسنات تستر ما دونها، وأكثر شعره في هذه الأيام أضعف من قبل، ولعلَّ أحسن ما نختاره له هذه الأبيات من قصيدة قالها في مديح المفتي الحكيم:

كَأنَّ فُؤادي إبرَةٌ قَد تَمَغطَسَت
بِحُبِّكَ أَنّى حُرِّفَت عَنكَ تَعطِفُ
كَأَنَّ يَراعي في مَديحِكَ ساجِدٌ
مَدامِعُهُ مِن خَشيَةِ اللَهِ تَذرِفُ
وأزهر في طرسي يراعي وأنملي
ولفظي فبات الطرس يجنى ويقطف

---

(1) محمد حافظ إبراهيم (1287 - 1351هـ / 1871 - 1932م)، الملقب بشاعر النيل، ولد بمصر، والتحق بالمدرسة الحربية، وتخرج سنة 1891، وسافر مع حملة السودان، عمل (مُحرِّراً) في جريدة (الأهرام)، له (ديوان حافظ)، وترجم رواية (البؤساء) لفيكتور هيجو، وله (ليالي سطيح)، وغير ذلك. (الأعلام للزركلي 6 / 76).

والذين لم تستقم ألسنتهم ولم تزل أفكارهم على سقم يقولون إن شعر حافظ اليوم خير منه في ديوانه الأول، وذلك لأنهم لا يدركون موقع الخيال الشريف، ولا يهتزُّون للمعنى البكر إلا في اللفظ (الثيب)، وهؤلاء يُفضِّلون (شوقي) عليه، وهيهات (بعد أن استنوق الجمل).

4 - الرافعي: لو كان هذا الشاعرُ كما أسمع عنه؛ فإني أكون قد ظلمته إذ لم أقدِّمه عن هذا الموضع، فقد أُخبرت أنه لم يُتم الرابعة والعشرين من عمره، ولذلك فإني لا أكتب عنه إلا ما أعرف من شعره سواء كان فتىً أو كهلاً، وهو قد طبع من ديوانه الجزء الأول من سنة مضت، وذكر في مقدمة شرحه أنه نظمه في عامين، وأنه لم يقل الشعر إلا منذ ثلاث سنوات من طبع ذلك الجزء، ولم ألبثْ أن رأيت منذ أشهر في بعض أعداد (مجلة الجامعة) تقريظاً مسهباً جدّاً للجزء الثاني من ديوان هذا الشاعر؛ فأكبرتُ ذلك، ولا شكَّ أنه ينظم اليوم الجزء الثالث قياساً على ما تقدم، وقد نشر أخيراً قصيدة عنوانها (بور آرثر) تهكَّم فيها على أسطول البلطيق وطوافه حول أفريقيا وضربه مراكب الصيادين بقوله:

أظنه شاعراً ما إنْ يلذُّ له
من بورت آرثر إلا أن يرى طللا
مشى على الماء رطباً من نضارته
فكلما هبَّ ريح نحوه سعلا

وهنا غاية الإبداع، ولولا أني من أنصار الروس والمُتحزِّبين لهم؛ لكتبتُ أكثر مما كتبت، ومما امتاز به هذا الشاعر وَلَعُهُ الشديد بالغزل، وبلوغه فيه أسمى ما يبلغه النَّظم، وله مزية أخرى وهي غوصه على المعاني في الأغراض

التي لم تُطرق، وكثيرون يعدُّونه بذلك شاعر مصر، وديوانه معروف، وشعره منشور، ويُعجبني ما نشرته له (الثريا) في عددٍ مضى، وهو قوله في الشكوى:

السعد في فلك النحس

بالغ منه حزنه

أنىَّ تقلَّب في الأفق

فهو واللون لونه

مثل الغراب سواء

ظهر الغراب وبطنه

الطبقة الثانية

1 - صبري[1]: إسماعيل باشا صبري من أبلغ الشعراء وأسماهم خيالاً، ولكنه صُرف عن الشعر بالقانون وغيره؛ فاضطرب سبكه، واعتاصت عليه القوافي، ولم نقرأ من شعره شيئاً كثيراً إلا طرفاً يدلُّ على ما ذكرنا، كقوله في قطعة سُئل أن يجمع بها بين الأسلوب العربي والغربي تنقل إلى الفرنساوية:

يا لواءَ الحسنِ أحزابُ الهوى

أيقظوا الفتنة في ظل اللواء

فرّقتهم في الهوى ثاراتُهم

فاجمعي الأمرَ وصوني الأبرياء

(1) إسماعيل صبري باشا (1270 - 1341هـ / 1845 - 1923م): من الشعراء المرموقين في عصره، ولد ومات بمصر، درس الحقوق بفرنسا وكان صديقاً لمصطفى كامل، وتدرج في مناصب القضاء بمصر، فعُين نائباً عمومياً، فمحافظاً للإسكندرية، فوكيلاً لنظارة (الحقانية). له ديوان يحمل اسمه (الأعلام 1 / 315).

إن هــذا الحســنَ كــالمــاء الــذي

فــيــه لــلأنــفــس رِيٌّ وشــفــاء

لا تـــذودي بــعــضــنــا عــن وِردهِ

دون بعض واعــدلي بــين الظمـاء

أنـــت يَمٌّ الحســن فيــه ازدحمـت

سـفـن الآمـــال يـزجـيـهـا الـرجـاء

يــقــذف الــشــوق بــهــا في مــائج

بـــين لجـــين عـــنـــاء وشـــقـــاء

شـــدة تمـضــي وتـــأتــي شـــدَّةٌ

تـقـتـفيهـا شــدَّةٌ هــل مــن رَخــاء؟

ســاعـفـي آمـــال أنـضـــاء الـهـوى

بــقَــبــولٍ مــن ســجــايــاك رُخــاء

وتجــلَّــي واجــعــلــي قــومَ الـهـوى

تحت عرش الشمسِ في الحكم سواء

أقــبــلــي نـسـتـقـبـل الــدنــيــا ومــا

ضُــمـنـتـه مــن مــعــدَّات الـهـنـاء

واسـفِـري تـلـك حُـلـى مـا خُـلـقـت

لـــتُـــوارى بــلــثــامٍ وخــبــاء

واخــطــري بــين الــنـدامَـى يـحـلـفـوا

أن روضــاً راح في الــنــادي وجــاء

وابسمي، من كان هذا ثغره
يملأ الدنيا ابتساماً وازدهاء
أنت روحانيَّة لا تدَّعي
أنَّ هذا الشكل من طينٍ وماء
وانزعي عن جسمك الثوب يبن
للملا تكوينُ سكان السماء
وأَرِي الدنيا جَناحَي ملكٍ
خلف تمثالٍ مصوغٍ من ضِياء

2 - شوقي[1]: سيأخذ بعض القراء العَجَبُ إذا رأى شوقي بك في الطبقة الثانية وهو هو شوقي بك شاعر الحضرة الفخيمة الخديوية، ولكنا نعجب أكثر منه إذْ رأينا الشوقيَّات قد انقلبت إلى شوكيات، فأي ذوق سليم يطمئن لهذه المعاني المكررة، وتلك الألفاظ النافرة من مثل (قضى أريحي القوم) وغيرها، ولا أدري لهذا الانقلاب سبباً إلا إذا صح ما يُقال من أن (صبري وسلمان) كانا يهذبان شعر الرجل من قبل، وهو قول لا أجزم به، ولا أرفضه.

ومهما يكن من الأمر فهو شاعر من الطبقة الثانية على رغم من يرفعه إلى الأولى، وإنما اشتهر قديماً يوم كان الكاظمي في العراق، والبارودي في سيلان، وصبري من مهذِّبي شعره -على ما يقال-، وحافظ في السودان،

---

(1) أحمد شوقي (1285 - 1351هـ / 1868 - 1932م)، ولد وتوفي بمصر، ولقب بأمير الشعراء، أرسله الخديوي توفيق لدراسة الحقوق في فرنسا، ثم عُين رئيساً للقلم الإفرنجي في ديوان الخديوي عباس حلمي. سافر إلى إسبانيا سنة 1915 بعد تنحية الخديوي عباس حلمي، وعاد في أواخر سنة 1919 فجُعل من أعضاء مجلس الشيوخ إلى أن توفي. طبع شعره (الشوقيات)، وله عدة مسرحيات شعرية. (الأعلام 1 / 136).

والرافعي لم يقل الشعر بعد – على ما قيل لي –، وأثبت له الشهرة إضافتُه إلى الحضرة الخديوية على نحو ما يذكر النحاة في باب (الجر بالمجاورة)، ولا أنكر أن له سرقات؛ ولكن غيره أيضاً لم يسلم، ولذلك لم نتعرض لها. أما مختاراته من شعره الجديد، فلا نجد في قصائده شيئاً يختار إلا رسّاً من الحكمة وله أصل معروف.

ومنذ خمس سنوات كان الرجل لا يزال مجيداً، ويومئذٍ قال هذه الأبيات البديعة من قصيدة في رثاء المرحوم حبيب باشا مطران:

يهزل العيش والمنية جدٌّ
وتضل الحياة والموت هاد
وخفوق الفؤاد في ساعة التكوين
داع إلى سكون الفؤاد
تطلع الشمس بالفناء علينا
وعلى القادمين بالميلاد
فإذا جدّدت فأبلت فأعيت
جاءها حينها بلا ميعاد

فكيف هذا الانقلاب وخمس سنوات لا تبلغ العمر الذي ينطق فيه الصبي؟!

3 – مطران[1]: لهذا الشاعر وَلَعٌ بانتهاج أساليب الفرنجة في شعره، فهو ينظمه قصصاً على أساليب تحمل ما يحملها من غزل وحكمة ووصف

(1) خَليل مُطْران (1288 – 1368هـ / 1871 – 1949م): شاعر وكاتب ومترجم، لقب بشاعر القطرين، ولد في (لبنان)، سكن في مصر، وتولى تحرير جريدة (الأهرام) بضع سنين، ثم أنشأ (المجلة المصرية) وبعدها جريدة (الجوائب المصرية) التي ناصر بها مصطفى كامل باشا في حركته الوطنية، وتوفي بالقاهرة. (الأعلام 2 / 320).

وغيرها، أما الغزل فليس له فيه ما يرفعه فوق من قبله وهو لا يحسن الحكمة والمثل كغيره من أولئك؛ ولكنه يجيد الوصف إجادة بالغة قد يفوق بها غيره أحياناً، ولولا نفورٌ في بعض عباراته وقلق في أكثر قوافيه بحيث يذهب التأثير المقصود بالشعر؛ لكان من أفراد الطبقة الأولى؛ ولكنه كذلك ينظم.

على أن أسلوبه يستحسنه الكثيرون من نابتة العصر ونشء هذه الأيام، ويودُّ بعض اللُّكْنِ[1] لو جرى الشعر كله على ذلك النحو، ومن مختارات مطران قوله في رثاء المرحوم تقلا باشا صاحب جريدة الأهرام:

ومن لم يمت بالداء فالطبُّ لم يزل
سلاح المنايا في يدي كل جاهل

وهذا البيت هو المختار من تلك القصيدة، وهي في خمسة وثلاثين بيتاً، ثم هو وإن كان ينظر إلى قول الآخر:

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره
تنوعت الأسباب والموت واحد

إلا أن معناه الواقع يشفع له، ولمطران تحت عنوان (آدم وحواء) قطعة فيها أبيات غاية في الإبداع منها في وصف الروض:

تجري سواقيه فعابسة
فيها الظلال ويضحك الحجرُ
وكأنَّما نسماته كَلِمٌ
وكأنَّما نفحاته فِكَرُ

(1) اللُّكْنُ واحدها أَلْكَنُ؛ وهو من لا يقيم العربية لعجمة لسانه.

إلى أن يقول:

حــــواء مــــا أغـــويـــت آدم بـل
أحـبـبـتـه والـصـبـوة الـعـمـرُ
مــن لم يـحـب فـمـا الـصـفـاء لـه
صـفـو ولا أكـــداره كــدرُ
ويـــرى الـحـيـاة ولا يـعـيـش كـمـا
مــرّت عـلـى مـرآتـهـا الـصـورُ

4 – داود عمون[1]: وهذا الشاعر من البارعين، إلا أن من مغامزه إساءة الاقتباس، وسوء الابتداع، وقلق السبك في الكثير، وكنا نودُّ أن نستشهد له بقول، ولكن لم تبق بعد مطران فائدة في الاستشهاد، إمَّا لقلَّة ما نجد من المختار، أو تجنُّباً لتوفير هذا المقال، فإنا لو أجرينا آخره على طريقة أوله؛ لكسرنا على ذلك مجلداً برأسه، ولكنَّا نمرُّ بالشعراء الباقين مرّاً، وإنما الغرض تبيان الرأي لا إطالة البيان.

5 – البكري[2]: شعر هذا الرجل قليل، وهو مع قلته مغتصب مُكره على البقاء في جلده، ويقلُّ فيه الجيِّدُ الرائع، وإن كانت مغارسه كثيرة، وقد نال البكري

---

(1) داود أنطون عمون (1286 – 1341 هـ / 1869 – 1922 م): ولد في (لبنان) وتوفي بها، قضى عدة أعوام في تونس والقاهرة، عمل بالمحاماة، وحاز شهادة في الشريعة الإسلامية بمصر، كافح كثيراً من أجل استقلال بلاده من الاحتلال الفرنسي، وعمل مديراً للمعارف في لبنان. (الأعلام 2 / 331، ومعجم البابطين 7 / 534 – 537).

(2) محمد توفيق البكري (1870 – 1932م) :كاتب وشاعر مصري، من الأسرة البكرية المعروفة بمصر، إليهم انتهت مشيخة الصوفية لسنوات طويلة، تولى نقابة الأشراف ومشيخة المشايخ سنة 1309هـ وعين عضواً دائماً في مجلس الشورى والجمعية العمومية، وكان يجيد الفرنسية والتركية، ويتكلم الإنجليزية. أسَّسَ أوّلَ مجمع للغة العربية، من كتبه (صهاريج اللؤلؤ) و(أراجيز العرب) و(فحول البلاغة) (الأعلام 1 / 65).

الميداليـة الذهبية على قصيـدة قدَّمها في بعض أعيـاد الجلوس الخديوي، ونالها معه حافظ، ولكنَّا سمعنا همساً أن القصيدة لـ....، وكان منها:

لئن سلمت أطلالها من يد البلى

فقلبي على أطلالها غير سالم

ذلك يوم أخذت مصر زخرفها وازينت حديقة الأزبكية.

6 - نقـولا رزق الله[1]: شاعـر يرسـل القـول فيجري بك جرياً قَـلَّ أن تسلم فيـه من العثار، ومعانيه الجيدة قليلة، ونسبتها إلى أبياتها نسبة الواحد إلى العشريـن، وهـو ينتهج الأساليب التـي ينتهجها مطـران، ولكن هذا خفيف يطير طيراً.

7 - أمـين الحداد[2]: مـا أدري أظلمته في وضعه هذا الموضع أم وفَّيتُه الحقَّ، ولكنـه لا يتقـدم مطران، وشعـره يظهر فيه كدُّ الذهن، ولـه معانٍ تُوجب له اسم الشاعر لو أنها أطاعته على ما يريد.

8 - محمـود واصف[3]: شاعر قديم، ضربـه الزمن ضربة قوَّمت من لسانه،

---

(1) نِقُـولا رِزْق الله (1870 - 1915 م): ولـد في بـيروت وتـوفي بالقاهـرة، شاعـر وقاصٌ ومترجـم. اشتغل بالصحافـة وعمـل في صحيفة (الأهرام). وأصـدر مجلة (الروايات الجديدة) سنـة 1910، وله ديوان (مناجـاة الأرواح)، ولـه عـدة روايـات منها (الأمـيرة جوليا)، كما ترجـم عدة روايـات منها (روميو وجولييت). (الأعلام الشرقية 3 / 1101، ومعجم البابطين 21 / 350 - 352).

(2) أمـين سليمـان حدَّاد (1870 - 1912م)، المولـود بلبنان، وحفيـد الشيخ ناصيف اليازجـي لابنته، عمل في صحيفـة الأهـرام، أنشـأ صحيفة (لسان العـرب)، كما أسهـم في إنشاء عدة صحـف أخرى منها: (البصير)، و(الاتحـاد المصري)، و(السـلام)، و(الضياء)، و(أنيس الجليس)، تـوفي بالإسكندرية. (معجم المطبوعات ليوسف سركيس 2 / 743، ومعجم البابطين 4 / 592 - 594).

(3) محمود واصف (1266 - 1322هـ / 1849 - 1904 م): شاعرٌ وقصاص، ولد في مدينة الإسكندرية، وفيها تـوفي، عاشـر في مصر وتلقى تعليمه في الأزهر، ثم في مدرسـة دار العلوم، أنشأ صحيفة (مصـر الفتاة) سنة 1878، وأغلقت فأنشأ صحيفة (العدل) 1885، من آثاره: رواية (عجائب الأقدار) طبعت بالقاهرة سنة 1312هـ، ورواية (هارون الرشيد). (معجم المؤلفين 12 / 204، ومعجم البابطين 20 / 68 - 70).

ونفضت عن فكره الغبار، وله قصائد أجاد فيها، ولكنها لا تبلغ الغاية.

9 - شكيب أرسلان[1]: فحل الشعر، جزل الأسلوب، متين العبارة، ولكن الشعر معانٍ وخواطر، وهو كاتب يتكلّف الشعر تكلّفاً.

10 - محمد هلال إبراهيم[2]: رائق الشعر مجيد في بعضه إجادة بالغة، ولكن الحكم للأغلب.

ولا شكّ أنه قد بقي قوم آخرون، بعضهم تعطّلت قريحته، وبعضهم لم أقف له على شعر، أو نسيت ما وقفت له عليه، ومنهم كثير من السوريين، ويا ليت بعض أدباء سوريا يكتب لنا عمن هناك كما كتبنا عمن هنا، وإذا كان لهذه الطبقة آخر فهو (حفني ناصف) [3].

الطبقة الثالثة

1 - الكاشف[4]: هو صاحب هذه الطبقة، وإن كان خياله ضئيلاً، وسبكه

---

(1) شكيب أرسلان (1286 - 1366هـ / 1869 - 1946م)، المولود والمتوفى بلبنان، أديب وسياسي ومؤرخ، اشتهر بـ(أمير البيان)، أقام مدة بمصر، ونزل دمشق وبرلين، وأقام في سويسرا نحو 25 عاماً. وقد ربطته بأدباء مصر والعالم روابط وثيقة متينة، وله مؤلفات وآثار كثيرة. (الأعلام 3 / 173).

(2) محمد هلال إبراهيم: عمل مُحرِّراً صحفياً بعدة صحف ومجلات منها: (المقطم والمؤيد ومصباح الشرق والكشكول)، وشارك في تحرير جريدة (الكشاف)، أنشأ جريدة (النواب)، كان عضواً بمجلس النواب المصري عام 1930م (معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين 15 / 411 - 413، الكويت 2008م).

(3) حِفْني ناصف (1856 - 1919م): قاض أديب، ولد بمصر وبها توفي. تعلّم في الأزهر، واشترك في الثورة العَرابية، وتقلّب في مناصب التعليم والقضاء، وتولّى منصب النائب العمومي والقضاء الأهلي، وترأس الجامعة المصرية. شارك في إنشاء المجمع اللغوي الأول، اشترك مع الشيخ محمد عبده في تحرير (الوقائع المصرية)، شارك في تحرير / (المؤيد) وكان أحد خطباء الثورة العرابية. من مؤلفاته: (تاريخ الأدب)، و(مميزات لغات العرب)، وله ديوان منشور. (الأعلام 2 / 265).

(4) أحمد ذو الفقار الكاشف (1295 - 1367هـ / 1878 - 1948م): شاعر مصري، قوقازي الأصل. قال خليل مطران: (الكاشف ناصح ملوك، وفارس هيجاء، ومقرع أمم، ومرشد حيارى)، اتُّهم بالدعوة إلى إنشاء خلافة عربية يُشرف عرشها على النيل، وحُدِّدت إقامته في قريته (القرشية) بمحافظة الغربية؛ فكان لا يبرحها إلا مستتراً. (الأعلام 1 / 124).

مخيلاً، ولكنه خير ممن بعده على كل حال.

2 - المنفلوطي[1]: قصائد هذا الشاعر تشفُّ عن عين سارقة لا بارقة، وليس له معنى ينفرد به، ولا هو ممن تشفع لهم الكثرة.

3 - محرم[2]: سليقة عربية، ومعان عاميَّة، وسوء اتباع مع دعوى ابتداع، وقد يوجد له ما يحسن أن يُسمى شعراً.

4 - العبد[3]: إذا لم يصح ما يقال من أنه يجمع كلمات من يختلط بهم؛ فهو من شعراء هذه الطبقة، ولا أظنُّ أن في بني جلدته شاعراً غيره، وحسبه ذلك على طول السودان وعرضه.

5 - العزبي[4]: قرأت له ما تنشره (الثريا)، وهو شعر منسجم، ويظهر أنه يحاول الارتفاع عن أسلوبه؛ فإذا أفلح ارتقى.

---

(1) مصطفى لطفي المنفلوطي (1872 - 1924م): ولد بصعيد مصر، وتعلَّم بالأزهر، واتصل بالشيخ محمد عبده، وعمل بوزارة المعارف ووزارة الحقانية وأمانة سرِّ الجمعية التشريعية، وأخيراً في أمانة سرِّ المجلس النيابي حتى وفاته. من آثاره: (النظرات)، و(مختارات المنفلوطي)، و(كلمات المنفلوطي). (معجم المؤلفين 12 / 272).

(2) أحمد محرم (1294 - 1364هـ / 1877 - 1945م): شاعر مصري من أصل تركي، ولد في إبيا الحمراء من قرى الدلنجات بالبحيرة، تلقَّى مبادئ العلوم، وتثقَّف على يد أحد الأزهريين، وسكن دمنهور وتوفي بها. من آثاره: (ديوان محرم)، (ديوان مجد الإسلام) أو (الإلياذة الإسلامية في تاريخ الإسلام شعراً). (الأعلام 1 / 202، ومعجم المؤلفين 2 / 57).

(3) محمد إمَام العَبْد (1279 - 1330هـ / 1862 - 1911م): شاعر وزجَّال سوداني الأصل، ولد ونشأ ومات في مصر. قيل كان خطيباً مفوَّهاً، تجري النكتة في بيانه فلا يُمل سماعه، اتصل بالشيخ محمد عبده، وله فيه أشعار. عانى حياة الفقر وشظف العيش حتى توفي بالقاهرة (الأعلام 6 / 40، ومعجم المؤلفين 9 / 67).

(4) علي علي العزبي: (1301 - 1361هـ / 1883 - 1942م)، ولد في مدينة دمياط بمصر، وتوفي فيها، عمل في مجال التعليم الخاص، فأنشأ مدرسة (شمس الفتوح)، كما أنشأ جريدة (دمياط) الأسبوعية في 1936، وكان رئيساً لجمعية (التربية الحقَّة) الأدبية بدمياط، كما كان عضواً في حزب مصطفى كامل (الحزب الوطني) (معجم البابطين 13 / 405 - 407).

6 - نسيم[1]: الكلام عنه طويل، ولم أتثبَّت من حقيقته إلى اليوم، وكان قد سرق قصيدة للطويراني برُمَّتِها ونشرها يهنِّئ بها جلالة ملك الإنكليز، وقبض عليه يومئذ حافظ إبراهيم، وهو قد نشر أخيراً قصيدة في عيد الجلوس الخديوي استحسنت له بعض أبياتها، ولكوني عرفت مبدأه لا أجزم بمنتهاه.

بقي أن أذكر شاعرين كبيرين من شعراء العراق وأنا لم أخالطهما، ولا رأيت لهما الشيء الكثير؛ ولكني سمعت عنهما من صديق لهما، والذي قرأت من شعرهما يدل على الصنعة البالغة والفكر المهذب، أولهما:

7 - السيد إبراهيم[2]: سمعت عنه أن له قدرة غريبة على الارتجال، وطريقة بديعة في الإنشاد، يُضحِكُ بها ويُبكِي، ومن قوله يذكر ولديه وكانا في سفر:

لم آلُ صبراً عنك يا (حسن) الظبا
وعن الأغن (محمد) الغريدِ

إن أتْلعَا فزعين قلت جويذران
تشوفا بتلاع رمل زرود

أبعدتما عني فصوَّح ناضري
عودا بجدكما ليُورِقَ عُودِي

---

(1) أحمد نسيم عثمان (1878 - 1938م): شاعر مصري أُطلق عليه (شاعر الحزب الوطني) وارتبط بالحركة الوطنية، ولد بالقاهرة وتُوفي بها، عمل في دار الكتب المصرية بالقاهرة وأشرف على تصحيح الدواوين الشعرية القديمة التي تولت الدار نشرها آنذاك، صدر ديوان شعره سنة 1908م (الأعلام 1 / 264، ومعجم المؤلفين 2 / 194).

(2) إبراهيم بن حسين بن رضا الطباطبائي (1248 - 1319هـ / 1832 - 1901م): عالم دين وشاعر عراقي، كان مولده ووفاته بالنجف، تلقى تربيته الأولى على يد أبيه (بحر العلوم)، وبهذا اللقب (بحر العلوم) لقب تعرف به أسرته، وله ديوان شعر مطبوع عنوانه: (ديوان الطباطبائي) (معجم البابطين 1 / 169 - 171).

وأمـــا وضـــوء الـــنـــيريـــن لأنـــتـــمـــا

قـــمـــرا ســـعـــودي في الـــلـــيـــالي الـــســـود

مـــا أنـــتـــمـــا إلا كـــقـــرطـــي غـــادة

يـــتـــذبـــذبـــان عـــلـــى خـــدود الخـــود

أو درتـــا صـــدف تـــعـــلـــقـــتـــا حـــلـــىً

في جـــيـــد عـــاطـــلـــة الـــســـوالـــف رود

أبـــنـــيَّ لا يـــجـــدِي الـــتـــعـــلـــل عـــنـــكـــمـــا

بـــابـــن الـــغـــمـــام ولا ابـــنـــة الـــعـــنـــقـــود

8 - والثاني محمد النجفي[1]: وله من موشَّح في الخمر:

حـــربـــهـــا حـــربـــي وســـلـــمـــي ســـلـــمـــهـــا

فـــأنـــا مـــغـــري بـــهـــا مُـــســـتـــهـــتَرُ

مـــن خـــدود الـــغـــيـــدِ يُـــجـــنـــى كـــرمُـــهـــا

وبـــأحـــداق المـــهـــا تُـــعـــتـــصـــرُ

فـــإذا مـــا فُـــضَّ عـــنـــهـــا خـــتـــمُـــهـــا

في الـــدُّجـــى بـــات الـــدجـــى يَـــسْـــتَـــعِـــرُ

ســـكـــب المـــاء بـــهـــا فـــاشـــتـــعـــلا

وأبـــت شـــعـــلـــتـــهـــا أن تـــنـــطـــفـــي

(1) محمـد سعيـد الحبوبي النجفي (1266 - 1334هـ / (1849 - 1915م): من علماء الشيعة، ولد بالنجف الأشرف بالعراق، ترك نظم الشعر قبل وفاته بنحو ثلاثة عقود، واتجه إلى العلوم الدينية، ربطته علاقة وثيقـة بجمـال الدين الأفغاني، كان له جهاده ضد المحتل البريطاني، له ديـوان منشور. (الأعلام 6 / 142، معجم المؤلفين 10 / 39).

وهـــي في الحــالـــين عــنــد الــنُّبــلا
مُـــنْـــيَـــة المـقــتــبِــس المـعــتـرِف

* * *

كـــنْ لـــدى جـلـوتِـهـا مُـنـتـبـهـاً
فـعـلـى تـكـيـيـفـهـا طـــالَ الـلـجـاجْ
أهـــي بــالـكــأسِ أم الــكــأس بـهـا
إذ بـــدتْ صــرفـاً فـأخـفـاهـا المِـزاج
وهـــمـــا شـــــيء بـــــدا مـشـتـبـهـا
أم هــمــا شــيـئـان خــمــرٌ وزجـــاج
لا الـطِّـلا كـأسٌ، ولا الـكـأس طِـلا
عَـــزُبَ الـقَـصْـدُ عـلـى المعـتـسـف
بــل لـهـا إن شـئـت فـاضــربْ مـثـلاً
وحـــــدةَ الـــوصـــفِ مـــع المتـصـف

وفي العــراق شعــراء كثـيرون وكذلــك في سوريــا، ولكنني إنمــا كتبت عمَّن عرفتهــم أو سمعت بهم، ولا بد لي قبل إلقاء القلم من ذكر عجيبة، وهي أن (مجلة الهلال) اقترحت على قرائها منذ سنين أن يذكروا من أشعر شعراء مصر؛ فأخذ حضــرات الأدباء المتفنِّنين المجيدين الذين يفتخر بهم الشرق يكتبــون آراءهم، ويثبتون مذاهبهم، ولم أدهش ممــا كتبوا، ولكنني دهشت ممن نشر لهم تلــك الكتابة، فبعضهم قال إن أشعر شعراء مصر (عبدالله

فريــج)[1]، والآخر قال إنه (حفني بك ناصف)، وهكذا من مثل هذه الآراء، وأخــيراً جمعــت الأصوات وانفضــ (البرلمان)، وبقــي كل شاعر في بيته بين أهله وذويه، باسمه الذي سمي به.

وســنرى ما يكون من امتعاض الشعراء بعد هذا المقــال، ولكني أطلب إليهم أن يخفضُّــوا على أنفسهم، فــلا أنا من معيَّة الأمير، ولا من حاشية السفير، وليس ما كتبتُ إلا رأيي، فليبق كل في رأيه وعند نفسه أشعر الشعراء.

(مصر) [2]

---

(1) عبــد الله نــوح فريج (ت 1907م): أديب ومدرس قبطي، ولــد في مصر وتوفي بها، عمل مدرساً بطنطا ثم انتقــل إلــى القاهرة. له كتــب مطبوعة، منها: (أريج الأزهــار في محاسن الأشعار) و(أنــوار الأفكار في سمــاء الأشعار) و(الروض النضير في صناعة التشطير) و(سمير الجلَّاس في بديع الجناس) و(سمير الجليس في محاسن التخميس) (الأعلام 4 / 142).

(2) وقــد كتبــت المجلــة في تذييل المقال: «ألقــى إلينا مكتب بريد الزيتــون يوماً ملفاً ضخمــاً وارداً من مصر وداخله كتاب موجز ومعه المقالة المتقدمة للنشر، أما الكتاب فهذه صورته بعد الديباجة:

دونك مقالة بكراً لم ينسج على منوالها بَعْدُ في العربية، حَرِيَّةٌ بأن تُصدَّر بها مجلتك الغراء، ولا يروعنَّك شــدة لهجتها، فكلها حقائق ثابتة، وإن آلمت البعض فإن الحقَّ أكبرُ من الجميع، وإني لبالمرصاد لكل من ينبري للردِّ عليها، وأنا كفوءٌ للجميع، وما أخال أحداً يستطيع أن ينقض حرفاً مما كتبته، وإن هم لزموا الصمت فحسبك من سكوتهم إذْ ذاك إقراراً بأني أنزلت كل شاعر في المنزلة التي يستحقها، ولا يعنيك معرفة اسمي فأنا (ابن جلا وطلاع الثنايا)، فانظر إلى ما قيل، وليس لمن قال، وبعد هذا فإن أعجبتك مقالتي فانشرها، وإلا فاضرب بها عرض الحائط.

وإني أقــترح عليــك أن تنشــر جميع ما يردك من الــردود في المعنى سواء جاهر أصحابُهــا بأسمائهم أو تســتَّروا فــإن الموضــوع طليٌّ شهــيٌّ وفي إطلاقك الحرية للكتَّــاب ما ينشط بهم لحريــة الجولان في هذا المضمار.

(أحد المشتركين) (مصر)

وقــد تصفَّحْنا المقالة فراعنا شــدَّةُ لهجة الكاتب وبتنا نقدِّم رجلاً ونؤخر أخرى في نشرها؛ إلى أن تغلب علينا الميل لنشرها إن لم يكن لشيء فلكثرة ما حوته من رائق الأشعار لفحول الشعراء وهم نخبة شعراء مصــر في هــذا العصر؛ فأقدَمْنا على نشرها كما وردتنا بالحــرف الواحد غير متحملين تبعتها وللكتَّاب الأدباء الحرية في الردِّ عليها، وأبواب الثريَّا ترحب بكل ما يردها من هذا القبيل سواء من المشتركين أو غيرهم.

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه

شعر البارودي[1]

كان الشعر إلى فجر القرن الخامس كأنما يتخطَّى روضةً فينانةً أخذ من جانبها إلى ما يقابله؛ فكان في مبتدئه ذلك الحائط الخشن مما هو كالسور والحياطة لما وراءه، وذلك عصر البداوة على تقلبات اللغة فيه، فإن غاية ما كان من أمر الشعر يومئذ أن يترقرق على الألسنة ألفاظاً عذبة وأكثره كشجر السرو له رواء وما له ثمر، وللعرب في ذلك عذرهم الذي لا يُدفع ما دامت تلك أرضهم، وذلك مقدار ما تناولوه من بساط العيش، وما تقلَّبوا فيه من أعطاف العمران.

غير أن السماء بما ينزل منها وما يعرج فيها وما تنير به؛ كانت لا تزال مرمى أبصارهم ومطرح أشعتها، فلم يعدموا جهة ينفذ منها النسيم إلى أفئدتهم فيختلج فيها خاطر رائع أو وصف بديع، وكذلك ما خلق الله بينهم من مهوى القلوب ومسرح الأبصار، وما أحسب شاعراً كان أشهر فيهم من فارس يصف حرباً، أو بليغ ينعت سرباً، أو متوجِّع يشكو قلباً.

وما زال الشعر يتخطَّى من تلك الروضة، وكل جيل منه يقف من الظل والماء والرياحين عندما لم يجد سلفه من صنوف ذلك، حتى خرج آخره من الجانب الثاني، وإذا هو بالطلول في المدائن، والدمن في الرياض، والبُرى تُقعقع بين الكؤوس والأباريق، والهجير يشوي الوجوه في ظل الورد والرياحين، إلى غيرها مما أحاله عن وضعه وخفضه بعد رفعه وجعله وخماً ثقيلاً لا

يُهدم ومن لا يظلم الناس يُظلمُ

(1) مجلة المقتطف، مج 30، العدد 3، 24 ذو الحجة 1322هـ / 1 مارس 1905م، ص 189 - 195. وفي رسائله لأبي رية بعض آرائه النقدية في شعر البارودي، راجع: ص 31، ص 37. وقد بدأت العلاقة بين الرافعي والبارودي قبل نهاية القرن التاسع عشر: ففي مسرحية (حسام الدين الأندلسي) التي أعدنا تقديمها للقارئ تقريظ شعري للبارودي لم نجده في ديوانه (راجع المسرحية، طبعة دار البشير، 2015م).

يُساغ ولا يهضم، ولكن تلك العصور لم تخلُ من الأنفاس العذبة، فإن أيام الصيف بما يُملُّ من طولها، ويُذيب الأدمغة من حَرِّها لا تبخل بنفحة يخفق بها منديل الأصيل، أو يهتز لها ذيلُ السحر، ومن تلك النسمات كان شعر البارودي رحمه الله، على حين لم يكن في مصر إلا النكباء والسموم، فقد كان صاحب الوقت بزعم أهله محمود أفندي صفوت، وهو قد أخذ لواءه من الدرويش، وانضوى إليه مثل الليثي والبخاري والإبياري وأبو النصر والنديم ومجدي ورفاعة وسواهم.

وإن قصارى ما يكون من أبرعهم شعراً وأبدعهم صنعة إذا نفض رأسه وزاد في حركة قلبه وضرب على جبهته بكلتا يديه أن يعطس ببيت فيه نكتة من البديع أكثر ما تكون من نحو حسن الأخذ والتضمين والاقتباس إلى ما يُماثلها، وكان ابتداء الشاعر في تلك الأيام أن يأخذ عن الطبقات الدنيا فينشأ منها إذا كان موفقاً أو يكون أدنى بحكم الطبع، ولكن البارودي كان من صفاء الفطرة ونقاء الذهن وكمال الاستعداد ونصيحة أهل البصر؛ بحيث وجد السبيل فابتدر الغاية.

ومن أعجب أمره ما تراه فيما كتبه عنه الشيخ حسين المرصفي منذ ثلاثين سنة، وهو أستاذه، قال: «إنه لم يقرأ كتاباً في فنٍّ من فنون العربية، غير أنه لما بلغ سن التعقل وجد من طبعه ميلاً إلى قراءة الشعر وعمله؛ فكان يستمع بعض من له دراية وهو يقرأ بعض الدواوين، أو يقرأ بحضرته حتى تصوَّر في برهة يسيرة هيئات التراكيب العربية، ومواقع المرفوعات منها والمنصوبات والمخفوضات، حسبما تقتضيه المعاني والتعلقات المختلفة؛ فصار يقرأ ولا يكاد يلحن، قال: وسمعتُه مرة يُسكِّن ياء المنقوص والفعل المعتل بها المنصوبين؛ فقلت له في ذلك؛ فقال: هو كذا في قول فلان، وأنشد

شعـراً لبعض العرب؛ فقلـت: تلك ضرورة، وقـال علماء العربيـة إنها غير شاذة، ثم استقل بقراءة دواوين مشاهير الشعراء من العرب وغيرهم حتى حفـظ الكثير منها دون كلفـة، واستثبت جميـع معانيها ناقـداً شريفها من خسيسهـا، واقفاً على صوابها وخطئها، مدركاً مـا ينبغي وفق الكلام وما لا ينبغـي»، وهذا ليس بأعجب من أمر الشاعر ابن حمـدان المعروف بالخباز البلدي[1]؛ فقد كان أميـاً، وكان الشعراء يذهبون إليه في مخبزه يتلقون عنه ويُساجلونه، وشعرُهُ مع ذلك أطروفة نادرة، كقوله من أبيات:

أقلُّ ما بيَّ مِن حُبَّيك أن يدي

إذا دَنتْ مِن فؤادي كادَ يُنضِجُها[2]

وقوله:

يـــاذَا الـــذي أصــبـحَ لا والــدٌ

لــهُ عـلـى الأرضِ ولا والــدهْ

قـــدْ مـــاتَ مــن قـبـلـهـمـا آدمٌ

فــأي نـفـس بـعـدَه خـالـدةْ؟!

إن جـئـتَ أرضـــاً أهـلُـهـا كـلُـهـم

عُـورٌ فـغمِّـض عـينـكَ الـواحـدةْ[3]

---

(1) عُـرف بلقـب الخبَّاز البلدي شاعران همـا: أبوبكر محمد بن أحمد بن حمـدان (ت 427هـ)، ويحيى بن محمد الخباز البلدي الحموي (ت 773هـ).

(2) ذكر الثعالبي أن البيت لابن حمدان 2 / 244، راجع: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق الدكتور مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1403هـ / 1983م. وفي معجم الأدباء أن البيت للسري بن أحمد بن السري المعروف بالسري الرفاء الموصلي 1 / 476.

(3) الشعـر لأبـي بكر محمد بن أحمد بن حمـدان المعروف بالخباز البلدي. راجـع: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر لأبي منصور الثعالبي، شرح وتحقيق مفيد قميحة، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٣م،

وعلى ما رأيت من كلام المرصفي؛ جاء شعر المترجم مونق الرَّوِيّ، متلائم النسج، حسن المعرض، مطروح العبارة إلى حيث تشير القلوب، ولو أنَّ الله أعطاه مع ذلك خيال حكيم كالمتنبي أو غيره؛ لكان أشعر من سمعتْ أذنٌ شعره، وأنا وإن كنتُ أُجِلُّ الرجل لحسن صحبته، ولطف محادثته، وبشاشة محضره وأدبه؛ غير أني في كتابتي عنه لا أكون كذلك الأعرابي الذي بلغ من حبه أن يرى الشمس على حائط من يهوى أحسنَ منها على حيطان جيرانها.

وللسبب الذي قدمتُه؛ لم يكن شاعرنا كامل التصرُّف في فنون المعاني، وإن كان أشعر من جميع معاصريه بلا مراء، غير أنه أتمَّ ذلك النقص بما أتقن من جمال الصنعة وبديع الرواء، فلو أنك جرَّدت أكثر معانيه من ألفاظها، وما أحاطها به من الصياغة؛ لرأيت ما لا ينفرد به؛ بل ما ربما انفرد بغيره سواه، إليك مثلاً قوله في التذكر:

يا ذُكْرَةً أبصرتُ في
مرآتِها صورَ التَّمنِّي
علقتْ حِبَالةُ خاطري
فيها بمكْحُولٍ أَغَنِّ[1]

ففي البيتين من حسن الصنعة وحذقها ما يأخذ بالقلب؛ ولكن النَّفَسَ قد هبط في البيت الثاني وانقطع في آخره، وسكن القلب فجأة؛ لأن الشعر في ذلك غير تام.

وبعضهم يرى مثل ذلك من أجمل الكلام أخذاً بقول الشيخ عبدالقاهر

ج٢، ص٢٨٤.

(1) انظر: ديوان البارودي، ص 695 - 696، حقَّقه وضبطه وشرحه علي الجارم ومحمد شفيق معروف. وفي مقال الرافعي في البيت الثاني)منها) بدلاً من (فيها).

الجرجاني في حد البلاغة إنها ليست في اللفظ ولا في المعنى؛ ولكنها في الأسلوب، ويفهمون من الأسلوب أنه مجرى الكلام وسياقه؛ ولكني لا أدري كيف هذا والأسلوب لا يسوقه غير المعنى؛ فالبلاغة في الحقيقة هي التصرف في المعاني المنصرفة إلى الأغراض، وذلك يتناول الألفاظ؛ لأن المعاني لا تقوم بغيرها، ويتناول الأسلوب؛ لأنه طريق تلك المعاني التي تنصرف فيها.

أما نمط البارودي في النظم فهو غاية ما دارت له الألسنة، عذوبة تكاد ترشف، وجزالة تلعب بالنفس، وسلامة يستريح في ظلها القلب، وتستنشق نسيمها الكبد، فهو الغدير أعذب ما يسكن، والمرآة أصفى ما تكون، ولشدة رغبته في ذلك النمط وانصرافه إليه؛ جعله المرجع في اختيار ما اختاره من شعر الشعراء في مجموعاته التي سمَّاها باسمه، فحيث انتهى إلى اللفظة الممتلئة رواء؛ أسرع فاقتطفها بقلمه.

كنت ذات عشية عنده؛ فرأيت إلى جانبه جزءاً من ديوان مهيار الديلمي؛ فتناولته وجعلت أقرأ قصيدةً كان قد علَّم ما اختاره منها، وجملة ذلك أبيات؛ فسألني أن أُعرِّفه رأيي فيما اختاره منها؛ فلم أذكر له غير بيتٍ واحدٍ كان فخم المعنى، ولم تكن تلك القصيدة مما يُضيء فيه ذهن مهيار؛ فضحك -رحمه الله- وكذلك جرى في تلك المجموعات.

كان يُقدِّم أبا تمام على المتنبي؛ فسألني في ذلك مرة؛ فقلت إن الذي ذكره نقاد الكلام أن المعاني المخترعة لأبي تمام ثلاثة بعد أن عدها بعضهم ثلاثين، والمتنبي وإن كان قد افتضح في سرقاته؛ إلا أن له ما ليس لأبي تمام في بعض معانيه، على أن كليهما قد تعثر في ألفاظ كثيرة؛ فقال: ولكن شعر أبي تمام أجزل، وصنعته أوضح وأتم، ونسيتُ يومئذ أن أذكر له أن بعض الأعراب سمع قصيدة أبي تمام (طلل الجميع لقد عفوت حميداً)؛ فقال:

إن في هذه القصيدة أشياء أفهمها، وأشياء لا أفهمها؛ فإما أن يكون قائلها أشعر من جميع الناس، وإما أن يكون جميع الناس أشعر منه.

وأنا ذاكرٌ طرفاً من شعره ونتفاً من بدائعه -وهو قليل كما أخبرني رحمه الله- فقد ذكر لي من أشهر أنه لا يتجاوز ثلاثة آلاف بيت، قال من قصيدة يُعارض بها النواسي في قوله: (أجارة بيتينا أبوك غيور):

تلاهَيْتُ إلاَّ ما يُجِنُّ ضَميرُ

وَدَارَيْتُ إلاَّ مَا يَنِمُّ زَفِيرُ

فيا قاتلَ اللهُ الهوى، ما أشدَّهُ

عَلى المَرْءِ إذْ يَخْلُو بِهِ فَيُغِيرُ!

تَلينُ إليه النَّفسُ وَهي أبيَّة

وَيجْزَعُ مِنْهُ الْقَلْب وَهْوَ صَبُورُ

لَطَالَ عَليَّ اللَّيْلُ حَتى مَلِلْتُهُ

وعَهدِي بِهِ -فيما عَلِمتُ- قصيرُ

ألا، فَرَعَا اللهُ الصِّبَى، مَا أَبَرَّهُ،

وحيَّا شَباباً مَرَّ وَهوَ نَضيرُ

إذِ الْعَيْشُ أَفْوَافٌ، تَرِفُّ ظلالُهُ

عَلينا، وسَلْسالُ الوَفاءِ نَميرُ

وَإذْ نَحْنُ فيما بَيْنَ إخْوَانِ لَذَّة

عَلى شِيَمٍ مَا إنْ بِهِنَّ نَكِيرُ

تَدُورُ عَلَيْنَا الْكَأْسُ بَيْنَ مَلاعِبٍ

بِها اللَّهْوُ خِدْنٌ، وَالشَّبَابُ سَمِيرُ

فَأَلْحَاظُنَا بَيْنَ النُّفُوسِ رَسَائِلٌ
وريحانُنا بينَ الكؤوسِ سَفيرُ

عَقدنا جناحَي ليلِنا بنهارِنا
وطِرنا معَ اللذَّاتِ حيثُ تَطيرُ

وقُلنا لِساقينا أدِرها، فإنَّما
بَقاءُ الفتى بَعدَ الشَّبابِ يَسيرُ

فَطافَ بِها شَمسيَّة لَهبيَّة
لَهَا عِنْدَ أَلْبَابِ الرِّجالِ ثُؤورُ

إذا ما شَرِبناها أقمنا مَكاننا
وَظَلَّتْ بِنَا الأَرْضُ الْفَضَاءُ تَدُورُ[1]

وهذا البيت على ما تراه من الرونق والحسن، هو بيت القصيدة، وأنا أغتفر له ما فيه؛ فقد تقدم أنه نشأ على الحفظ، ومن كان ذلك مبدأه؛ فقلما يسلم من مثل هذا، فإن البيت لأعرابي كان سائحاً؛ فوقع إليه أن امرأته تزوجت؛ فقال من أبيات:

أتاني بظَهرِ الغَيْب أن قد تَزَوَّجَت
وظلَّت بيَ الأرضُ الفضاءُ تدُورُ[2]

ويحسن بي توفية للفائدة أن أذكر هنا أبياتاً من قصيدة لابن دراج الأندلسي

(1) ديوان البارودي، ص 209.
(2) في الأغاني أنه لمزاحم بن عمرو بن مرة 19 / 109.

المشهور المعروف بالقسطلي، قالها في معارضة قصيدة النواسي المذكورة، ومنها يخاطب امرأته:

ألم تعلمي أن الثواء هو النوى
وأن بيوت العاجزين قبور
ذريني أرد ماء المفارز آجناً
إلى حيث ماءُ المكرمات نمير
فإن خطيرات المهالك ضمن
لراكبها أن الجزاء خطير
ولما تدانت للوداع وقد هفا
بصبري منها أنة وزفير
تناشدني عهد المودة والهوى
وفي المهد مبغوم النداء صغير
عيي بمرجوع الخطاب، ولفظه
بموضع أهواء النفوس خبير
تبوأ ممنوع القلوب، ومهدت
له أذرع محفوفة ونحور
عصيت شفيع النفس فيه وقادني
رواح لتدآب السرى وبكور
وطار جناح البين بي وهفت بها
جوانح من ذعر الفراق تطير[1]

(1) راجع: ديوان ابن دراج القسطلي، ص 298، حققه وعلق عليه وقدمه الدكتور محمود علي مكي، منشورات

فــلا تجد أحسن من وصفه نطق الصغير في قوله (عيي إلخ) وقال البارودي على روي قصيدة الشريف (لغير العلا مني القلا والتجنب):

سِــوَايَ بِتَـحْـنَـانِ الأَغَـارِيـدِ يَطْـرَبُ
وَغَــيْرِيَ بِـالـلَّـذَّاتِ يَلْـهُـو وَيُـعْـجَـبُ

وَمـا أَنَـا مِمَّــنْ تَـأْسِـرُ الْخَـمْـرُ لُبَّه
وَيَمْـلِـكُ سَـمْعَـيْـه الْــيَرَاعُ الْمُـثَـقَّـبُ

وَلَـكِـنْ أَخُــو هَـمٍّ إذا مـا تَـرَجَّـحَـتْ
بِـهِ سَــوْرَةٌ نـحْـوَ الْـعُـلاَ رَاحَ يَــدْأَبُ

بَعِيدُ مَنـاطِ الْـهَـمِّ فَـالـغَـرْبُ مَشْرِقٌ
إِذَا مَـا رَمَـى عَيْنَيْـه والشَّـرْقُ مَـغْـرِبُ

لَــهُ غُــدُواتٌ يَـتْـبَـعُ الْـوَحْـشُ ظِلَّـها
وَتَـغْـدُو عَلـى آثَـارِهـا الـطَّـيْرُ تَـنْـعَـبُ

خُـلِـقْـتُ عَـيُـوفـاً لا أَرَى لابْــنِ حُـرَّةٍ
عَلَيَّ يَـداً أُغْـضِـي لَـها حِـينَ يَـغْـضَـبُ

فَـلَـسْـتُ لأَمْــرٍ لَمْ يَـكُـنْ مُـتَـوَقَّـعَـاً
وَلَـسْـتُ عَـلى شَـيْءٍ مَـضَـى أَتَـعَـتَّـبُ

أَسِـيرُ عَلَـى نَـهْـجٍ يَـرَى النَّـاسُ غَـيْرَهُ،
لِـكُـلِّ امْــرِئٍ فِي مـا يُـحـاوِلُ مَـذْهَـبُ

المكتب الإسلامي بدمشق، طبع على نفقة الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني، الطبعة الأولى 1381هـ / 1961م.

وَإنّي إذا ما الشكُّ أَظْلَمَ لَيْلُهُ
وأَمْسَتْ بِهِ الأَحْلامُ حَيْرَى تَشَعَّبُ
صَدَعْتُ حِفافَيْ طُرَّتَيْهِ بِكَوكَبٍ
مِنَ الرَّأْيِ لا يَخْفَى عَلَيْهِ الْمُغَيَّبُ
وَبَحْرٍ مِنَ الْهَيجَاءِ خُضْتُ عجاجه
وَلا عاصِمٌ إِلَّا الصَّفِيحُ الْمُشَطَّبُ
تَظَلُّ بِهِ حُمْرُ الْمَنَايا وَسُودُها
حَواسِرَ فِي أَلْوانِها تَتَقَلَّبُ
تَوَسَّطْتُهُ وَالْخَيْلُ بِالْخَيْلِ تَلْتَقي
وَبيضُ الظُّبَا فِي الْهَامِ تَبْدُو وَتَغْرُبُ
فَما زِلْتُ حتَّى بَيَّنَ الْكَرُّ مَوْقِفي
لَدَى ساعَةٍ فيها الْعُقُولُ تَغَيَّبُ
لَدُنْ غُدْوَةٍ حَتَّى أَتَى الليلُ وَالْتَقَى
عَلَى ساطعٍ مِنْ غيهبِ النَّقْعِ غَيْهَبُ[1]

ثم انتقل من هذا الوصف الرائع إلى وصف اللهو والقنص والتغلغل في الملذات، وعلى ذلك أكثر قصائده المطلقة.

وقال من الفخر كلمة أخرى في روي قصيدة أبي فراس (أراك عصي الدمع شيمتك الصبر):

(1) ديوان البارودي، ص 57 - 58، وفي الديوان (عُبابُهُ) بدلا من (عجاجه).

وإنّي امرؤٌ لولا العوائقُ أذعَنت
لسلطانه البدو المُغيرَةُ والحَضرُ
مِنَ النَّفرِ الغُرِّ الَّذينَ سُيُوفُهُمْ
لَهَا في حَوَاشي كُلِّ دَاجِيَةٍ فَجْرُ
إذَا استَلَّ مِنْهُمْ سَيِّدٌ غَرْبَ سَيْفِه
تفزَّعت الأفلاكُ والتفَتَ الدَهرُ
لَهُمْ عُمُدٌ مَرْفُوعة وَمَعَاقِلٌ
وألويةٌ حُمرٌ وأفنيَةٌ خُضرُ
وَنَارٌ لَهَا فِي كُلِّ شَرْقٍ ومَغْرِبٍ
لمُدَّرعِ الظَّلْمَاءِ أَلْسِنَةٌ حُمْرُ
تَمُدُّ يَداً نَحْوَ السَّمَاءِ خَضِيبَة
تصافحها الشِّعرَى ويلثِمُها الغَفرُ
وَخَيْلٌ يَعُمُّ الْخَافِقَيْنِ صَهِيلُهَا
نزائعُ معقودٌ بِأعرافِها النَّصرُ
مُعَوَّدة قَطعَ الفيافي كأنَّها
خُداريَّةٌ فتخاءُ ليسَ لَها وكرُ
أقاموا زماناً ثمَّ بدَّدَ شملهُم
أخو فتكات بالكرام اسمه الدهر[1]

(1) المرجع السابق، ص 217.

ومن سحره الحلال هذه الأبيات يصف بها الحرب، قالها منذ ثلاث وثلاثين سنة:

إذا نحنُ سرنا صرَّحَ الشَّرُّ باسمه
وَصَاحَ الْقَنَا بالْمَوْت واسْتَقْتَلَ الجندُ
فَأَنْتَ تَرَى بينَ الْفَرِيقَيْنِ كَبَّةً
يُحَدِّثُ فيها نَفْسَهُ الْبَطَلُ الْجَعْدُ
عَلَى الأَرْضِ منْها بالدِّماءِ جَداوِلٌ
وَفَوْقَ سَرَاةِ النَّجْمِ مِنْ نَقْعِهَا لِبْدُ
إذَا اشْتَبَكُوا أَوْ راجَعُوا الزَّحْفَ خلتَهُمْ
بُحُوراً تَوَالَى بَيْنَها الْجَزْرُ والْمَدُّ
نشلُّهمُ شلَّ العطاشِ وَنَتْ بها
مُرَاغَمَةُ السُّقْيَا وَماطَلَهَا الْوِرْدُ
فَهُمْ بَيْنَ مَقْتُولٍ طَرِيحٍ، وهَارِبٍ
طليحٍ ومأسورٍ يجاذبهُ القدُّ
ونقعٍ كلجِّ البحرِ خضتُ غمارهُ
ولا مَعْقِلٌ إلاَّ الْمَنَاصِلُ والْجُرْدُ
صَبَرْتُ به والْمَوْتُ يَحْمَرُّ تَارَةً
وَيَنْغَلُّ طَوْراً في الْعَجَاجِ فَيَسْوَدُّ
فَمَا كُنْتُ إلاَّ اللَّيْثَ أَنْهَضَهُ الطَّوَى
ومَا كُنْتُ إلاَّ السَّيْفَ فَارَقَهُ الْغِمْدُ

صَـؤولٌ ولِـلأَبْـطَـالِ هَـمْـسٌ مِـنَ الْـوَنَـى

ضـروبٌ وقـلـبُ الـقـرنِ فـى صـدرهِ يعدو

فـمـا مُـهْـجَـةٌ إلاَّ وَرُمْـحِـي ضَـمِـيرُهَـا

ولا لَـبَّـةٌ إلاَّ وسَـيْـفِـي لَـهَـا عِـقْـدُ[1]

وله من أبيات:

أصـبـحـتُ لا أسـتـطـيـعُ الـثـوبَ أسـحـبـهُ

وَقَـدْ أكُـونُ وَضَـافِ الـدرعِ سِـرْبَـالي

ولاَ تـكـادُ يـدي شـبـا قـلـمـي

وكَـانَ طَـوْعَ بَـنَـاني كُـلُّ عَـسَّـالِ

فَـلَـوْ تَـرَاني وَبُـرْدي بـالـنَّـدَى لَـصِـقٌ

حـسـبـتـنـي فـرخَ طـيـرِ بـيـنَ أدغـالِ

غَـالَ الـرَّدَى أبَـوَيْـهِ فَـهْـوَ مُـنْـفـرد

فِي جَـوْفِ خـضـراءَ، لاَ رَاعٍ، وَلاَ وَالي

راجـعـتُ فـهـرسَ آثـاري فـمـا لمحتْ

بـصـيـرتـي فـيـهِ مـا يُـزْرِي بأعمالي[2]

ومنه قوله في الغزل:

هَـلْ مِـنْ فَـتَـى يَـنْـشُـدُ قَـلْـبِـي معي

بَـيْـنَ خُـدُورِ الْـعِـيْنِ بِـالأَجْـرَعِ؟

---

(1) نفسه، ص 141 - 142. وفيه (صبرت له) بدلا من (صبرت به).

(2) انظر الديوان، وقد وردت الأبيات على غير هذ الترتيب، انظر: ص 445 وما بعدها، وفي الديوان (لخلتني) بدلاً من (حسبتني)، و(جوف غَيْنَاءَ) بدلا من (جوف خضراء).

كــانَ مَــعِــي ثُــمَّ دَعَـــاهُ الْــهَــوَى
فَــمَــرَّ بِــالْحَــيِّ وَلم يَــرْجَــعِ
فَــهَــلْ إِذَا نَــادَيْــتُــهُ بِــاسْــمِــه
يُــفِــيقُ مِــنْ سَــكْــرَتِــه أَوْ يَــعِــي؟
فَــأَنْــتِ يَــا عُــصْــفُــورَةَ الْمُــنْــحَــنَى
بِـــاللَّهِ غَــنِّــي طَــرَبــاً وَاسْــجَــعِــي
وَأَنْـــتِ يَــا نَــسْــمَــةَ وَادِي الْــغَــضَــى
مُـــرِّي بِــرَيَّـــاكِ عَــلَــى مَــضْــجَــعِــي
وَأَنْـــــتِ يَـــا عَـــيْنُ إِذَا لَمْ تَــفِ
بِــذِمَّــةِ الــدَّمْــعِ فَــلا تَهْجَعِي[1]

ولست أخشى أن أقول إنه لم يكن واسع الحيلة في هذا النوع من الشعر إلا أبيات مبثوثة في تضاعيف أقواله، وله قصيدة يصف النجوم:

أَرْعَــى الْــكَــوَاكِــبَ فِي الــسَّــمَــاءِ كَــأَنَّ لي
عِــنْــدَ الــنُّــجُــومِ رَهِــيــنَــةً لَم تُــدفَــعِ
زُهْـــرٌ تَـــأَلَّـــقُ بِــالْــفَــضَـــاءِ كَــأَنَّــهَــا
حَــبَــبٌ تَـــرَدَّدَ فِــى غَــدِيــرٍ مُـــتْرَعِ
وَكَــأَنَّـــهَـــا حَــــوْلَ الْمَــجَـــرِّ حَــمَــائِـمٌ
بِــيضٌ عَــكَــفْــنَ عَلَــى جَــوَانِــبِ مَــشْــرَعِ

(1) ديوان البارودي، ص 321 – 322. وفيه (مَرْبَعِي) بدلاً من (مضْجَعي).

وَاللَّيْلُ مَرْهُوبُ الْحَمِيَّةِ قَائِمٌ
فِى مَسحِهِ كَالرَّاهِبِ الْمُتَلَفِعِ

حَسِبَ النُجومَ تَخلَّفتْ عن أمرِهِ
فَوحى لَهُنَّ مِنَ الهِلالِ بإِصبعِ[1]

ولما سبقت إليه بشارة العفو عنه في سيلان بقي بين الشك واليقين؛ فذكر هذا التردد في بيت يُقال إنه أمير شعره وهو:

أُحِسُّ فِي قَلْبِي دَبِيبَ الْمُنَى
وأَلمحُ الشُّبهةَ فى خاطِرِي[2]

والبيت حيث تراه من تصوير الوجدان ودقة الوصف، وكنت سألته مرة أن يوقفني على شيء من شعره الحديث فقال: إن عنترة يقول: (هل غادر الشعراء من متردم) وهذا عيب علينا (كلمته بحروفها رحمه الله) ولذلك شرعت في نقض قصيدته ثم أنشد أبياتاً مطلعها: كم غادر الشعراء من متردم.

يقول في وصف مصر:

هِيَ جنَّةُ الْحُسْنِ الَّتِي زَهَرَاتُهَا
حورُ المَهَا وهَزَارُ أيكَتِها فَمِي[3]

وهذا ما اتسع المقام لاختياره من ذلك الدُّر النظيم، وامتد النَّفَس لذكره من أمر ذلك الرجل العظيم، والله المسؤول أن يجزيه عن اللغة وأهلها بأحسن مما أحيا من فضلها.

---

(1) نفسه، ص 332 – 333.

(2) نفسه، ص 255، وفيه (أَسْمَعُ) بدلاً من (أُحس).

(3) نفسه، ص 586.

جواب على سؤال[1]

قــرأتُ سـؤال البستاني الـذي أورده عليك أيهـا الحاصد في نسبـة ما رواه الكريم الشيخ أحمد آل إبراهيم. وذلك قول القائل:

لقى نبلنا مـرد العـوارض فانثنوا

لأوجـهـهـم مـنـهـا لحـىً وشــواربُ

خلقنا بـأطـراف القـنا لظهورهم

عـيوناً لـهـا وقـع الـسـهام حـواجـبُ

أما الجواب، فالبيتان لعبد العزيز بن نباتة السعدي المتوفى سنة 405 للهجرة وهـو من شعراء سيـف الدولة، وعليه تخرَّج الشريـف الرضي شاعر قريش المشهور، وقد وقع في البيتين تقديم وتأخير لأنهما من قصيدة يأتي فيها سياق البيـت الأول بعد الثاني بأبيـات غير قليلة، وفوق ذلك فـإن رواية البستاني على غير وجهها: قال ابن نُباتة في مطلع القصيدة وهي من قلائده:

رضينا وما ترضي السيوفُ القواضبُ

نجـاذبـهـا عـن هـامـكـم وتجـاذبُ

فـإِيـاكـمُ أن تـكـشـفوا عـن رؤوسكم

ألا إنَّ مـغـنـاطيـسـهـنَّ الذوائبُ[2]

---

(1) ( ) مجلة الزهور، السنة الثالثة، الجزء التاسع، يناير سنة 1913م، ص 493 - 494.

(2) راجـع: يتيمـة الدهر 2 / 454، ديوان ابـن نباتة السعدي (1 / 182) ، دراسـة وتحقيق عبدالأمير مهدي الطائي، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٧٧م.

إلى أن يقول بعد أبيات:

خلقنا بأطراف القنا لظهورهم
عيوناً لها وقع السيوف حواجبُ
أُؤمِّل مأمولاً يُغيرُ صدورها
فواخجلتا إني إلى المجد تائبُ[1]
أبَوا أن يطيعوا السمهريَّة عزَّةً
فصُبَّت عليهم كاللجين القواضبُ
وعادت إلينا عسجداً من دمائهم
ألا هكذا فليكسب المجدَ كاسبُ[2]

ثم يقول منها:

بيوم العُظالى والسيوفُ صواعقٌ
تخرّ عليهم والقسيّ حواصب
لقوا نَبلها مُردَ العوارض وانثنوا
لأوجههم منها لحىً وشواربُ[3]

وبعد يا حاصد الزهور، فأمَّا وقد ضمنت جائزة آل إبراهيم عن طريق الهند؛ فاعلم أن الضامنَ غارمٌ، والسلام.

(1) يتيمة الدهر 2 / 455.
(2) أمالي ابن الشجري 2 / 470، ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة. تحقيق الدكتور محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1413هـ / 1991م.
(3) نفسه، 2 / 471 - 472.

رأي في اللغة[1]

كأننــا لا نزالُ نحتــاجُ في استعمــال كلِّ حرفٍ، ووضع كل كلمــة إلى نصوص هــؤلاء (أصحابُ الصِّحــاح واللسانِ والقاموسِ)، وكأنّ هذه اللغة لا تجري علــى قواعد يمكن أن تنزل منزلــة السنن الطبيعية في الحياة، بحيث لا تأبى في عصــر من العصور أن يُضافَ إليها شــيءٌ من المستحدثات الزمنية. وإلاّ فكيــف وضعها العرب إذن، وكيف تبسَّطوا فيها حتى بلغتْ بهم ما بلغتْ بهم مــن السَّعَة، وكيــف جاء القرآن الكريم من ألفاظهــم نفسها وأجراه فيما لم يستعملــوه ولا لهــم بهِ عهــدٌ، وهو مُعجزة القــوم؟! وكيف فصحــت الألفاظ المولَّدة وأسماء المستحدثات العلمية حتى ألحقت بمادة اللغة؟!

إنَّ القــول إن هذه فصيحة، وهذه مولَّــدة قد مضى زمنه. فإنما كان الباعث عليــه قــرب عهد الــرُّواة من فصحاء الأعــراب في الصــدر الأول، ثم تقليد علمــاء اللغة من المتأخريــن لأولئك الرواة تحقيقاً بشــروط هذا العلم الذي يحملونــهُ وبآدابه التاريخيــة إذا كنَّا في كلّ نقول: نصَّ الجوهري وابن مكرم والمجــد وفلان وفلان، ونغفل عما وراءَ ذلك مما تنصُّ عليهِ طبيعة اللغة من أوزانهــا وقواعدها وطُرُق الوضع والاستعمال فيها، فما نحن بأهل هذه اللغة ولا بالقائمين عليها، ولا هي لغة عصرنا، إنما هي لغة الجوهري وابن مكرم والمجد وفلان وفلان.

لستُ أتردّد في القول إن سبب الضعف الذي طرأ على هذا اللسان إنما هو في هــذه العقول الضعيفة التي تقــوم عليهِ أسوأ القيام، لا بالنظر ولكن بالتقليد

---

(1) مجلــة الزهــور، السنة الثالثــة، الجزء العاشر، فبراير سنــة 1913م، ص 577. وقد كتــب المحرر مقرّظاً للمقــال: «قلنا كلمة في جزء سابق عن (حديث القمر)، وهــو الكتاب الذي وضعه حضرة الكاتب المجيد مصطفــى أفنــدي صادق الرافعي، وكان أن انتقد المؤلفَ أحدُ الكُتّــاب وآخذه ببعض ألفاظ قال إنها من استعمال العامة؛ فنشر الرافعي رداً على ذلك نقتطف منه ما يأتي».

الأعمى، فلا نزال نرجع بكل لفظة إلى حدود البادية، كأنَّ هذه البادية العربية هي جغرافية اللغة، وإنما يستقيم مثل هذا إذا كانت اللغة ميتة ليس فيها قوة النموّ كهذه العقول التي يغني عنها كلها كتابٌ واحدٌ كلسان العرب.

حرفة الأدب[1]

لا أريد من معنى هذه الحرفة ما يتجوَّز به المتكلمون من إملاق أهل الأدب وسوء أثر الزمان عليهم كسوء أثره على بعض الكتب القديمة، ولا ما يترسَّلون به من جفاء الأديب وإطراحه دون منزلته، وتقديره بما ليس من كفايته، وذهابهم إلى أن الأقدار ما برحت تتصرف بسعادته إلى غيره، وبشقاء غيره إليه، كأنه في لغة الأقدار بابٌ من الطرد والعكس، ولا ما يتمثلونه من قبح مكافأة كل أديب لنفسه، وجنايته عليها وابتغائه بها المراميَ في كل ما أجرى إليه من قصد، واستهدف له من غرض، كأنها غيرُ نفسه أو نفس غيره، فما إن يزال ينصب ويتهالك فيما يعاني من أمر الأدب لا يرفق بها ولا يستجمّ لها؛ حتى تسترخيَ جوانبها، وتتناثر بما فيها من قوة، فيحتف عليها كل بلاء، ويمكّن منها لكل قضاء، وهو يرى أن لا بأس على نفسه من شيء، ولو كان الموت ما دام قد استيقن أن لا بأس في لُبِّه.

لا أريد ذلك وما إليه مما عسى أن تبلغ به بلاغة القوم في تفضيل هذه الحرفة إذا هم جمعوا أطراف البيان، وأخذوا في مناحي القول؛ وإنما أشير إلى معنى الحرفة على الحقيقة، وأريد أن أصف شيئاً من أخلاق جماعة يحترفون من الأدب صناعة كسائر المهن؛ والصناعات التي بها قِوام العيش لهؤلاء المستأكلين والمتكسبين من السوقة والمرتزقة، لا على جهة ما تحتاج

---

(1) مجلة الزهور، السنة الثالثة، الجزء العاشر، العدد 31، 24 صفر 1331هـ / 1 فبراير 1913م، ص 537 - 543.

إليـه الحرفة من نفاق السـوق، وتحرّك الصناعة، وتوفير الغلَّة مما تزكو به الثروة ويستطيل النَّماء، وتتصل أسباب الفائدة.

ولكـن على جهـة الحاجة اللازمة في كل حرفـة إلـى الأدوات والآلات، وإلى التمرُّسـ بالأسباب والوجوه، ثم إلى نزعة اللـؤم التي لابدّ منها في كثير من أهل الحرف والصناعات عندما يعرض من اهتضام الحقِّ وبخس المماكسة؛ وعنـد تقليب النظر في أحوال الحرفاء وما أفـاء الله عليهم من خير وبسط لهـم مـن سعة؛ وعند اهتمـام القلب بكسـادٍ إن وقع في الحرفـة، وفوتٍ عن فـات مـن الربح، وضعـف إن أخذ في أطـرافٍ العمل، وصـداع إن ضرب في رأسـ المال؛ وعند نصب البـدن واستفراغ الدَّرع وترميـق الصبر؛ فهذا كله ومـا يكون من بابـه ويتصل بأسبابـه؛ رأيناه في كثير من أهـل الأدب الذين اتخـذوا من الأدب حرفة يُعرفـون بها دون أن تُعرف بهـم، وذهبوا يتَّجِرُون في أخلاقهـم على الناس، ولعـل أحدهم أن يكون أسوأ من الحمق، وأذمّ من الحسـد، وأقبح من الجهل؛ ثم لعلَّـه أن يكون مع ذلك أضعف مَن أنت واجدٌ ممـن يدَّعي الفهم، ويتنبَّل بالعلم ويتنفق بـالأدب، ولكنه يمضي ممدوداً له في غيّـه، وينطلـق منفّساً لـه في باطله، ولا يزال قد ملكـه السَّرَف، ونزت به الضـراوة، وبُعث منه التسلط، حتى يأخذ في كل فنّ من الحمق، ويضرب في كل ناحية من السخف، زرايةً على هذا ونفاسة على ذلك وتربُّصاً بغيرهما.

ثم هو في جماع ينزع إلى لؤم الحرفة، ويتسكع في كل وجهٍ من السفه منتحلاً مـا شاء أن ينتحـل من الأسماء يصنع منها المعاذيـر، ويستر بها على نفسه فضيحـة مـن الأخلاق كان الـرأي أن يتوقَّاهـا قبل أن تظهـر، لا أن يحاول سترهـا وقد ظهرت؛ فربما زعم أنه منتقد أو متصفح، أو هو يصلح عيباً أو يبغـي مرمَّة، ولابـدَّ في هذا ومثل هذا بزعمه من سَـوْرَةِ حمقٍ ونزوة غضب،

ومـن كلمة كزجْرة المؤدب، وأخرى كغمزة المثقف، ونحوها مما يكون انتقاماً ويُسمى في مذهبهم انتقاداً ولعناً، ويُسمى في اصطلاحهم طعناً.

وربما كان الرجل من الحماقة وفساد الأخلاق؛ بحيث يرى سوء الأدب أدباً، والجنف عن الحق الواضح قصداً، والتنطع فيما يجهل عِلماً، وبحيث لا يرى لـه حجة ظاهرة على أحد، إلاّ في العنـاد وركوب الهوى والمخاطرة بالنصفة والمعدلـة؛ فمن ثـمَّ لا يُرى عليه لأحد حجة ظاهرة، ولا يرى أن أحداً يقوم له في الحجاج، أو يثبت معهُ في الخصام، أو يرجح بالحق عليه وعلى باطله وهو ما هو؟! غبي فَدْمٌ إلى الجفاء والغلظة وإلى السخف والفسولة.

وتراه على ذلك يجمع إلى ضعف الرأي قوة العجب، وإلى قلة الصواب كثرة التخطئـة، وإلى بطء الفهم سرعة الحكم، ويرى كأن الله لم يخلق لأحد من الناس عقلاً إلاَّ على قياس من رأسه.

فـإن أنت جئتَه بما يعلو عن فهمه، ويخرج عن طاقته؛ بادرَ فقطعَ فيه برأيه، وجـزم عليـهِ بالركاكة والإحالـة والإفساد وسـوء التعبير! ولِمَـهْ؟! لأنه هو لا يفهمه؛ فلا يوجد من يفهمه ألبتة إذ كان ما زاد عن قياس رأسه لم يكن إلى العقل؛ بل إلى الجنون.

وإن هـو أراد أن يبـتَّ الـرأي في كلام من الكلام، ويتعسـف في الجزم عليهِ بأنـهُ محال لا يستقيم، مفسد لا يصح، مضطـرب لا يتماسك، زعم لك بلا حيـاء أنهُ لا يفهم، وعليك أن تكـون ذكيّاً بالوراثة، منطقيّاً بالفطرة؛ لتنتهي مـن هـذه المقدمة المسلمة إلـى النتيجـة الطبيعية؛ فتقطع بأن مـا لا يفهمهُ هـو لا يُفهم بتـةً إذْ لا يوجد من يستبطن حقيقته في الجيـل كله ما دام علم الهستولوجيـا (الأنسجة) لا يُقيم عليـهِ البرهان بأنَّ رأسه غير ذلك الرأس الذي نصبهُ الله في أرضهِ مقياساً للعقول!

وبعد فإن مِنْ لؤم هذه الحرفة أن ترى صاحبها ساقط الحرمة زمر المروءة، زريَّ النفس بذيئاً متعهراً فحّاشاً في هجائه، أستغفرُ لله؛ بل في انتقاده! يضع لسانه حيث شاءَ من عِرْض أو خُلُق أو صيغة، لا يبالي في كل ذلك أن يكون صدق وبرَّ، أو كذب وفجرَ؛ بل همهُ أن يكون قد أوجع وأمضَّ، وطبَّق المفصل الذي يحزُّ فيهِ لا ينكر من ذلك على نفسهِ نكيراً ولا يغير منهُ تغييراً.

ولا بِدْع فإني رأيت أن أحداً من الناس لا يخلو من الفضيلة إلاَّ كان فيهِ ما يعتدُّه في رأي نفسهِ فضيلة، وأن فضيلة اللئيم التي يراها أن لا يخذله لؤمه دون الاستطالة والتمكن؛ فلو كذب وعقَّ وكفر النعمة، وغمط الحق، وجاءَ بكل مخزية ومُندية، ثم كان له أن يستطيل ويغلب، لقام ذلك عنده مقام الصدق والمبرة والشكر والإقرار والإحسان؛ لكان عند نفسهِ أفضل أهل الفضائل جميعاً؛ فهو لذلك لا يتورَّع عن قول بذيء، ولا يتنزه عن فعل دنيء، ولا يأبى أن يكون أسخف الناس عند الناس إذا كان من نفسهِ ما عرفت.

والغرور -نعوذ بالله منه- فهو ألأم اللؤم في محترفي الأدب خاصة، فلَّما يُؤتى أحدهم إلاَّ من جهته، ولا يعرض له الشيطان إلاّ من قِبَله؛ وإنه لجنون هؤلاء العقلاء إذا كان لكل امرئ شعبة من الجنون، فلو رأيت ذلك المغرور، وَرِم أنفه، أن يكون أحدٌ أولى منه بالحق، أو أحق بالصوت؛ فلجّ في العناد، وجنح إلى الباطل، وأصرّ واستكبر استكباراً!

ولو رأيته قد زيَّن له الغرور، وسوّلت له نفسه الخبيثة أن يهتف بأحد هتفةً مشؤومةً، أو يقوم فيه مقاماً مشهوداً؛ فجعل يفتري الكذب، ويصنع الباطل، وينقض الحق، ويُحيل الصدق، حتى يصف لك أفضل خلق الله؛ فلا تراه في ألفاظه إلاّ غثاً بارداً سمجاً، وأكرم خلق الله فلا تعرفه إلاَّ كزّاً لئيماً متوقحاً، وأعلم خلق الله فلا تصيبه إلاّ جاهلاً غبياً فَدْماً، وأفصح خلق الله فلا تجده

إلاّ عييّاً بكيئاً حصِراً؛ وهذا لا يزال يجترئ على الله، ويمثل بخلقه هذا التمثيل، ويمسخ منهم هذا المسخ حتى لكأن الله إله المخلوقين وهذا المغرور إله الأخلاق، وكأن لله جلَّ شأنه قوة الخلق، ولهذا الأحمق في معارضتها قوة الاختلاق.

ولو قيل لي إن في أديب من الأدباء مائة فضيلة وفيه الغرور، لما صدّقت أن تكون فيه مع هذه الرذيلة فضيلة؛ فإن الغرور لا يكون إلاّ من سوء تقدير المرء لنفسه وتقدير نفسه للناس، وهما خصلتان لا غاية لهما إلاّ تجاوز غاية المدح وغاية الذم؛ وما أسرف امرؤ في مدح إلاّ كاذباً ولا أفرط في ذمّ إلاَّ كاذباً ومتى كانت مع الكذب فضيلة؟!

ولولا هذا الغرور ما استنكف المخطئ أن يفيء إلى الصواب، والضال أن يثوب إلى الحق، والجاهل أن ينزل إلى حيث يتعلم، والناقص أن يخرج إلى طلب الكمال من غيره، وهذا كله تراه على أهونه وأقله في عوامّ الناس وطغامهم وحثالهم، من لا يثبتون على الباطل إلاَّ بمقدار ما يفهمون الحق؛ ولكنه على أعظمه وأتمه في هؤلاء الذين يحترفون الأدب؛ لأنهم أهل زلاقة ولَسَن وصنعة من الكلام، وإنما قلوبهم عند النضال في حصون من وراء أفواههم، فلا تزال تصرع دون قلوبهم كل حجة، أو ترد على أعقابها مهزومة أو كالمهزومة، وهيهات أن تصل إليها مطلقة، أو تنزل فيها إن نزلت إلاَّ مُوثّقة.

وصفة المغرور أن يكون لسانه فوق عقله، وتكون نفسه تحت لسانه، فكيف تراه يكون لو تمت له مع هذه الصفة قوة اللسان، وسرعة البديهة، وشدّة العارضة، واستجابة المعاني وهي أخصّ أدوات حرفة الأدب؟!

على أني -يعلم الله- ما رأيت كالمغرور من هؤلاء الأدباء، يذم لك الغرور،

وينتفـي منه، ويعتده السيئـة المجترحة التي لا تكفّر عنهـا الحسنة بالغةً ما بلغـت، ثم لا تجـده إلا أشدّ الناس كلفاً بأن يكون كل مـا يؤْثَر عن المغرورين مسنـدٌ إليـه، متظاهراً عنــه وأن تفشوَ له بذلك فاشيـة في الألسنة، وتذهب عنه القالة في المجالس؛ ليكون مرهوب الجانب، متقى اللسان، مخشيَّ المعرَّة مستعـاذاً بالله منه، وليُعرف أنه لا يضـع جانبه لخصم، ولا يغتمز فيهِ عدوٌّ غميـزة، وليس أحد معه أبـداً إلا على خطأ، وليس هو مـع أحد أبداً إلا على الصـواب؛ وأنه على ذلك سريع البادرة، قبيح الإزراء، موجع القذع، حاصد اللسـان؛ وأن من حمل نفسه عليه؛ فقـد حملها على التهلكة، وأخطرها لما لا يملـك له دفعاً دفعاً، وطلب بها ما إنَّ المعجـزة كلها في أيسره؛ وأن من أخلد إليه، وشدَّ بهِ يده، والتمس مناصرته؛ فذلك الذي يضرع كل عدو إلى أمانه، ويخرُّ كل قلم ساجداً يطلب المغفرة من لسانه.

إلى صفات أخرى من أمثال هذه، لا يكون الغرور بدونها غروراً، ولا تكون هي في أحد إلا بخذلان من الله.

فما أشأم حرفة الأدب على أهلها وعلى الناس من أهلها!!

على أنه ما من خير إلا وفيه جهة قريبة من الشر تجعله كله شراً إن أُريد، ولا مـن شر إلا وفيه جهة من الخير تحيله كله خيراً؛ فالأمور بأسبابها، والآداب بأخـلاق أربابها، وقلما نبغ أديـب إلا كان إنساناً فوق الإنسان، وإذا اعتبرتَ أخلاقه؛ لا تراه إلاَّ أقرب إلى الملَك أو أقرب إلى الشيطان.

في مستقبل اللغة العربية[1]

إن الجواب على هذه المسائل لا يُلقى في كلمات ولا يُبْتَنى إلا على بحث طويل، غير أنَّا نرمي بنتيجة البحث، ونُعين الجهة التي استقر عندها النظر، وكل جملة مما سنذكره فهي محل تفصيل، ولا يغيبن عن القارئ أن بعض هذه المسائل مركبٌ على قضايا من الغيب، وفي علم الله ما استأثر الله بعلمه، وما إلينا نشأة التاريخ فيكون علينا أن نُصيب في الحكم عليه.

1 - نقول في مستقبل العربية إن الماضي كان مستقبلاً قبل أن يسير ماضياً، فالعوامل الطبيعية التي أثَّرت في بنائه، هي نفسها التي تُعين على استكناه ما بعده، مما لا يزال مستقبلاً إن نفذ الرأي إلى ما بعده، والتاريخ في الحقيقة كأنه ينبت من القبور حيث دفنت القرائح والأفكار والأصول الإنسانية التي يرث منها الخلق.

---

(1) في العدد الزوجي لمجلة الهلال، السنة الثامنة والعشرون، العدد الأول والثاني، محرم وصفر 1328هـ / أكتوبر ونوفمبر 1919م، ص 72، بدأت مجلة الهلال استفتاءً بين رموز الأدب والثقافة في العالم العربي، منهم: خليل مطران، ومحمد كرد علي وغيرهما حول مستقبل اللغة العربية، وقد وُجِّهت إليهم عدة أسئلة للإجابة عليها، وهي:

1 - ما هو مستقبل اللغة العربية في نظركم؟

2 - وما عسى أن يكون تأثير التمدين الأوربي والروح الغربية فيها؟

3 - وما يكون تأثير التطور السياسي الحاضر في الأقطار العربية؟

4 - هل يعم انتشارها في المدارس العربية وغير العالمية وتعلم بها جميع العلوم؟

5 - وهل تتغلب على اللهجات العامية المختلفة وتوحدها؟

6 - وما هي خير الوسائل لإحيائها؟

وقد نُشر ردُّ الرافعي إلى جوار ردِّ عيسى إسكندر المعلوف - صاحب مجلة الآثار - في مجلة الهلال، السنة الثامنة والعشرون، العدد 5، 11 جمادى الأولى 1327هـ / أول فبراير 1920م، ص 398 وما بعدها.

وفي العام 1923م أصدرت دار الهلال كتاباً تضمن هذه المقالات والردود وأسمته (فتاوى كبار الكتاب والأدباء)، وقد أعادت مجلة الدوحة القطرية نشره ملحقاً مع العدد 74، ديسمبر 2013م، وقدَّم له الأستاذ سعيد بنكراد.

وهذه اللغة العربية تمتاز على اللغات كافة بارتباطها إلى الأصلين العظيمين الخالديـن القرآن والحديث، وهمـا على وجه واحد أول الدهر وآخر الدهر، وإليهمـا مناط العقائـد في العالم الإسلامـي كله؛ فقد جعلا هـذه اللغة ولا سبيـل للغـة عليها من حيث هي، كما أنه لا سبيـل لدين على دينها من حيث هـو، وهذا مما يُهوِّن الخَطْب فيهـا إنْ ضعفت أو عَـدَت عليها بعض عوادي الاجتمـاع؛ فإن قوة الحياة المستكِنَّة في أصولها لا تلبث أن تشد منها وتذهب بأمراضها عند أيسر العلاج.

وليسـس يخفى أن الكيان الإنساني قائم على القوى الأدبية، وأصل هذه القوى في العالم الإسلامي هو القرآن، وهو كذلك أصبح من وجوه كثيرة كأنه أصل اللغـة، فمـا دام كل انقلاب اجتماعي فينا لا يأتي على هـذا الأصل؛ فهو لن يأتـي علـى تلك اللغة، وإذا كان الحي لا يُبنى إلا مـن داخله؛ فهو لا يُهدم إلا من داخله.

فالمسألة إذن مـن مسائل الضعف والقوة؛ لا من مسائل موت اللغة وحياتها، وههنـا أصلان عظيمـان يستند إليهمـا الباحث في مستقبـل العربية وقلَّما يلتفت إليهما أحد:

فـالأول: أن سـواد الذين يتكلمون بهـذه اللغة هم من أبعـد الشعوب إعراقاً في تاريـخ المدنية وذهاباً في عصورها، وتغلغلاً في طبقات الميراث الإنساني، وذلك أصل عظيم في الاحتفاظ بها بعد أن صارت قطعة من تاريخهم وكأنها عناية إلهية بهذه اللغة أن لا تستفيض إلا في تلك الشعوب.

والثاني: أن في العربية نفسها نوعاً من الاستهواء بما فيها من جمال التركيب وروعـة اللفظ وحسن الأداء إلـى غيرها من المميزات المعروفة، حتى إنَّ غير أهلها ليكونون في حبهم إياها أحق بها وأهلها.

وظاهرٌ أن لكل لغة قوية وجهاً سياسياً، كما أن لكل سياسة قوية وجهاً لغوياً، فالشعوب قائمة على الاختلاف والتنازع؛ وهنا موضع الضعف والقوة، فإن نهض أهل العربية وكُتبت لهم السلامة من تحكُّم المستعمرين، وجنَّبهم الله هذه المحن التي هي فضائل السياسة؛ فتلك نهضة العربية نفسها، وإن ضعفوا فذلك ضعفها، وما أراها إلا ستنهض في مصر وسوريا نهضة من يستجمع.

وربما شهد الناس دهراً يصلح أن يُسمَّى فيه ما بين العراق إلى الأطلانطيق (جمهورية اللغة العربية) وما هو ببعيد، والله غالب على أمره.

2 - وتأثير التمدين الأوربي والروح الغربية في هذه اللغة؛ فلن يكون إلا على السابقة التي سلفت من تأثير علوم الفرس واليونان وغيرهم، ولا ضرر منه على اللغة فهي قوية متينة تحمل ذلك وتستلحقه، وتأتينا به مستعرباً وإن نبت في لندن وباريس وبرلين وغيرها كما جاءت بمثله من قبل، وما دام فينا حفاظٌ ونزعةٌ صحيحةٌ؛ فلا نخشى على لغتنا ضرورة من الضرورات؛ لأن في كل تاريخ حي ممراً لمثل هذه الضرورة تبدأ فيه من جهة، وتنتهي منه في جهة، وما من شعب هو كل الناس.

3 - وأما تأثير التطور السياسي الحاضر؛ فما أرى أسباب الحكم عليه قد استجمعت بعد والأقدار لا تزال في المداولة، ومن قال: لا أدري؛ فقد أفتى، والله يحكم لا معقب لحكمه!!

4 - ولست أرى ما يمنع انتشار اللغة، وأنْ تُعَلَّم بها جميع العلوم؛ فإن هذا شرط في إحيائها وإحيائنا، ومتى بدأت مصر بذلك -وهي بادئة إن شاء الله- فلا تحسبنْ هنداً لها الحسن وحدها؛ بل كل غانية هند.

5 - بيـد أن العربيـة لا يأتي لها بحال من الأحوال أن تغلب على كل اللهجات العامية وتستغرقها وتأخذها بدين التوحيد؛ فما ذلك في طبيعتها، ولا هو في طبيعة الناس؛ ولكنها تفصح من هذه اللهجات؛ وهذا حسبنا!

6 - وأما خير الوسائل في إحيائها فهي عندي:

إنشاء المجمع العلمي العربي في مصر على أن يكون كمجامع أوربا، وعلى أن يعمـل عملها ويأخـذ بسنتها، فأما فئة كهذه التي أطلقـوا عليها اسم المجمع اللغوي وجرت باسم الله مرساها؛ فإنما هي كتب في دار الكتب.

إصـلاح تعليم العربية وآدابها، ونبذ هـذه الدفاتر الغثة التي يدرسون فيها، والرجـوع إلى طريقة الـرواة المتقدمـين (الطريقـة الإنسكلوبيذية)[1] مما يجمـع الفن والأدب واللغة والبلاغـة، ويطبع الناشئ على المَلَكَة الصحيحة، ويستحـدث له ذوقاً في لغته، ويُقيم الكتب نفسها مقام العرب والرواة الذين كانوا هم أصل دولة البلاغة.

تعليـم العلوم كلها -إلا علوم اللغات وآدابها- بالعربية، وتعريب ما ليس فيها من ذلك ونشره، ونشر الكتب العربية القيمة.

أن تعمـل الأمة على إنبات كتابها وشعرائهـا وأدبائها وتفريغهم للعمل الذي يُسروا له، وطرق ذلك معروفة.

عناية الصحف الكبرى بلغتها وكتابتها وأساليبها، فهي اليوم في الأفق اللغوي كالهـواء صحـة أو وباء، وأن تحفل بـالأدب وتبذل فيـه، ولا نخصّ السياسة دونه بشيء؛ فهو سياسة ألسنتنا وقوميتنا وتاريخنا.

---

(1) يرمـي إلـى الكلمـة الإنجليزيـة (encyclopedia) أي الموسوعة أو دائرة المعـارف، وهي المتعارف عليها في تراثنا بطريقة الجمهرات.

إيجـاب حفظ القـرآن أو أكثره في المدارس، ولو علـى المسلمين وحدهم، مع درسـ الوجوه التي تؤدي بها تأدية صحيحة، وهـذا وحده أساسٌ متينٌ إن لم نُحكـم البناء عليه؛ فما أقـرب أن يتداعى البناء كله وهنـاً وتراخياً، والأمر يومئذ لله!



صورة من عدد مجلة الهلال الذي نُشر فيه الاستفتاء

إعجاز القرآن.. لقد ظهرت أذنه[1]

قـرأتُ هذا الفصل الذي كتبـه الأستاذ العقاد، وكنـتُ والله أعرف معانيه؛ فلـم تزدني ألفاظـه إلا ما رأيتُ في بعض تمحّله ممـا يشبه أن يكون خلة في هـذا الكاتب الفاضل خُلقت له وخُلق لهـا، وكثيراً ما تكون الأسماء والألقاب أوصافـاً من لسان الغيب للآتين إلى هذه الدنيا من الغيب، فإني لا أرى هذا الفصل إلا بعض عُقَدٍ من (عَقَّادها).

في البـلاغ اليومي الـذي جاءني الساعـة (صبيحة الجمعـة) حديثٌ لكاتب تركـي مع طاغور الشاعر الهندي، جاء منه في وصف الانقلاب الذي أحدثه مصطفـى كمال ومسخ به الترك هذه العبارة: «ولقد أحسن النازي في تغيير القيـم العتيقـة، والقضاء علـى التقاليد الموروثـة البالية، والسـير بالشعب التركي في طريقه الجديد، ولا شك في أن أمم الشرق تُبدي إعجابها الشديد بالمقـدرة التـي امتاز بها النازي الذي وقف على رأس جماعة كبيرة فياضة بالخبرة والكفاية، واكتسح القديم، وأقام الجديد على أنقاضه». انتهى.

وقبل ذلك بيوم كتب الأستاذ العقاد في (البلاغ) مقالاً عن طاغور هذا سما بـه إلى عليين وعليـات أيضاً، جاءت فيه هذه العبـارة: «وسمعنا من الرجل فلسفته؛ فإذا هي فلسفة البساطة العميقة والعمق البسيط (كذا)، وإذا هي حكمة من أراد أن يقيسها بمقياس المناطقة والباحثين (تأمَّل) كان على حد قولـه (كذا) كمن يأتي إلـى الحديقة يمحك الجواهر ليقوم به ثمن الجمال في الأزهار والرونق في الرياحين». انتهى.

---

(1) البـلاغ الأسبوعي 10 ديسمبر 1926، ص 16 و17، وهو رد على المقال الذي كتبه الأستاذ العقاد بتاريخ 3 ديسمبر 1926م تحت عنوان (إعجاز القرآن: كلمة في المعجزة، وكلمة أخرى في الكتاب)، وقد أعاد نشره في كتابـه (ساعـات بين الكتب). (راجع ص 19، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2014). وانظر ما كتبه العقاد بعد ذلك بسنوات في مجلة الرسالة، العدد 361، بتاريخ: 3 يونيو 1940 تحت عنوان (الخصومة الأدبية في الشرق).

فنقـول للأستاذ إنـك رددت على نفسك بهذه العبارة قبـل أن نرد عليك في قولـك: «إن بحثـاً يوضع في تقرير بلاغة القرآن والـرد على منكري إعجازه لأَوْلى المباحـث أن يتصـدى له عالم قـوي العارضة حاضـر البرهان خبير بأساليب القيـاس» فماذا تصنع أساليب القيـاس وبراهين المنطق ومقياس المناطقـة والباحثـين، ومحـك الجواهر عند فـن الإعجاز الإلهـي في أزهار القـرآن ورياحينه، أفلـم يكن في التاريـخ العربي الإسلامـي مناطقةٌ وأهل قيـاس وبرهـان وعارضة؛ فأيـن عملهم وماذا أغنـوا وأية سلكـوا؟![1] وهل أفحمـوا الزنادقة وقطعـوا المتكلمين منهم، أم عندك مـن العلم ما ليس في التاريخ وما لا يعلم إلا الله والعقاد؟!

علـى أننا ما سقنا كلمتي العقاد والتركي إلا لنثبت حقيقة لا سبيل إلى المراء فيهـا، ولا ينفع منهـا رأيٌ ولا لجاجة، وهي أن بعض العقـول تكون مستقيمةً علـى طريقها لسبب ما؛ فإذا تغير السبـب، أو داخَلَه سببٌ غيره، أو اعترته حالة غير حالته الأولى؛ رجعت تلك العقول بعينها منعكسة، فإما مدبرة عن طريقها الأول أو منحرفة فيه، ولا يعظمها أن تكون عقول فلاسفة أو حكماء؛ فإنها إنسانية، ومن ورائها النفس، ومن وراء النفس دواعيها، ومن ثم انفتح للنـاس باب مدح الشيء وذمه، فما مدحته لمعنىً تذمّه لمعنىً غيره، ويخلص لك الدليل على هذا وعلى هذا.

وفيـم كان ضـلال من ضلَّ، ومكابرة من كابر، ونفـاق من ينافق، وخطأ من يخطـئ إلا بغلبة شيء في النفس على شيء في الحقيقة، وإتيان أثر سيئ من تلك على أثر حسن من هذه؟!

ويم تفسد الفضيلة، وتذهب الصالحة، وتجد الصديق يرتد عدوّاً لصديقه،

(1) في الأصل: أية سلكوا.

ويقـع الكذب، وتكون الخيانـة؛ إلا بعروض سبب على سبـب، أو طروء حالة علـى أخرى، كالعين السليمة التي لا بأس بها من زيغ أو اضطراب تضع لها الزجاجـة الملونة، فإذا الفضاء والأشياء مـن لون الزجاجة لا من ألوانها في حقائلهـا، والعين لم تتغـير، والأشياء لم تختلف؛ ولكـن بينهما ما أفسدهما جميعاً؟!

فطاغـور الذي يطوف أوربـا في جبته الهندية وقلنسوتـه الهندية، ولا يظهر أبـداً إلا في أخلاق هندية قديمة، وفي روحانية هندية متزمِّتة، والذي وصفه الأستـاذ العقـاد في البلاغ تلـك الأوصـاف السحرية الخياليـة التي جعلتنا نقـول فيـه من سُكْره إنه لم يسمـع الشاعر في قاعة المحاضـرة؛ بل في حانة المحاضرة.

طاغور هذا في حكمته وسموه هو بعينه طاغور الذي تنفس من هواء الأستانة مـا أوحى إليه الثناء على لبس القبعة ولا يلبسها، وعلى الرقص ولا يرقص، وعلى شـرب الخمر ولا يحتسيها، وعلى القمار ولا يُساهم فيه، وعلى إشاعة الفجور ولا يقربه، وعلى المروق من الدين وهو أشد الرجال الحُمْسِ في دينه الوثنـي، ثم هو يدعو إلى الوحدة الروحية في العالم ولا يتنقص في الترك إلا الدين الذي أساسه أن تعمَّ هذه الوحدة في العالم كله، وأن يكون التعاون بين الأمـم على اختلافها في الموضع والقوة والمادة، كالتعاون بين أعضاء الجسم الواحد على تباينها، أو التساند بين أحجار البناء الواحد على تفرقها.

قلـتُ إني كنت أعرف معاني نقد الأستاذ العقاد قبـل أن أقرأها؛ بل قبل أن يكتبها، ولقد كنتُ أتقي نقده هذا لو لم أهده الكتاب، ولكني مع ذلك أهديتُه ليكتـب ما كتب، ولأقرأ ما قرأت، وما أحـوج كتابي بعد كلمة الرئيس الجليل إلى عيب؛ فاجهد جهدك يا مزعزع الجبل.

لا شأن لنا فيما أورده الأستاذ من الكلام عن المعجزة؛ فإنه لا يتصل بغرضنا ولا هو متصل بنقده، ولكنا نتناول ما عدا ذلك، فقد زعم أن الكتاب إن هو إلا في الثناء على القرآن والتسبيح بآياته، وإني لم أنهج ذلك النهج الذي أحسن فيه الجرجاني أيَّما إحسان، وإني لا أكاد أُلمُّ بشاهدٍ واحدٍ من آيةٍ قرآنية، أو أصلٍ مُقرَّرٍ واحدٍ من أصول البلاغة، وهذا التعسفُ العجيب هو مما أخذ فيه بعض حديثي معه دون بعضه؛ فإني قلت له إن لهذا الكتاب تكملة أسأل الله أن يعينني عليها ويوفقني لها؛ فإني أريد أن أكتب (أسرار الإعجاز) أستخرج فيه من آيات القرآن آيةً آيةً وبلاغةً بلاغةً[1]، وقلتُ له إني أشرتُ إلى ذلك في تعليقي على مقدمة الكتاب، كما نبهتُ إليه في الكتاب نفسه؛ لأني الآن أضع القواعد وأضبط الأصول، ثم للبسط والأمثلة بعد ذلك موضع؛ فأغفل صاحبنا كل هذا وجاء يأخذ مني الذي يرد به عليَّ، أما الذي هو ردٌّ عليه فيطوى دونه.

وقد نقل كلمة طويلة من الكتاب في «نبرات الحروف ونغماتها الموسيقية، وموضع كل حرف بجانب ما تقدمه وما يليه، قال: كأن بلاغة القرآن معلقة على هذا المعنى تثبت بثبوته وتدحض باندحاضه»، ثم قال بعقب الكلمة التي نقلها «هذا نموذج من شواهد الرافعي بنصه نرى أنه علق فيه بلاغة القرآن على شيء هيهات أن يكون مقصوداً أو سارياً في كل آية على النحو الذي يحكيه، وإلا فما يقول الرافعي في هذه الآية التالية من سورة هود (قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ)[2] قال: فإن كانت بلاغة الكتاب الكريم مرتهنة

---

(1) راجع مقالنا (صفحات مجهولة من حياة الرافعي) بمجلة الوعي الإسلامي الكويتية، عدد ذي الحجة 1436هـ / أكتوبر 2015م.

(2) هود: 48.

بذلك النسق الذي تصوره الأديب، فهل يناقض البلاغة في رأيه توالي الميمات الكثيرة، والنون والتنوين في هذه الكلمات المتعاقبة، أو يظن الرافعي هذه الآية بدعاً من بين آيات الكتاب؟!». انتهى.

أتريد أن تعرف ما أقول يا سيدنا ومولانا، أقول: إني كنت أرفعك عن أن تكون بوقاً من الأبواق ليس فيه إلا تقعير الصوت أما الصوت فلغيره، ولقد غشَّك الذي ألقى إليك هذا الكلام وأقامك من مكره السيِّئ بهذا الموقف انتقاماً لأستاذه الشيخ طه حسين بعد أن خنس هو وأمثاله وفروا فرار الحُمُر بحوافرها من الليث بأظافره.

إنها يا سيدي الفاضل لم تكن (ميمات) فقط؛ بل كان معها (شينات وباءات) ونشر كل ذلك في المقطم من أشهرٍ بعيدةٍ بإمضاء (ناقد) وجعل سؤالاً مرفوعاً لي إذْ كنتُ سميت بعض تكرار طه حسين لحرف الشين في عبارة من عباراته (شأشأة طه حسين) فجاء هذا الذي غرَّك ومكر بك يسألني: أتكرار الميم في هذه الآية (مأمأة) من القرآن؟ وتكرار الشين في قوله تعالى (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء)[1] الآية.. شأشأة؟ وتكرار الباء في قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ)[2] الآية.. بأبأة؟ فأجبته في المقطم عن هذه وتلك بما يثبت إعجاز التكرار في كلتا الآيتين، وتركتُ الأولى عمداً لأُظهرَ الناسَ على خبثه ولؤمه وجبنه، فما أسرع ما وقع بجهله وحمقه وظن ذلك عجزاً مني عن حكمة الآية؛ فكتب في المقطم (يتحداني) أن أُبين له أسرار هذه الميمات وبلاغتها، وأبان في كتابته عن غرور ودعوى؛ فرددتُ عليه أني أقبل هذا

(1) آل عمران / 26.

(2) البقرة / 282.

التحدي على شرط أن يُصرِّح باسمه؛ ففر ورضى لنفسه هذا الخزي مع أنه بالموضع الذي تعرفه.

وأنا الآن لا أجيبك عن حكمة هذه الميمات وأنها هي عين البلاغة في موضعها إلا إذا كشفتَ للناس عن اسم هذا الخبيث، وأقررتَ أنه هو مُلَقِّنك، فإنك لا تحفظ القرآن إلا شيئاً من آخره يحفظه تلامذة المدارس كما قلت في حديثك معي...[1] (يونس) كيف بلغت إلى (هود).

بقي من هذا النقد الذي ظهرت الآن أذناه أن الأستاذ العقاد يقول: ولكن الرافعي يتصدى لهذا البحث وهو من أضعف الناس منطقاً، وأفشلهم (كذا) قياساً، وأعجزهم عن تأييد الدعوى بالحجة، وتفنيد القول بمثله، خذ مثلاً رده على ابن الراوندي حيث يقول: إن المسلمين احتجوا لنبوة نبيهم بالقرآن الذي تحدَّى به النبي فلم تقدر العرب على معارضته؛ فيقال لهم أخبرونا لو ادَّعى مُدَّعٍ لمن تقدم من الفلاسفة مثل دعواكم في القرآن، فقال الدليل على صدق بطلّيموس أو إقليدس، إن إقليدس ادَّعى أن الخلق يعجزون عن أن يأتوا بمثل كتابه أكانت نبوته تثبت؟!

قال الأستاذ العقاد: وكلام ابن الراوندي هذا ظاهر المغالطة؛ لأن إقليدس لم يخترع الحقائق التي أوردها في كتابه، وليس في طاقته هو نفسه أن يبتدع كتاباً آخر أو يزيد قضية واحدة على تلك القضايا، فالعجز هنا يشمله كما يشمل الآخرين، والدعوى لا تعلم فضلاً له غير فضل الابتداء والإشارة إلى الحقائق الموجودة قبله، والتي لا بد له هو في إيجادها بأي معنى من معاني الإيجاد، قال: ولكن الرافعي يغضب على ابن الراوندي فينحي عليه بالثلب والتبكيت ويقول فيه: لعمري إن مثل هذه الأقيسة التي يحسبها ابن الراوندي

(1) مطموس في الأصل بمقدار كلمتين أو ثلاث.

سبيلاً من الحجة وباباً من البرهان؛ لهي في حقيقة العلم كأشد هذيان عرفه الطب قط.. وإلا فأين كتاب من كتاب؟! وأين وضع من وضع؟! وأين قوم من قوم؟! وأين رجل من رجل؟!

ولو أن الإعجاز كان في ورق القرآن وفيما يخط عليه لكان كل كتاب في الأرض ككل كتاب في الأرض ولاطَّرد ذلك القياس كله على ما وصفه كما يطَّرد القياس عينه في قولنا: إن كل حمار يتنفس وابن الراوندي يتنفس؛ فابن الراوندي يكون ماذا؟!، قال: ذلك هو ردٌّ الرافعي على ابن الراوندي، وليس فيه كما رأيت تفنيدٌ لحجة الرجل إلخ.

فلننظر في تفنيد الأستاذ العقاد لهذه الحجة لنرى أذهب بها، لا؛ بل لنرى أفهِمَ كلام ابن الراوندي وردَّنا عليه، فإن لكل كلام مساقاً إذا خطأه القارئ ولم يتحرّه في الفهم لم يتبين وجه الكلام، ومتى لم يتبين هذا الوجه لم تنفعه الألفاظ ولا التركيب، والناس يقعون في هذه الغفلة من سهو مرة ومن عمد مرة، فإن كان إقليدس لم يخترع الحقائق التي في كتابه، فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يخترع الكلام الذي في القرآن، وإن كان إقليدس يعجز أن يبتدع كتاباً آخر فكذلك النبي يعجز أن يأتي بقرآن آخر، وإن كان ذلك لا يستطيع أن يزيد قضية واحدة على تلك القضايا فالنبي لا يستطيع أن يزيد حرفاً واحداً على ذلك الكلام، فهذا كهذا، وكلاهما لا بد له في الإيجاد بأي معنى من معاني الإيجاد، فأين المغالطة التي يدَّعيها العقاد في كلام ابن الراوندي؟!

...[1] هذا الملحد الخبيث ابن الراوندي أن إقليدس جاء بكتاب مفرد في نوعه سلمه له الناس وصار مرجعاً لهم في ذلك الباب، واجتمعت عليه

---

(1) مطموس في الأصل بمقدار كلمتين.

الكلمة كرأي علماء العرب فيه، فيريد أن يقيس القرآن عليه وهو في هذا القياس يتعمد أن يخدع قارئ كتابه فيوقعه في توهم أن القرآن من عمل النبي وتأليفه؛ فهذا كتاب رجل وذاك كتاب مثله، فإن استقام له هذا خرج منه أنه إذا كان إقليدس قد جاء بكتابه الذي سلمه له الناس ولم يدَّع النبوة، فادِّعاء رجل للنبوة مثله يُعدُّ ماذا؟!

وظاهرٌ أنه لو كان في عقيدة ابن الراوندي أن القرآن وحيٌ لسقط الخلاف ولم يبق لكلامه معنى، وظاهر أيضاً أن الأستاذ العقاد انخدع لابن الراوندي، وجرى على ما تُوهمه العبارة، وقاس على ذلك القياس؛ فكانت المغالطة عنده أن إقليدس لم يخترع كأنه يعني أن النبي هو الذي اخترع.

ولو أنه أراد أن يكشف عن المغالطة لوجدها في قول ابن الراوندي: «لو ادعى مُدَّعٍ لمن تقدم من الفلاسفة..إلخ فإن ادعاء المتأخر للمتقدم كذب على التاريخ»، فيُقال: اثبت لنا أن أرسطو وإقليدس ادعيا، ثم ننظر بعد ذلك في إسقاط دعوى أرسطو أو إقليدس.

فتالله إني رأيتك اليوم «أضعف الناس منطقاً، وأفشلهم قياساً، وأعجزهم عن تأييد الدعوة بالحجة وتفنيد القول بمثله».

الكتب التي أفادتني[1]

(1) في أيـام التحصيـل كنتُ أقرأُ كلَّ ما أصابته يدي، وكنتُ أُكثر الملاحظة وأُدقِّـق فيها؛ فلا أعـرف كتاباً أنا منه أكثر مما أنا من غيره، ولكن إن يكن؛ فلعلَّـه كتابٌ في الحديث اسمه (الجامع الصغير)، كنت أَحضرُ به درس أبي -رحمه الله- ثمّ قرأتُه مـن بعد للسيّد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده، ثمّ كتاب (سرّ النجاح) الذي ترجمه شيخنا الدكتور صرّوف، ثمّ كتب غوستاف لوبون ثمّ الكتب كلّها.

(2) إذا أردنـا حقيقـة التثقيـف والتقويم؛ فكتب الأديـان والآداب كافية في رأيـي، أما إذا أردنا ذلك المعنى الوهميّ الذي لا يزال ينشأ ولا يكبر؛ فلا بدّ مـن الالتجاء أبد الدّهـر إلى الكتب الغربية على أن نُضيف إليها كتاباً عربياً واحداً اسمه (قانـون العقوبات)، العقل حيث يكون في حاجة إلى آثار العقل حيـث يكون، فلم تُغـنِ أوروبا عن روحٍ من الشـرق، ولا يُغنى الشرق عن فكر من أوربا.

(3) كتـب الآداب الدينيـة قبـل سواها، فـإذا استوفى الشـاب منها قانون ضمـيره؛ فهو من بعد أبصر بحاجته، وليكن عربيّاً شرقيّاً، ثمّ ليقرأ ماشاءَ؛ فالمرض يجعل كلّ غذاء مرضاً، والصحة تجعل كلّ غذاء صحة.

(4) تهذيـب المكتبة العربية تهذيباً فلسفيّاً، وبيان أسرار حضارة الشرق في

(1) نشر ضمن استفتاءات مجلة الهلال، العدد الثالث، أول مارس 1927، وقد وجّه المحرر عدة أسئلة هي:

- ما هو الكتاب أو الكتب التي طالعتموها في شبابكم فأفادتكم وكان لها أثر في حياتكم؟
- وهل يكفي المطبوع الآن من الكتب العربية لتثقيف الناشئة أو لا غنى عن الالتجاء إلى الكتب الغربية؟
- وما هي الكتب التي تنصحون لشبّان اليوم بقراءتها غربية كانت أم غير غربية؟
- وما هو نوع التأليف الذي يفتقر إليه العالم العربي على الخصوص — والذي تودون أن يطرقه المؤلفون؟

وفي هذا العدد نُشرت ردود أخرى للأستاذ منصور جرداق والأستاذ إبراهيم عبدالقادر المازني.

أديانه وفنونه وآدابه، ونقل أسمى ما في الأدب الأوربيّ، ولو أحياني الله حتّى أرى لقومي مجمعة[1] عربية كبرى تبلغ في السَّعَة والوضع وحسن الترتيب وشدّة التبين وقوّة الاستيعاب ما بلغته المجمعة الفرنسية؛ لكنت سعيداً حقّ سعيد، فإن لم نكن أهل هذا العمل الجليل؛ فلنحرص على أن نساعد أهله بوضع ما يُعدّ من مواده وأجزائه.

(1) وضعناها هنا ترجمة لكلمة (الانسكلوبيديا) (الرافعي).

كتاب ابن الرومي.. نقد وتحقيق[1]

وضع الأديب عباس محمود العقاد كتابه هذا في الكشف عن حياة ابن الرومي واستخراجها من شعره، وفي الكلام على أدبه ونهجه، وفي بيان منزلته ومحله، ثم خصائصه ومزاياه وغفلاته وسقطاته، فكتب في كل ذلك ثلاثمائة وثلاثين صفحة، دخلها كثير من شعر ابن الرومي: يستدل به، أو يستنبط منه، أو يخرج عليه، ثم ختم كتابه بستين صفحة اختارها من ديوان الشاعر وقال: «إنها تتم المعرفة بشاعريته من جميع نواحيها».

وقد وقع إليَّ هذا الكتاب فقرأته، فما شككت أن المؤلف قد كان يتوجه ويقارب الغاية لو أنه عكس الوضع في كتابه، فاختار من شعر ابن الرومي ثلاثمائة وثلاثين صفحة وكتب عنه الباقي، إذ ليس الاعتبار في مثل هذا البحث بالورق والحشد فيه، ولا بالجري على عادة الاستعمال في الكتابة الصحافية، التي بلغت أن تجري في أصابع كتابها مجرى الكلام في ألسنتهم؛ بل هو التاريخ لا يجوز أن يخلق ابتداعاً، ولا أن يحدث على غير ما حدث، فلا تتمحل له الفروض ولا تلتمس فيه غير حقائقه، وليس للكاتب فيه إلا الحادثة على نصها، ثم إقامة الحجة على وجهها، ثم شرح العلة على مقدارها، ثم ما بين ذلك من استخراج الأسباب التي تتوافى بها الحوادث وتجتمع وتتركب،

---

(1) مجلة المعرفة السنة الأولى، الجزء التاسع، شعبان 1350هـ / 11 ديسمبر 1931م، ص 1079 - 1084. وقد صدَّر المحرر المقال بقوله: «السيد مصطفى صادق الرافعي، في المقدمة من رجال الأدب القديم، وهو بحق حامل لوائه والذائد عن حياضه. وإذا كان قد بدأ كتابته في (المعرفة) بنقد كتاب الأستاذ العقاد، فليس ذلك عن غرض كما قد يتوهم البعض، أو عن تآمر –بين الأستاذ الرافعي والمحرر- كما يتوهم آخرون، ولكنه نقد بريء، قصد به إلى إظهار الحق بعيداً عن الغرض. وبحسبنا أن نصارح قراءنا بأن ثمة خلافاً... كان بيننا وبين الأستاذ الرافعي، من ستة أشهر تقريباً ولكنه زال ولله الحمد، على أثر تشريفه لنا بزيارته، وتفضله بهذا النقد الطريف. ويسر (المعرفة) أن تصارح الأستاذ العقاد، بأنها على استعداد تام لنشر ملاحظاته، إن كانت له ملاحظات على هذا النقد».

ثم ما حول ذلك مما لا بد أن تسترسل فيه نفس الكاتب من فن الملاحظة أو ملاحظة الفن ليثبت أن التاريخ قد اتصل منه بالحياة مرة أخرى.

ولو أن متعصباً على ابن الرومي منحرفاً عنه قد أفرط في تهجينه واستهلكه بالنقد، ونعى كل سيئاته، ونقض كل حسناته، لما كان بعمله ذاك إلا في الجانب الآخر من صنيع العقاد الذي غلا في ابن الرومي أشد الغلو، وتعسف له المعاني، وجاوز به التقدير، وأخذه حقيقة، وأبرزه خرافة، فهو في هذه الناحية في حكم التاريخ كذلك المتعصب، كلاهما لا يكتب على مذهبه إلا وقد وضع عن نفسه أنه ليس في الناس من يعتبر عليه بنقد أو يتعقبه بتصحيح، وكلاهما لا يمضي إلا على ما صور له الغرض ولا يقصد إلا قصد التسويغ لما في نفسه، وكلاهما بتاريخه وراء الحدود التاريخية.

يقول الأديب عبد الرحمن صدقي في ما كتب في المقتطف عن العقاد وكتابه: «إن كلَّ لفظ في عبارته له قيمة الأرقام الحسابية الدالة على العدد، وإنها لمعجزة أن تكون هذه الدقة الحسابية مفرغة في قالب من جمال الفن السامي»، ونقول نحن: إن الذي تقع له هذه المعجزة فيما يكتبه حريٌّ ألا يخطئ فيما ينقله، وإن من لا يوثق بصحة تمييزه لما يقرأ، خليق أن يكون بعيداً عن معجزات البيان؛ بل عن البيان نفسه.

لقد صحَّح العقاد غلطات كتابه واستدركها في آخره، وأحصى منها ما لا خطر له كتصحيح نفخ الريح بنفح الريح، والفرد بالفرد، فما وقع في نقله مما لم يصحِّحه؛ فإنما هو غلط في الفهم وإنما هو شيء لا يجري في (الدقة الحسابية) ولا يدل عليها بل على نقيضها، فانظر أين الدقة في هذا البيت الذي ورد في صفحة 21:

كم رضيعٍ هناك قد فَطَمُوه

بشفا السيف قبل حينِ الفِطام[1]

وإنما هي (بشبا السيف)، وفي صفحة 29 نقلاً عن معجم الأدباء (يلائم الخمار ويفيق الشهوة) وصوابها (ويفتق الشهوة)، وفي هذه الصفحة عينها (لأمر ما قد قمت) وإنما هي قدِمْت، وفي صفحة 40 عن معجم الأدباء (وأمرت بنقله إلى آخر نار الله وسعيره)، والصواب (إلى حر نار الله)، وفي صفحة 67 في خادم اسمه إقبال نقلاً عن كتاب العمدة (ومنكوس اسمه لا بقا) وهي معكوس اسمه، وقد يظن القارئ أن هذه غلطات مطبعية ولكنه يصيبها كذلك في الكتب التي نقل عنها العقاد، فهي غلطات لم تقع منه ولكن وقع هو فيها، ومنها في صفحة 72 نقلاً عن أمالي المرتضى «فدخل يوماً (الوزير) عبيد الله إلى أبي الحسن (ابنه القاسم الذي سمَّ ابن الرومي) وابن الرومي عنده، فاستنشده من شعره، فأنشده وخاطبه؛ فرآه مضطرب العقل جاهلاً»، وكرر هذا النقل في صفحة 256 وهو كذلك في الأمالي، قلنا: فإذا كان ابن الرومي جاهلاً ولا يراه كذلك إلا الوزير الكاتب البليغ عبيد الله بن سليمان، ففيم كتاب العقاد..؟ إنما صواب العبارة فرآه مضطرب العقل ذاهلاً وقد وصفوا ابن الرومي بأنه كان إذا فاجأه الناظر رأى منه منظراً يدل على تغير حال، وذلك هو الذهول، وفي صفحة 112 يصف ابن الرومي زيغ بصره:

ويورك طرفي فالشُخاصُ حيالهُ

قرائن من أدنى مدى وَهْيَ فُرَّدُ[2]

(1) ديوان ابن الرومي، تحقيق الدكتور حسين نصار، 6 / 2378.

(2) نفس المرجع 2 / 586، وفي مقال الرافعي: (فالشخوص).

يريد أنه يرى الشيء اثنين، وكرر العقاد نقل هذا البيت في صفحة 130 وفسر هذه البركة، واستدل بها على أن ابن الرومي يتهكم حتى بنفسه، مع أن القصيدة التي منها البيت تحسر وتوجع، ولا نحسب معتوهاً فضلاً عن رجل كابن الرومي يعد مثل هذه العلة بركة في نظره، وإنما هي (وشورك طرفي) أي كأن في عينه ناظرين للشخص الواحد، وهذا هو المعنى الشعري الدقيق لا ذلك المعنى الفاسد الذي يقول فيه العقاد: إنه (يحمد الله على زيغان بصره)، ونعوذ بالله من هذا الذوق الفاسد.

وفي صفحة 118 يقول العقاد وهو يصف ابن الرومي بما استدل عليه من شعره.. إنه كان يعاف المشمش لأنه دواء لا غذاء.

إذا ما رأيتَ الدهرَ بستانَ مشمشٍ
فأيقنْ بحقٍ أنَّهُ لِطَبيبِ[1]

وقد أيقنا بحق أن العقاد لم يفهم المعنى، فكيف يعاف الشاعر السقيم المعتل فاكهة تكون دواءً للجسم؟ أما الذي يريده ابن الرومي فهو أن المشمش داء (لا دواء) إذ هو ينتهي بمن يأكله إلى الطبيب، وهو معنى أخذه مما كان يقول به الأطباء من أن هذه الفاكهة تجلب الحمى، فهكذا يستدل مؤلفنا بشعر ابن الرومي على حياته وصفاته.

ومثل هذا كثير في الكتاب أحصيناه كله واجتزأنا بهذا القدر منه تفادياً من الإطالة، وهو حسبك في الدلالة على تمييز العقاد وفهمه وبصره بالكلام.

* * *

ونعرض الآن لموضوع الكتاب، فهو كما قلنا يجري على عادة الاستعمال في

(1) ديوان ابن الرومي 1 / 314.

الكتابة الصحافية، حتى ما من ورقة فيه إلا وأنت تستطيع أن تنقض منها على المؤلف أو ترد عليه؛ إذ كل ما في الكتاب استرسال، وإغراق وترخص، كأنه يأخذ الكلام عسفاً وجرفاً، حتى خرج بابن الرومي عن مقداره ومقدار عصره كأن الرجل كان في زمنه غفلاً غير معروف، فلا يفهمه أحد ولا يتعاطى شأوه إنسان، وكأن شعره الذي وضعه من ألف سنة بقى ألف سنة لا يجد من يفصح عما كان في نفس واضعه، ثم ما الذي كان في نفس واضعه يومئذ وأخفاه ابن الرومي عن قومه وعصره وعن نفسه أيضاً؟

كانت هناك أصول ومعانٍ لا تكشف إلا بعبارات مترجمة من كتب الأدب الأوربي في هذا العصر «كعبادة الحياة، ومنح الطبيعة الحياة من عنده أو من عند الخرافات، والإصغاء إلى سر الحياة الكامنة في الأرض، والعلم أن أنسه بالطبيعة مستمد مما يفيضه هو عليها من دلائل الحياة، والخلع من شبابه عليها والخلع من شبابها عليه والمزج بينهما مزجاً لا تخاله يكون إلا في مهجة واحدة، وإعطاء الحياة وإعطاء الشخوص، ولهنوات (كذا) النفوس عنده شخوص يخاطبها وتخاطبه، وعالم الطفولة الخالدة لم تزدها السنون إلا إمعاناً في الطفولة، وإغراقاً في اللعب، وشوقاً إلى الحلوى، ورهبة من العصا».

نظن أنه لا ينفع العقاد أن تقره الدنيا كلها على تعقيد حياة ابن الرومي هذا التعقيد، إذا كان لا ينكره عليه إلا ابن الرومي نفسه وأهل عصره، على أن كل كاتب يستطيع أن يتناول أسخف الشعر وأرذله وأبرده من أي عصر شاء، ثم يحمل عليه كلَّ ما جاء في كتاب العقاد عن ابن الرومي من مثل هذه العبارات، ويوطِّئ له منها ويشرحه بها من نحو:

قال محمد: هو ابن مالك

أحمد ربي الله خير مالك

فانظر كيف بـرَّ الناظم أباه؟ وهذا فيه دليل التقوى والورع كأنه يكافئه على إيجـاده إياه بتخليـد اسمه في أول كلماته، ثم ذكـره اسمه دليل على عبادته الحياة ورغبته بعد الموت أن لا يموت اسمه، كأنه أعطى الحياة الآتية من بعد شخصـاً ليس فيهـا، ولكن لا بد أن يكون فيها ولا بـد أن يبقى فيها ما بقيت العربيـة، وتأمل كيف جعل نفسه (يقول) وهو ميت لا يقول شيئاً، فهذا دليل على أن لهنوات النفوس عنده شخوصاً.. كما أنه دليل على طفولته الخالدة، إذ أظهر صفات الطفل أن يلفت النظر إليه.. إلخ.

أفيُسَمَّى مثل هذا الـكلام الصحافي بحثاً في البيان والأدب والاستدلال على الحياة بالشعر؟.

* * *

تكلـم المؤلف في المقدمة عما سماه الطبيعـة الفنية، ونقل قول ابن خلكان في وصـف ابن الرومي إذ يقول: «هو صاحب النظـم العجيب والتوليد الغريب، يغوص على المعاني النـادرة فيستخرجها من مكامنهـا، ويبرزها في أحسن صورة، ولا يـترك المعنى حتى يستوفيه إلى آخره»، قال العقاد: «وهذا وصف صـادق كله ولكنه ليس بـكل الوصف، فهو تعريف ناقـص والناقص فيه هو المهم؛ إذ هو هو المزية الكبرى في الشاعر، وهو هو الطبيعة الفنية التي تجعل الفـن جزءاً لا ينفصل من الحيـاة، ثم انسحب على هـذا المعنى وخلط فيه علـى طريقته المعروفة التي تـدل القارئ المتبين أن الكاتـب يشعر دائماً بأن رأيـه لضعفه أو شذوذه موضـع المنازعة والمحاجة، فهو يرقعه من كل فتوقه، ويضطـره ذلـك أحياناً أن يأخـذ رقع الثوب مـن الثوب نفسه، فـإذا ناحية مرقوعة بناحية ممزقة..

ليس ابن الرومي لغزاً بشرياً، فإنه كان شاعراً (صاحب توليد غريب ومعان نادرة، ولا يترك المعنى حتى يستوفيه إلى آخره)، فهل هذا إلا من أنه صاحب طبيعة فنية وإحساس حي وأن ذخيرة نفسه تتطلب التعبير للافتنان فيه؟ وهل كان واجباً على أدبائنا وعلمائنا المتقدمين أن يبقوا أحياء على الأرض ألف سنة حتى يقرؤوا الكتب الأدبية الأوربية الحديثة، ويصفوا ابن الرومي بألفاظها ليتمموا التعريف باللغة الأدبية المترجمة التي لا يقبل في مصر غيره؟».

إنما خلط العقاد ذلك الخلط لأنه لم يفهم معنى (التوليد) ولا المعاني النادرة، وظن هذا كلَّه صناعة وزخرفاً و(أدوات للتعبير) حتى قال: فإذا لم يكن عند الشاعر ما يعبر عنه، فكل معانيه وتوليداته ونوادره لغو لا حاجة بنا إليه، وإذا ما كان عنده ما يعبر عنه واستطاع التعبير بغير توليد ولا إغراب ولا استغراق، فقد أدى رسالته.

ونحن نقول: إنه ليس على وجه الأرض عبقري ذو طبيعة فنية إلا وأساس عبقريته (التوليد) وحده؛ لأن هذا التوليد هو الإحساس الحي للمعاني، وهو القوة التي يتحول بها الكون في نفس من الأنفس الرقيقة إلى التعبير، وهو أساس الإلهام والدرجة الممكنة من الوحي لغير الأنبياء، وبه يحسُّ العبقري أن الكون في ذاته وأنه مترامي الحدود مع الأشياء، وأن الحياة مضاعفة فيه بآلامها وأفراحها، وأنه منصوب لتفسيرها مهيئاً لإبلاغ رسالة من رسائلها.

فليس التوليد أخذ معنىً من غيره؛ فإن هذا بعض عمله، أما هو فهو الملكة المتأتية من أسباب كثيرة: أولها الطبيعة الفنية التي لا يخص الله بها إلا أهل هذه الملكة وحدهم، وفي الجملة فالتوليد هو اسم آخر للجهاز العصبي الدقيق المرهف المستحكم، إذ لا يستطيعه إلا من وُهب هذه الموهبة أو من أُصيب بها، فلو فَقَدَ ابن الرومي مَلَكة التوليد لكان نظّاماً ليس غير، والعجيب

أن العقـاد يقول: فقد تحذف منـه توليداته ومعانيه، ولا تحذف منه عناصر الشاعرية والطبيعة الفنية.

أحـذف! ويحـك، توليدات ابن الرومـي ومعانيه، فكيف تعـرف أنه شاعر؟! وكيف يبلغك في التاريخ وما هي عناصر الشاعرية التي تدلك عليه؟! وإذا لم يكـن إلا رديئه والساقط مـن كلامه والسخيف من معانيه؛ فكيف بهذا يكون عنـدك (الشاعـر من فرعه إلى قدمـه) وهو قد حُرم طبيعـة الشعر وملكة الاستجابة للإحساس التي سموها بعملها أي التوليد؟!

وتكلـم المؤلف عـن عصر ابن الرومـي -وعصر ابن الرومي هـو عصر كلّ شاعـر كان فيه- فلـو ترجمنا لمائة شاعـر من أهل هذا العصـر، لوجب أن يتكـرر هذا الفصـل مائة مـرة، على أن عصـر الشاعر، ليس هـو الخلفاء والأمـراء والحكام والنظـام والأقطاع والحالـة السياسيـة والحالة الدينية والحالـة الأخلاقية، وهـذا الحشو الثقيـل الممل، بل هو مـا اتصل بالعصر وحياتـه من الشاعر نفسه، وهبك تكتب عن رجل في مستشفى المجاذيب فما صلـة هـذا الرجل بالخلفاء والأمـراء والسياسة والدين إلـخ إلخ؟ إنَّ عصر مجنون في مستشفى المجاذيب هو مستشفى المجاذيب لا غير.

وانتقـل المؤلـف لأخبار ابن الرومـي؛ فظنَّ عند نفسه أنـه استقصاها، على حـين قد فاتته أشياء كانت أمسَّ بموضوعه منها: هذا الخبر الذي يدل على أن الشاعـر كان يُـدوِّن آراءه؛ فقد نقلوا أنهم عـثروا في بعض (تسطيراته) علـى كلام اعتذر به عن أبي تمام؛ فقال: إنه يطلب المعنى ولا يُبالي باللفظ، حتـى لـو تم له المعنى بلفظـة نبطية لأتى بها، وهذه هـي طريقة ابن الرومي بعينها، فالخبر نص في أنه يتَّبع أبا تمام، كما كان يتبع جريراً في طريقته في الهجـاء من بنائه على السخر وإغراقه في ذلك، والإضحاك به، وهذا أيضاً

لم يذكـره العقـاد، ولو أطال أبو تمام الشعر إطالـة ابن الرومي لما أفلح، ولو خفّـف ابن الرومي تخفيف أبي تمام لما أخفـق، فكل ما خلط فيه العقاد من أسبـاب خيبـة ابن الرومي لا يتوجه منه شيء؛ وإنمـا السبب في تلك الخيبة غوصـه على المعاني وطول قصائده، فهما مصيبتان إذا أُريد بهما التكسب، وهمـا السرُّ في ضعـف صناعته الشعرية، وأنـه كان يسفسف كثيراً ويضعف وذلك بعض ما تخلف به.

كتاب ابن الرومي.. نقد وتحقيق[1]

يجيء في كتاب العقاد بابٌ يملأ 186 صفحة لا يستوفيها القارئ إلا بعون الله، وكأن الله سلَّط على ابن الرومي طولاً بطول، وثرثرة بثرثرة، وهذا الباب في استخراج حياة ابن الرومي من شعره، وهو الذي بُني عليه الكتاب، ومع ذلك فهو أقبح عيوبه، إذ لا يؤرخ الشعر قائله، وخاصة إذا كان يمدح لينال، ويهجو لينال، ويحتال لينال، وليس عنده إلا المنالة، فمثل هذا الشاعر يكون أكثر كلامه بضاعة وصناعة، ولصناعة الكلام حكمها، فالشعر فيها منافسة بين القائمين بها والعائشين منها، لا ينظم أحدهم معنىً إلا نافسه الآخر في المجيء بمثله، وما أحسبك تحكم على المُغنِّى بأنه متدلِّه في الحب لأنه يتغنَّى به، إذ كان لا يتغنَّى بالحب إلا ليُطرب سامعيه، ولا يُطربهم إلا للأجر والمنالة.

ثم الشعر مبالغات ومتناقضات، وبخاصة عند ابن الرومي؛ فطريقته التي اشتُهر بها هي نقض المألوف والخلاف على الناس، لا من عقيدة ولا من رأي ولا فلسفة؛ بل صناعة جدل وبرهان لإظهار اقتداره على القول واتساعه في مذاهبه حتى قال المعرِّي وذكر ما يقوله البغداديون في تشيُّعه واستدلالهم على ذلك بقصيدته الجيمية: ما أراه إلا على مذهب غيره من الشعراء، وهذه العبارة أوردها العقاد في كتابه ولم يفهمها، فظنَّ أن المعري لم يطَّلع على شعر ابن الرومي؛ فخَفِيَتْ عنه حقيقة مذهبه.

قُلنا: ولكن المعري –وهو قريب من عصر ابن الرومي– يعلم أنه من العبث استخراج حياة الإنسان من شعره، وأن مذهب الشعراء أنهم يقولون ما لا يفعلون، ويتقربون لكل إنسان من طريقه، لا من طريقهم، إذ هم لا يذهبون

---

(1) مجلة المعرفة السنة الأولى، الجزء العاشر، رمضان 1350هـ / 9 يناير 1932م.

بالشعر إلى دورهم أو إلى دور الكتب؛ بل إلى القصور والدواوين ونحوها، وهذا البحتري قالوا: إنه كان يُكنَّى أبا عبادة، ولما دخل العراق تكنَّى أبا الحسن، ليتقرب بهذه الكنية إلى أهل النباهة والكُتَّاب من الشيعة، فهذا معنى قول المعري: ما أراه إلا على مذهب غيره من الشعراء.

ولم يفت العلماء أن يُنبِّهوا على طريقة ابن الرومي وكذبه على الأشياء والحياة؛ فقال الجرجاني في كتاب (الكنايات) بعد أن أورد شعره في مدح الحسد: «وابن الرومي في قدرته على الكلام وتمكُّنه من التصرُّف في شعره يصف الأشياء بغير صفتها، ويحليها بغير حلاها؛ فقال يمدح الموت وخالف الناس[1]:

قد قلتُ: إذْ مدحوا الحياة فأَكْثَروا:
لـلـموتِ ألفُ فضيلةٍ لا تُعرفُ
فيها: أمانُ لقائه بلقائه،
وفراقُ كلِ معاندٍ لا يُنصف»[2]

هذا ابن الرومي يمدح الموت ويقول فيه ألف فضيلة مع أن العقاد يستدل بشعره على أنه كان يعبد الحياة!

ويقول المرتضى في كتابه (الشيب والشباب) بعد أبيات لابن الرومي في الخضاب: وجدتُ ابن الرومي يتصرَّف في هذا المعنى ويعكسه، وفلسفة هذا الرجل في شعره، وتطلبه لطيف المعاني مع إعراض عن فصيح العبارة وغريبها، وإن كانت مذمومة في الأغلب الأكثر، ربما أثارت دفيناً[3].

---

(1) لم يذكر العقاد في كتابه هذا النص (الرافعي).

(2) ديوان ابن الرومي 4 / 1625، وفي المقال: (وأسرفوا)، (منها أمان)، و(كل مُعاند).

(3) لم يذكر العقاد هذا النص في كتابه أيضاً مع أنه رأي عالم محقق دقيق يصح أن يُؤخذ رأيه في أسلوب

وسِرُّ ابن الرومي كلُّه –وهو ما لم يتنبه إليه أحد إلى الآن– أنه نقل الطريقة الكلامية إلى الشعر، وكان رجلاً متكلماً ذا جدل وبيان، وقد رأى أساس هذه الطريقة في شعر أبي نواس وابن الضحَّاك وغيرهما، وفي شعر علماء الكلام: كبشر بن المعتمر؛ فوافقت منه هوى وطبيعة، فقصدها وبنى عليها، وتوسَّع فيها حتى تقرَّرت له وعُرف بها، وتلك هي الطريقة التي تتقرَّر بها المذاهب الأدبية، فابن أبي ربيعة بَنى مذهبه على أبيات أعجبته من كلام امرئ القيس، وأبو نواس بَنى على الأعشى، وأبو تمام بَنى على مسلم، وهكذا.

وفي كل قصيدة من قصائد ابن الرومي ترى ملكة الشعر وملكة الجدل تتصارعان وتتجاذبان، وهذا سر سفسفته، وهو الذي يبعثه على استيفاء المعنى إلى آخره وإماتته حتى لا يترك فيه بقية، كما أنه هو السبب الذي نهض عند الناس بمقاطيعه وسقط بقصائده حتى مات أكثر ديوانه وحتى كأنه لم يقل إلا أبياتاً ومقاطيع، وهذا الأديب الكبير القاضي الجرجاني يقول في كتابه (الوساطة): نجده (كثيراً) ينتحل تفضيل ابن الرومي ويغلو في تقديمه، ونحن نستقري القصيدة من شعره، وهي تناهز المائة أو تربي أو تضعف، فلا نعثر فيها إلا بالبيت الذي يروق أو البيتين، ثم قد نسلخ قصائد منه وهي واقفة تحت ظلها جارية على رسلها، لا يحصل منها السامع إلا على عدد القوافي وانتظار الفراغ[1].

وابن الرومي نفسه كان يعرف أن طريقته هذه مرذولة لا تقع بالموافقة ممن يمدحهم، فيقول في شعره لممدوحه:

ابن الرومي على أنه رأى عصره (الرافعي).

(1) هذا النص مما فات العقاد أيضاً، فلم يذكره في كتابه.

أول ما أسـأل من حاجة

أن تقرأ الشعر إلى آخره[1]

أهي قصيدة ويلك؟ أم هي ضريبة قراءة على الممدوح؟!

إن العقَّاد في زعمه استخراج حياة ابن الرومي من شعره، وإغفاله كل ما مرَّ بك، هو في رأينا كالذي يزعم لك أن بائعة الدجاج المسكينة هي أكثر الناس أكلاً للدجاج واستمتاعاً بلحمه، مستدلاً على ذلك، بكثرته عندها وقدرتها عليه أي وقت شاءت، ويذهب عنه أن هذا الدجاج إن كان عند الناس لحماً يُؤكل؛ فهو عند هذه المسكينة مالٌ يُجمع.

وفات العقاد في استخراجه أن يزعم أن ابن الرومي كان يبغض القمر لقوله في ذمِّه:

يا سارقَ الأنوارِ من شمسِ الضحى

يا مُثْكِلي طيبَ الكَرَى ومُنَغِّصي[2]

كما فاته أن يستدل بهذا على أن ابن الرومي لم يكن يجد النوم في الليالي المقمرة، وهذا يدل على أن داره كانت متهدمة، فإذا طلع القمر وقع في مخدعه لا يستره شيء، وبقى طول الليل فوق عينيه فلا ينام؛ لأن أجفانه بالغة كل مبلغ من الضعف والاهتياج.

أرأيت إلى أين تنتهي طريقة الاستدلال بالشعر على الحياة؟ وأنها تحكم على ابن الرومي بأنه جلف لا يدرك معنى الجمال في القمر، فمن ثم ليست فيه طبيعة فنية، ولا يصغي إلى سر الحياة ولا ولا.. إلى أن تنتقض بهذا

---

(1) ديوان ابن الرومي 3 / 908، وفي مقال الرافعي: (أن يقرأ).

(2) البيت لابن المعتز وليس لابن الرومي، انظر: ديوان ابن المعتز، دار صادر، بيروت، دون تاريخ، ص 286.

البيت وحده كل ما زعمه العقاد؛ فإذا كتابه كتاب مزوَّر.

ومن أغرب ما استخرجه المؤلف؛ ما زعم أنه وصفٌ لابن الرومي، وكله تلفيق، ومن أعجبه قوله: كان إذا مشى اختلج في مشيته، ولاح للناظر كأنه يدور على نفسه، أو يغربل لاختلال أعصابه واضطراب أعضائه، واستدلَّ على ذلك بقوله:

إن لي مشيةً أغربِلُ فيها

آمناً أن أُساقط الأسقاطا[1]

قال: وهذه المشية معروفة تدل عليها حركة الغربلة، وتكثر فيمن بهم خلل في العصب أو العضل.

قلنا: لم يفهم العقاد معنى (يُغربِل) فإن مشية الغربلة كناية عن معنى آخر، إذ رمى بعضهم ابن الرومي بالتخنُّث، واستدل بمشيته تلك -وهي مشية فيها تَرَجْرُجٌ وتَفَتُّلٌ يهتز بها المنكبان، ويقبل الوجه مرة إلى يمنة، ومرة إلى يسرة، كما تصنع المرأة إذْ تنفض الغربال؛ فيرتج عطفاها على حركته، وتلفت وجهها عن يمينٍ مرةً ويسارٍ مرةً لتنفخ ما يخالط القمح من التراب ونحوه- فكأن قولهم (يُغربِل) كناية عما وراءها، كما يكنون عن الشيخ الهرم الفاني بقولهم (يَعْجِن)؛ لأنه لضعفه إذا قام عن الأرض اعتمد على جمع كفيه كما يفعل العاجن، فأقر ابن الرومي الوصف، وقلبه على طريقته من الذم إلى المدح بالتكملة التي زادها عليه.

ثم هذه المشية لا تكون من ضعف ولا خلل في العصب، وإنما ينشأ الناشئ عليها تقليداً ومحاكاة، وقد رأيناها في رجال أقوياء، ولا يُقال فيها إن

(1) ديوان ابن الرومي 4 / 1438.

صاحبها يلوح للناظرين كأنه يدور على نفسه، فما فيها غير رجفان المنكبين وتلفت الوجه، أما تلك التي يستدير فيها الجسم فهي مشية خاصة بالنساء، يقولون زافت المرأة إذا فعلت ذلك.

وتكلم المؤلف عن عبقرية ابن الرومي، فزعم أنها عبقرية يونانية، وبنى على هذا بناء من الرمل لا يكاد يرفعه في صفعة إلا انهار في التي بعدها؛ بل جاء هو في آخر الفصل يقول: «فحسبنا إذن من كلمة العبقرية اليونانية أنها مفهومة بلغة الآداب، وإن لم تكن مفهومة في لغة الأنساب، يعني أن ابن الرومي ذو عبقرية يونانية وإن لم تكن يونانية، أما إنه كذلك لأنه من سلالة اليونان، فذلك قول لا نجزم به، ولا نجزم بنفيه؛ لأنه يستطيع أن يكون كذلك ولو لم يكن من تلك السلالة».

نقول: إذن فلا معنى لتسميتها عبقرية يونانية، وإن كانت واقعة على مواقعها عند اليونان؛ بل أحرى بها أن تُسمى عبقرية عربية؛ وإن لم يكن لها شبيه عند العرب، ما دام ابن الرومي يستطيعها، ولو لم يكن رجع إليها شيء من الوراثة اليونانية.

إن كانت كلمة العقاد ثناء على ابن الرومي فلبئس ما أثنى؛ لأن الأدب العربي هو الحقيق أن تُنسب إليه عبقرية خصَّ بها صاحبها الذي لا يعرف غير العربية وكان بها ذا قدرة (سبق بها الشعراء في الأمم كافة بغير شك ولا تردد، هي قدرته البالغة على نقل الأشكال الموجودة كما تقع في الحس والشعور والخيال) صفحة 292، (ويستخدم السحر في الهجاء والمديح والمطايبة والمعاتبة، ويعرض لك في متحفه الكبير تلك الصور الهزلية التي لا مثل لها في شعر واحد من شعراء العالم كله) صفحة 129.

إننا نقف خاشعين عند هذا التحقيق العلمي الدقيق المحيط بشعر شعراء

الأمم كافة والعالم كله في قديمه وحديثه، ويسرنا أن تكون مصر قد خصت براوية يروي لكل أمة من الأمم كافة شعر جميع شعرائها في العالم كله، ونُسلِّم للعقاد أنه اطَّلع على كل ذلك وحققه ورواه؛ ولكننا لا نُسلِّم له أنه اطلع على الشعر العربي، وإلا فليأتنا بدواوين: بشار، وابن هِرمة، ومنصور، وأشجع، وابن الضحَّاك، والورَّاق، وابن الجهم، وابن بسَّام، وعشرات ومئات بعد هؤلاء وقبل هؤلاء، وهل قرأ شعر محمد بن عبد العزيز الذي نظم قصيدة تربي على أربعمائة بيت في وصف حاله وتنقله في الأديان والمذاهب والصناعات؟ وهل وقع إليه ديوان الواساني الذي خلف ابن الرومي في طريقته، وقال فيه الثعالبي: «أعجوبة الزمان ونادرته، كان في زمانه كابن الرومي في أوانه»؟ وهل قرأ ديوان ابن حجاج الذي انفرد بطريقة في الهجاء والسخر أسقطت ابن الرومي، وعفت على ديوانه وبلغ شعره خمسين ألف بيت، وقال فيه الثعالبي: «ديوان شعره أسْيَرَ في الآفاق من مثل... كثيراً ما بيع ديوان شعره بخمسين ديناراً إلى سبعين؟» وهل قرأ شعر ابن بسام الذي كان يقلده ابن الرومي في الهجاء ويسرق من معانيه وهو معاصره، وقد هجا الخلفاء والأمراء والناس جميعاً وأباه وأمه؟.

قبل أن يزعم العقاد تلك المزاعم الفارغة عن شعر شعراء الأمم كافة والعالم كله، يجب أن يُثبت لنا أنه أحاط بالشعر العربي وحده، وأنه استخرج من ذلك أن ابن الرومي متفرِّدٌ فيه، أما التهجُّم بغير علم، والزعم بغير دليل، ودعوى الثقة واليقين بلا برهان صريح، ولا دلالة قاطعة؛ فهذا كله ضرب من صناعة الكتابة الصحافية، لا من صناعة التحقيق التي لو استعرضنا بها الكتاب صفحة صفحة، ومسألة مسألة، لخرج أكثره تلفيقاً وإغراقاً، وتزيداً وجراً للكلام على الاقتسار والمكارهة، كما ترى في هذه المسألة التي

حشرها حشراً في صفحة 322 ليتباصر بأنه يعرف النحو، وهو من أجهل الناس به، إذْ قال عن ابن الرومي: «أما لفظه من حيث هو صحيح أو خطأ؛ فلفظ عالم بالنحو مطلع على شواهد العربية ولا سيما في القرآن، ومن هنا لم يذكر كلمة (أشياء) إلا ممنوعة من الصرف، وهي مصروفة في قول القياسيين من النحاة؛ لأنها جمع شيء، فهي (أفعال) جمع (فعل)، وليست (فعلاء) مؤنث (أفعل)، (كذا كذا...) التي تمنع من الصرف، وإنما تابع المفسرين في هذا، ولم يتابع القياسيين من النحاة؛ لأن كلمة (أشياء) وردت في سورة المائدة ممنوعة من الصرف، وتعليل المفسرين لذلك: أن (أشياء) اسم جمع كـ(طرفاء)، غير أنه قُلبت لامه فجُعلت (لفعاء)، وقيل: (أفعلاء) حذفت لامه، جمع لشيء كهين، أو شيء كـ(صديق) فخُفِّف، وهذه المخالفة للنحاة القياسيين هي كما ترى أدلُّ على العلم منها على الخطأ».

فما الذي يُفهم من هذا الخطأ؟ يُفهم أن (أشياء) مصروفةٌ عند القياسيين من النحاة، وممنوعةٌ من الصرف في القرآن؛ فلذلك علَّلها المفسرون غير تعليل النحاة (طبعاً) واتبعهم ابن الرومي، فكان هذا أدل على العلم منه على الخطأ، أي منع الصرف خطأ في ناحية، والصرف خطأ في ناحية أخرى، فكأن النحاة القياسيين يخطِّئون القرآن.

ولكن في أي كلام وردت (أشياء) مصروفة؟ ومن هم النحاة الذين يقولون بخطأ منعها من الصرف أو يُجيزون صرفها؟

كل ما في هذه المسألة أن النحاة رأوا الكلمة ممنوعة من الصرف، ورأى بعضهم أن القياس كان يقتضي أن تكون مصروفة، فذهبوا يعتلون بعلل مختلفة تسويغاً لمنع الصرف[1]، أما الكلمة فهي من حيث وقعت، فلا تثبت

(1) استوفى هذه العلل كلها صاحب (تاج العروس) في مادة (شاء) وبسط الكلام عليها ورجَّح منها، فليرجع

لابـن الرومي علماً ولا جهلاً، وإن أثبتت للعقـاد أنه ظفر بمسألة من مسائل التصريف نقلها ولم يفهم منها شيئاً.

وبعد، فما أحق ابن الرومي أن يقول في كتاب العقاد عنه:

وكـانـت أَيْـكَـتـي لـيـدٍ اجـتـنـاءٍ
فـعـادتْ بـعـده لـيـدٍ احتطابِ[1]

إليه القارئ إن شاء (الرافعي).

(1) ديوان ابن الرومي 1 / 258.

الشعر الفني في نظم شوقي بك[1]

يقول الفاضل علي محمد البحراوي (سكرتير جماعة الأدب المصري) في مقاله هذا المنشور في العدد الخامس من (أبولو) صفحة[2] 398: وأذكر أن صديقاً من الأدباء الممتازين كان واضح الإعجاب بالمعنى الذي تضمَّنه البيت الآتي الذي نظمه شوقي على لسان قيس في رواية (مجنون ليلى)[3]:

ليلى، مُنادٍ دعا ليلى فخفَّ له

نشوانُ في جَنباتِ الصدرِ عربيدُ[4]

وكان الصديق يلقي البيت إلقاءً بديعاً؛ فذكره لشوقي، وسأله عن ظروف نظم هذا المعنى الرائع؛ فاهتز شوقي للبيت لدى سماعه اهتزازاً له، وخاض في لُجَّةٍ من التفكير أذهله عن سؤال الصديق لحظة؛ فلما انتبه وذكر السؤال بادر إلى الجواب، ولم يكن إلا كلمة واحدة: لا أدري.

قال الكاتب: (وهذا حقٌّ؛ فإن شوقي لم يكن يدري كيف هبط هذا المعنى عليه، فهو وحي العبقرية).

ثم أشار الكاتب إلى مقالي الذي نشره (المقتطف) عن شوقي -رحمه الله- وزعم أني وُفِّقتُ في هذا المقال إلى حدٍّ لم يكن ينتظر من أحد شعراء المدرسة القديمة، قال: «ولكن ثمة مسألة جديرة بالبحث: تلك هي إعجابه ببراعة شوقي في استخراج المعاني وتوليدها من معاني غيره من الشعراء المتقدمين، أو أخذه على شوقي عدم توفيقه إلى ذلك».

---

(1) مجلة أبولُّو، يناير 1933م، ص 534 - 535.

(2) نُشر مقال البحراوي عن شوقي في العدد 4 من نفس المجلة، ديسمبر 1932م تحت نفس العنوان (الشعر الفني في نظم شوقي بك)، ص 397 - 408.

(3) يقصد المسرحية المعروفة، وكانت تُسمَّى رواية قبل أن يُصطلح على تسميتها بالمسرحية.

(4) انظر (مسرحية مجنون ليلى(، ص 43، مطبعة مصر، 1911م.

ثم تفضَّل علينا حضرته بثناء عظيم هو أن نصيبنا من الروح الفنية محدود في رأي حضرته، وكان يستطيع أن يقول إنه لا نصيب لنا من هذه الروح، ثم زعم أن الشعر الفني لا يجري عليه ما يجري على سائر المنظوم من أقيسة التوليد والاستخراج، إلخ.

وكأن الكاتب يذهب إلى مناقضتنا، ويحتج ببيت شوقي الذي هبط عليه وحي العبقرية؛ لأن هذا الوحي في رأيه يجعل المواقف متشابهة في الحياة، وأظنه لو سُئل مثلاً على ذلك لقال: كما يتشابه الناس في الأكل والمضغ بأسنانهم وأضراسهم الطبيعية أو الصناعية؛ فلا يقال إن أحداً قلَّد أحداً في ذلك!

ولكن ماذا يرى الكاتب إذا قلت له إن شوقي لم يعلق في قوله: لا أدري!! وإن الكاتب نفسه لم يصدق في قوله: «وهذا حق فإن شوقي لم يكن يدري... إلخ... »!

إن شوقي كان يدري فخدع سائله، وأنك أنت لم تدر فخدعت قرَّاءك؛ لأن ذلك المعنى الذي تقول إنه رائع، وأنه وحي العبقرية، وهو قول شوقي:

ليلى، مُنادٍ دعا ليلى فخفَّ له

نشوانُ في جنباتِ الصدرِ عربيدُ

هو بعينه قول المجنون:

دع باسم ليلى غيرها فكأنما

أطار بليلى طائراً كان في صدري[1]

وبيت المجنون أشد امتلاءً بالحسن، وأبدع تصويراً للمعنى، وأسلم في

(1) راجع ديوان مجنون ليلى، ص 124، جمع وتحقيق وشرح عبدالستار فراج، ط مكتبة مصر، القاهرة. وفي المقال (دعا) بدلا من (دع).

عباراتــه من التكلــف، وأبعد عن التلفيق الذي يجعل القلــب نشوان عربيداً، كأنه ليس في أضلاع صاحبه؛ بل في حانة بولاناكي!

وفي بيت شوقي غلطة نحوية يجب أن لا تخفى على أي أديب.

نَقْدٌ ورَدُّه[1]

حضرة محرر المقتطف:

سرَّني ما قرأتُ في مقتطف شهر نوفمبر 1932 للفاضل عباس محمود العقاد من دفاعه عن شوقي -رحمه الله- وتخطئتي في مسألتين استخرجهما من مقالي، وزادني سروراً أن أكون الذي جعل العقاد ينحاز إلى شوقي!

المسألة الأولى:

أشرتُ في مقالي إلى غلطة شوقي في قوله:

إن رَأَتْنِي تَمِيلُ عنِّي كأنْ لمْ
تَكُ بيني وبينها أشياءُ[2]

وقلتُ إن صوابها (تَمِلْ)؛ لأنها جواب (إنْ) الشرطية، فقال العقاد: «والذين يعرفون النحو!!! يعلمون أن الخطأ إنما هو في تصحيح)كذا) الرافعي؛ لأن رفع جواب الشرط المسبوق)كذا) بفعل ماض صحيح مستحسن كجزم الجواب على السواء (كذا) لم يُخطِّئه أحدٌ قطٌ من علماء اللغة والنحاة».

نقول: ولكن إذا كان الرفع والجزم سواءً، وكان تصحيحاً بالجزم فكيف يكون الخطأ (إنما هو في التصحيح)...؟ كما أنهم لم يقولوا إن الجواب الذي يرفع هو (المسبوق بفعل ماضٍ)؛ بل هو الذي يكون فيه الشرط فعلاً ماضياً، وشتان بين كلام وكلام.

(1) المقتطف، المجلد 82، الجزء الثاني، 6 شوال 1351هـ / 1 فبراير 1933م، ص 229 - 233. يقول في رسالته المؤرخة في 15 مارس 1933م لأبي رية: «لقد فرَّ العقاد من المناقشة النحوية التي فتح بابها في المقتطف وأعلن هزيمته، وسأسجل عليه هذه الهزيمة في المقتطف نفسه، وكنتُ لا أصدق أنه يفر! وكان كل الذين اطلعوا على كتابتي في المقتطف عن المسألة النحوية يؤكدون لي أن العقاد سيسكت ولا يرد؛ لأنها عقدة لا يمكن حلها». رسائل الرافعي، ص 256.

(2) الشوقيات 3 / 112، تقديم محمد حسين هيكل، مكتبة مصر، القاهرة.

يُشير الكاتب إلى القاعدة المذكورة في كل كتب النحو من أن الجواب يُرفع أو يُجزم إذا كان الشرط ماضياً لفظاً أو معنى، والجزم هو المختار عند قوم، والرفع جائز، وعند قوم العكس، وعند آخرين يجب الرفع، ولم يقل أحد من النحويين إنهما (على السواء).

ولكن مع ورود هذه القاعدة في كل كتب النحو لا يزال بيت شوقي عندنا غلطاً؛ لأننا لسنا من (الذين يعرفون النحو) معرفة النقل من الكتب والتقيد بالرأي خطأ وصواباً، ولا هذا مذهبنا في الأدب، ولا في اللغة، ولا نُقلّد أحداً، ولا نتابع أحداً؛ بل لا بد أن يمرَّ ما في الكتب من هذا الرأس بدياً فيجيء مجيئه الأول من ناحية أهله، ثم مجيئه الثاني من ناحيتنا، إذْ لم تكن صناعتنا الترجمة ولا التلخيص؛ فتجعل طبيعتنا النقل والإغارة على أقوال الناس، وخلط شيء بشيء، وادعاء الخليط كما يفعل أكثر المترجمين الذين يأبون إلا أن يكونوا كُتَّاباً وأُدباء، لا من ناحية أنهم أدباء وكتَّاب؛ بل من ناحية أنهم تراجمة...

وسنعرض هنا كل أقوال النحاة في رفع جواب الشرط على نسق من القضايا ونعترضها بالنقد، ثم نترك الجواب عنها لنحويِّنا الجديد؛ لعلنا نفيد منه علماً لم نجده عند سيبويه ولا الخليل ولا المبرد ولا غيرهم.

1 - لا يمكن أن يُجعل رفع الشرط في تلك الصورة قاعدة يُقاس بها إلا إذا سمع في الكلام المنثور دون المنظوم، إذْ النظم محل الضرورة في أشياء كثيرة معروفة، أما النثر فهو على السَّعَة، ولا يجوز فيه إلا الجائز، فما هي الأمثلة التي نقلها النحاة عن العرب لتلك القاعدة؟ وعن أي القبائل سمعت؟ وهل هو السماع الذي يعضِّده القياس أم السماع الضعيف؟!

2 - لم يزيدوا في كتبهم على أن قالوا إن ذلك مسموع، ولم يزد سيبويه في

كتابـه على هذه العبارة: «وقد تقول (تأمـل): إن أتيتني آتيك، أي: آتيك إن أتيتني. قال زهير:

وإنْ أَتَــاهُ خليلٌ يـومَ مسألةٍ

يقولُ: لا غائبٌ مالي ولا حَـرِمُ[1]

فأنـت ترى أن سيبويه يضـع مثالاً ويأتي بالشاهد عليه مـن الشعر، والشعر محـلُّ الضرائـر يجوز فيه ما لا يجوز في الـكلام ولا اضطرار في بيت شوقي إذ يستطيـع أن يقول: إن رأتنـي تصدّ عني، فلا شاهد في كلام سيبويه على رفع الجواب.

3 - إن أداة الشـرط تجزم فعلين؛ فإذا كان الجواب مرفوعاً؛ قيل في إعرابه أنـه فعل مضـارع مرفوع في محل جزم، فإذا لم تكن ثـمَّ ضرورة من الوزن؛ فمـا الذي يمنع الجـزم أن يظهر على الجـواب في كلام هو مـن لغة النهار والليـل؟! وما علة تقدير الجـزم؟! ولماذا يقدر في مثـل (إنْ زرتني أُكرمُك) وأنت تستطيع أن تقول: (أُكرمْك)؟!

4 - مـن أجـل هذه العلة يقول سيبويه ومن تبعـه: إنَّ (أكرمُك) في مثل هذه الصـورة ليست هي الجواب؛ بل الكلام على نيَّة التقديم أي الأصل (أُكرمُك إن زرتَني) فالجواب محذوف، وفي هذا الرأي -وهو أقوى الآراء وأسدّها- لا يُقـال: إنَّ جواب الشرط مرفـوع، ثم إنَّ فرقاً في البلاغة بين قولك (أكرمُك إن زرتني) وقولك (إن زرتني أكرمك) فلماذا يقلب سيبويه إحدى العبارتين إلى الأخرى على حين قائلها لم يرد إلا وجهاً بعينه، وما هي ضرورة التقديم ما دام الكلام على السعة؟!

---

(1) راجـع: ديـوان زهير بن أبي سلمى ص 115، شرح وتقديم علي حسن فاعـور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1408هـ / 1988م.

5 – ومـن أجـل هذه العلَّة أيضاً يقـول الكوفيون والمُبرِّد مـن البصريين: إنَّ (أكرمُك) ليست هي الجواب، والكلمة على تقدير الفاء، فالأصل (إن زرتني فأكرمُـك)؛ وبهـذا يكون الجواب جملة اسمية، ولكـنِ ما هي ضرورة حذف الفاء وتقديرها في وقت معاً والكلام ليس موزوناً يختلُّ معه الوزن إن ذكرت الفـاء، وقائلهـا لو أرادها لذكرهـا؛ لأن الجملة من الـكلام المبتذل الذي لا يـراد منه شاهد في البلاغة؟ وهم قاسوا ذلك علـى مثل قوله تعالى: (وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيـلًا) (البقرة: 126)، (وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ) (المائدة: 95)، (فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْساً وَلَا رَهَقاً) (الجن: 13)[1]، ولكنهم غفلوا عن سر هذه الفاء فقاسوا عليها ذلك أمثال المبتذل، ولعل نحويَّنا يُبين للناس هذا السر.

6 – ويقـول بعضـ من ذهبوا إلى أن سبب رفع الجـواب تقدير الفاء أن هذه الفـاء تقـوم في إفـادة الربط مقام الجـواب؛ فيصبـح رفعُهُ وتـركُ جزمه استغناء عنه بالفاء، وهذا كما ترى من الخلط.

7 – قـال قـوم من النحاة: إن الـكلام ليس على نية التقـديم ولا على تقدير الفـاء؛ ولكـن لما لم يظهـر لأداة الشرط تأثير في فعل الشـرط لكونه ماضياً ضعـف عـن العمل في الجواب، وهـذا على مذهب أن فعـل الشرط هو الذي يجـزم الجواب وهـو غير الرأي الـذي عليه التحقيـق، إذ يلـزم أن لا يكون الجواب معمـولاً لأداة الشرط لفظاً ولا تقديراً، والجزم ليس قوة ميكانيكية يبطـل تأثيرها إذا انتهى إلى فاصـل لا يتأثر بها فلا تتعدى إلى ما وراء هذا الفاصـل، ثـم إن فعل الشرط إذا كان مضارعـاً مبنياً كان كالماضي في عدم ظهور الجزم فيه، ومع ذلك لا يرفع الجواب بعده، فبطل هذا الرأي كله.

---

(1) في الأصل: (ومن يؤمن).

-8 إن القرآن الكريم وهو أفصح الكلام لم يأت فيه رفع الجواب مطلقاً؛ بل جاء بالعكس في قوله تعالى: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا) (هود: 15)، وقوله تعالى: (مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا) (الشورى: 20).

فيُخلَصُ من كل ذلك أن أقوال النحاة ساقطة كلها، وأن الأساس الذي بُنيت عليه من السماع مجهولٌ لم يأت به أحدٌ، وأنه لم يفرق لأحد منهم عن علة مقنعة في زعمهم رفع الجواب؛ بل عارض بعضهم بعضاً، ومتى تعارضت الأقوال تساقطت، وأن الأصل الصحيح الذي بين أيدينا -وهو القرآن الكريم- ينكر هذه القاعدة فلم يأتِ بها ولا مرة واحدة وأتى بخلافها مراراً؛ فكيف يكون التأويل بعد هذا؟! وما هو الوجه الصحيح؟ وكيف يُدفع السماع الذي نصُّوا عليه؟ وكيف يكون الدفاع عن هؤلاء النحاة وهم قد عجزوا عن البرهان القاطع؟!

المسألة الثانية:

قلنا إن من التركيَّة في شوقي إضافات وهمية، لا محل لها في ذوق البلاغة كقوله:

عيسى الشعور إذا مشى

ردَّ الشعوبَ إلى الحياة(1)

فقال العقاد: «وظنَّ أن الشعور هنا زائدة، والصواب أن)عيسى الشعور) في البيت السابق من تشبيه الإضافة المعروف في البلاغة، وليس ثمَّة حشو ولا إقحام في تركيب الكلمات، فالبيت معناه أن الشعور إذا مضى (كذا) في

(1) الشوقيات 3 / 50.

الشعـوب ردَّهـا إلى الحياة كما كان عيسى يُحيي الموتـى، ومثل هذا أن يقال (خمـر الريق) في تشبيه الريق بالخمر على الإضافة أو يُقال (موت الغباء) -حفظك الله- في تشبيه الغباء بالموت على هذا المعنى».

قلنـا وبهذه الأسطر القليلة كدنا ننسـى أن العقاد من الذين يعرفون النحو؛ إذ هـو لا يميـز في معاني الإضافة النحوية بين خمر الريق وموت الغباء وبين عيسى الشعـور، ولا يعرف أن الأول إضافة نكرة إلى معرفة تتعرَّف بها، وأن (عيسى الشعور) إضافة معرفة إلى معرفة؛ وذلك ممتنع، إلا إذا جاز تنكير العلـم واعتباره كواحـد من جملة من سُمِّي باسم عيسـى، وهذا محال؛ لأنه ليس في الدهر كلِّه إلا عيسى واحد خُصَّ بتلك المعجزة.

وقـال بعضهم: بل تجوز إضافة العلم مع بقاء تعريفه؛ إذْ لا يُمنع من اجتماع تعريفـين إذا اختلفـا؛ وذلك متى أضيف العلم إلى مـا هو متصف به معنى، نحـو: زيـدُ الصدق. قال: يجوز ذلـك؛ وإن لم يكن في الدنيـا إلا زيد واحد، نقـول: «لكـن عيسى -عليه السـلام- لم يتصـف في المعنـى بالشعور» حتى تجـوز إضافته إليه؛ بل اتصف بإحياء الموتى، (والشعور) من صفة كلِّ حي؛ لا مـن خصائص عيسى وحـده، وعلى فرض أن يُقـال إن (الشعور) في لغة العقـاد هو إحياء الموتى فيبقـى أن عيسى لم يُحي آلافاً ولا مئات ولا عشرات مـن الأموات، فالإحياء ليس وصفاً ملازماً لـه ملازَمة الصدق لمن عُرف به علـى أنه طبيعة فيه فتجـوز الإضافة في (زيد الصدق) ولا تجوز في (عيسى الشعـور)؛ وإنما المثلُ الصحيح في هـذا الباب قولهم (زيد الخيل) لملازمته إياها وأنه فارسُها في الغارات، (وعمرو الصَّمْصامة)؛ لأنه لا يضرب إلا بها فكأنها إحدى يديه.

ونحـن لم نقل إنَّ (الشعـور) زائدة -كما توهَّم العقَّـاد- ولا تعرضنا لكونها

إضافـة على تشبيه أو على النحوية، ولم نزد على أن قلنا إنها وهميَّة لا محل لهـا في ذوق البلاغـة، فلننظر فيهـا الآن من هذه الناحيـة، إن ساغ في ذوق البيـان أن تقـول: ريـقٌ مثل الخمر، وغبـاءٌ مثل الموت، فهل يسيـغ ذوقك أن تقول: شعورٌ مثل عيسى؟ وإذا كان هذا التشبيه بارداً ركيكاً في أصله؛ فكيف يجـوز أن تُحيله إلى التشبيه البليغ فتحذف منه أداة التشبيه وتُضيف المشبه بـه إلى المشبه؛ فتقول: (عيسى الشعـور) إذا فعل وفعل؟ والفرق بين قولك: (ريـق كالخمر) وقولك: (خمر الريق)؛ أن هذه الصورة الثانية تجعل الفرع في المبالغة كأنـه الأصل لا الفرع؛ فيصبح الريق ألذَّ وأقوى وأعظم نشوة من الخمـر، وكأنها عرفت بـه ولم يُعرف هو بها، فهل يجـوز على هذا أن يجعل الشعور أقوى وأعظم في المعجزة من عيسى؟!

وهنا يجب أن أصرح أني لم أقرأ قصيدة شوقي التي منها (عيسى الشعور) إلا في كتـاب الديـوان الـذي أصدره العقـاد في سنة 1921م حـين توهَّم أنه يستطيـع أن يهدم شوقي بمقالة في مثل السهولة الذي تستطيع أن تحمل بها الجبل ملفوفاً في نسخة من جريدة.

وكنتُ أهملتُ كتاب (الديوان) هذا فلم أقرأه مع أني منتَقَدٌ في الجزء الثاني منـه باللغة التي ينقد بهـا العقاد من أقاموه وأقعدوه من غـير أن يُقعدوه أو يُقيموه، وإنما قرأت ما كتب عني في نسخة كانت في يد أحد محرري الأخبار ثم تركتها، فلما أردت أن أكتب عن شوقي رأيت واجباً أن أطلع على ما كانوا يرمونـه به؛ فطلبت الكتـاب من الصديق محرر (المقتطـف) لأشير إليه إن كان فيـه رأي أو سـداد أو طريقة، وجاءني الجـزء الأول فمرَّ في إحدى يدي محمولاً وفي الأخرى ملقى به الأرض، إذ ليس فيه إلا التعسف الذي لا يميز، والخبـط الـذي لا يُهتـدى معه إلى حقيقـة، وكتب العقاد أربعـين صفحة لم

يعرف فيها من مآخذ شوقي إلا بيتاً واحداً هو قوله في الهلال:

تطلعُ الشمسُ حين تطلعُ صُبحاً

وتَنْحمي لمنجلِ حصاد[1]

وظن أنه أخذه من قول ابن المعتز:

انظرْ إلى حُسْنِ هِلالٍ بَدَا

يَهْتِكُ من أنوارِهِ الحِندِسا

كمِنْجَلٍ قَدْ صِيغَ من فضةٍ

يحصدُ من زُهْرِ الدُّجَى نَرْجسا[2]

قال العقاد: وجاء شوقي فقال إنه (أي الهلال(منجلٌ يحصد الأعمار، وكلام العقاد هذا هو الذي نبهنا إلى نقد الإضافة في (عيسى الشعور)؛ لأن شوقي لم يأخذ من ابن المعتز؛ بل أخذ من شاعر العراق المشهور عبد الباقي العمري الذي كان في القرن الماضي، من أبيات يقال إنها من مبتكراته، وهي:

علينا أَهِلَّةُ هذي الشهورِ

غَدَت تحصد العُمُرَ في مِنْجَل

ودَاسَتْ بيادرُ أيامهِ

نباتَ لياليه بالأَرْجُلِ[3]

إلخ إلخ...

---

(1) الشوقيات 3 / 55.

(2) ديوان ابن المعتز، ص 278، دار صادر، بيروت.

(3) راجع: ديوان عبد الباقي الفاروقي الموصلي، المعروف بـ (الترياق الفاروقي من منشآت الفاروقي(، ص 193، مطبعة الطوخي، مصر، ط 1287هـ.

وفي هذه الأبيات يقول العمري إن هذا الحصاد طُحِنَ وعُجِنَ:

وقـد خبـزتـه (سُـلـيـمـى الـهـمـوم)

بمسـنـجُـورِ تَـنُّـورِهـا المُصْطَلِي[1]

فمن ههنا تنبهنا إليَّ (عيسى الشعور)، وما كان العمري إلا مقلداً الفرس والترك، وديوانه قد طُبع في مصر من ثلاثين سنة، وأهداه طابعه إلى شوقي، وكان صديقه وصديقنا وهو الشيخ عثمان الموصلي، والغريب أن العقاد الذي فسر لنا (عيسى الشعور) هو نفسه الذي قال في (الديوان): «ولكن شاعر العامة يعكس الآية فيقول إن الشعور رد الحياة، وكلنا يعلم أن الحياة هي التي تُنشئ الشعور».

لقد قلتُ في مقالي عن شوقي، وأشرت إلى من حاولوا إسقاطه مراراً إنه «أراهم غباره ومضى متقدماً، ورجع من رجع منهم ليغسل عينيه ويرى»، وتفسير العقاد الآن دليل بيِّنٌ على أنه غسل عينيه.

(1) الموضع السابق.

أول الغَلَطِ من المجمع اللُّغوي[1]

قالت إحدى الصحف: إنَّ حضرات أعضاء المجمع اللغوي اجتمعوا... إلى أنْ قالت: واتفقوا على إرسال البرقية التالية ورفعها إلى الأعتاب الملكية، وهذا نصُّهَا:

«أرجو أن ترفعوا إلى السُّدة الملكية السامية: أنَّ أعضاء مجمع اللغة العربية الملكي المجتمعين من مصر والبلاد العربية والغربية في عهد حضرة صاحب الجلالة المليك المعظم، ذلك العهد الناهض باللغة العربية وآدابها، المزدهر بالعلوم والفنون يتضرعون إلى الله تعالى أن يمنَّ على جلالته بالشفاء التام والصحة الكاملة ليحظى المجمع بتشريف جلالته لافتتاحه قريباً إن شاء الله، وينتهزون هذه الفرصة لرفع ولائهم وإخلاصهم إلى صاحب العرش المُفَدَّى».

هذا كلام الصحيفة؛ فإن كانت عبارة أعضاء المجمع اللغوي هي بهذا النص؛ فقد كفَتْنَا أن نتكلَّمَ في ضعفِها واضرابها، فهذا أسلوب لولا إعرابُه: لنزل إلى العامية في تراكيبها؛ بل لعل فيه ما ينزل دونها؛ فإنهم يرفعون الخطاب إلى جلالة مولانا الملك؛ ويشيرون إلى عهد جلالته بـ(ذلك)، ويفصلون بين اسم أن وخبرها باثنتين وعشرين كلمة، ولو أنَّ كاتباً من البُلَغَاءِ صحَّح لهم هذه العبارة وأدار فيها قلمه؛ فجاء بكلام بينه وبين ذلك النص مثل ما بين الوجه والقفا!.

وما لهذا كتبنا هذه الكلمة، وإنما كتبناها لنسأل حضرات أعضاء المجمع اللغوي في كلام فصيح جاء مثل هذا التعبير (ليحظى المجمع بتشريف جلالته) وهل يجوز استعمال الباء مع (حَظِيَ)؟!

---

(1) البلاغ، مساء الخميس 16 شوال سنة 1352 – 1 فبراير سنة 1934، وقد نشره الرافعي ضمن ثلاثة مقالات في نقد المجمع بتوقيع (أديب صغير) وليس باسمه الصريح، انظر: حياة الرافعي ص176 و177.

ثم هل يعرف حضراتهم كيف دار هذا الفعل (يحظى) في كلام المتأخرين؟! ومن أي معنى أخذوه؟! وكيف مكنوا له في استعمالهم هذا التمكين؟! أفإنهم إن عرفوا هذا كان ذلك نقداً آخرَ للكلمة.

ويقولون: (تشريف جلالته لافتتاحه) ففي أي كلام عربي يستعمل التشريف بمعنى الحضور! بيد أننا نسمع العامة يعظمون الضيف فيقولون: (شرَّفتَ) وهم بالطبع لا يريدون معنى حضرتَ إذ يكون هذا عبثاً من الكلام، غير أنَّ المجمع اللغوي استعمل التشريف بمعنى الحضور وهو خطأ شائع.

ولعل حضرات الأعضاء يجيئوننا من علمهم الواسع بكلام فصيح يسوغ لهم أن يقولوا: (ليحظى المجمع بتشريف) ويصحَّ لهم استعمال التشريف بمعنى الحضور، فلا ريب أن إليهم المرجع ومنهم الفتوى.

حَظِيَ بالشيء[1]

جاءنا حضــرة (أزهري) المنصورة بالحجة القاطعة والشهادة القائمة على أن (حظي بالشيء) هي من كلام العرب، فكان كل ما قاله في هذا هو هذا:

«قال ديوان الحماسة:

أَخْلِقْ بذي الصبر أن يحظى بحاجته

ومُـدْمِـنُ القرع للأبواب أن يَلِجَا[2]

وقال الأساس: وحظي بالمال، وتقول ما حلي بطائل، ولا حظي بنائل».

ثــم مــرَّ حضرة الأزهري بعد ذلك في أسلوبه مــن الحشو الذي نُسميه نحن جـدول الضرب المطبعي؛ فلا غرض منه إلا جعل الكلمة الواحدة كلمتين، ثم الكلمتين أربعاً، ثم الأربع ثماني، وهكذا دواليك؛ وإلا فهل في الفضول أعظم مــن أن يأتي حضرته فيثبت (للأديب الصغير) منزلة أبي تمام في العربية، وينقــل له قــول الزمخشري فيه، ويعرفه ما هو ديــوان الحماسة، ويدله على (زمخشريــة أستــاذ الدنيا) جــار الله الزمخشري، ثم يكلمــه في الحضرة والحضــرات، ثم (يشطــح) إلى تكذيب ما روي عن بعضـ الأولياء، ثم قفز إلى ما أملى (ح) في الأهرام...[3] بختم هذا النشيد القومي؛ فيقول: يا رب، كل واحد صار يملي!!

على أن حضرته ما زاد في تبيينه لكلمة العشرين حضرة؛ أي أعضاء المجمع اللغــوي على أنْ صنع مثل ما صنعه عجل بن لحيم بن صعب بن علي بن بكر

---

(1) البلاغ، مساء الثلاثاء 21 شوال سنة 1352 – 6 فبراير سنة 1934.

(2) 2 البيــت لمحمــد بن بشــير الخارجي، انظر: شرح ديــوان الحماسة لأبي تمام؛ أبــو زكريا يحيى بن علي التبريزي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٠م، ج٢، ص٧٢٠.

(3) مطموس في الأصل بمقدار كلمة

بن وائل (وكدنا والله نتعلم الحشو والفضول) فزعموا أنه قيل له: ما سميتَ فرَسَك؟ فقام إلى القائل ففقأ عينه، وقال: سميته الأعور.

نحن نشير في كلامنا في انتقاد (العشرين حضرة) إلى مغامز دقيقة لا نستطيع أن نكشفها، ولذا طالبناهم أن يأتونا بالتاريخ الاجتماعي للفعل (حظي) إن كانوا علماء لغة وفلاسفة لغة، وسألناهم عن الكلام الفصيح الذي جاء فيه مثل قولهم (حظي بتشريف)، وما أجهل ما قاله الأساس ولا بيت الحماسة، ولو سأل (أزهري) حضرة الأستاذ صاحب البلاغ؛ لبيَّن له أني كتبتُ هذا البيت في كلمتي الثانية في ردي على الأستاذ الشيخ والي، ثم ضربنا عليه وأسقطناه من الكلام؛ إذ ليس من عملنا نحن أن نأتي بالأدلة الفاسدة ثم نزيفها ونبين فسادها.

البيت لمحمد بن بشير الخارجي وهو من شواهد النحاة المشهورة ولا مطعن عليه، ولكن الدليل فيه أعور؛ فإن الشاعر لا يريد الحُظوة (بالضم) ولا الحِظوة (بالكسر) ولا الحظة، أوزان عدة (كدنا والله نتعلم الفضول والحشو!!!)؛ بل أراد معنى آخر؛ ففاق باللفظ ولم يوفق إلى غرضه؛ فاضطر أن يضمِّن (حظي) معنى (ظفر) ونَقَلَ الفعل عن أصله وحوَّله عن دلالته؛ فلم تبقَ الكلمة حظي؛ بل هي (ظفر)، وسقطت حجة (أزهري).

وكنا ننتظر أن يجيء هذا الشاهد في ردٍّ لأعضاء المجمع فنضرب الضربة التي خابت الآن باستهداف (أزهري) لها، ونقول لهم: وهل يكون ظَفَرُ ذي الصبر بحاجته بعد الكدِّ والمغالبة ومعاناة البؤس وارتقاب الفرج هل يكون هذا قياساً يُقاسُ عليه في الذوق أو في الأدب ظفر المجتمع بتشريف جلالة الملك؟! وما الذي عاناه المجتمع، وما الذي كابده فيه مما يهيئ صورة المعركة لمعنى الظفر حتى تقع الكلمة في موقعها فتكون حظي بمعنى ظفر؟!

وقـد نصَّ النحاة في شرح البيت على ما ذكرناه مـن معنى التضمين، ويدل عليـه أيضاً أن بشَّار بن برد لمَّا أراد هـذا المعنى وأطلق العبارة لم يستعمل لا حظي ولا (بظي)!! بل قال:

من راقب الناس لم يظفر بحاجته

وفـــاز بالطيبات الفاتك اللهج

أمَّـا قول صاحب (أساس البلاغة) فلا دليل فيه لأعضاء المجمع؛ بل هو من دليلنا نحن؛ لأننا نُنْكِرُ الاستعمال ونستهجنه مقيَّداً باعتبارين؛ الأول أنه من أعضاء مجمع اللغة، والثاني أنه في كلمتهم المرفوعة إلى جلالة الملك.

وبعـد هـذا نقول (للأزهـري) إن سجعـة الزمخشري التي استـدل بها هي كأثـر سجـع الرجـل في كتابه من الكلام الغـثِّ البارد الـذي لا وزن له، وقد سمَّـى الرجل كتابه أساس البلاغة ولم يسمه أسـاس اللغة، وهل نتكلم الآن في الزمخشـري، هـل نترك هذه المقالة تفتح فمها لتبتلـع صفحة من البلاغ (كدنا والله نتعلم الفضول والحشو!!!).



البلاغ

الاشتراكات

الإعلانات

الطيارات المصرية

بين القاهرة والأقطار الشقيقة

حظي بالشيء

المجمع اللغوي

لائحته ... وواجبه

صورة للصفحة الأولى من صحيفة البلاغ ويظهر فيها مقال الرافعي (حظي بالشيء)

كلمة في طيارة إلى أعضاء المجمع اللغوي[1]

مما أخذنا به حضرات أعضاء المجمع اللغوي في أول غلطهم؛ قولهم في برقيتهم: (المجتمعين في عهد حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم)؛ فقلنا: (يرفعون الخطاب إلى جلالة مولانا الملك، ومع ذلك يُخبرون أنهم اجتمعوا في عهد جلالة الملك)، ولم نزد على ذلك شيئاً وتركنا لهم أن ينفذوا إلى ما وراءه كما يفعل دعاة السياسة في بعض الكلمات التي تحتاج إلى غطاء.

وجاء فضيلة الأستاذ الشيخ حسين والي عضو المجمع، وهو الذي أنشأ ونمَّق وطرَّز ووشَّى عبارة تلك البرقية فيما علمنا، جاء فضيلته يرد علينا فلم يقل شيئاً كأننا في هذا لم نقل شيئاً.

ثم انتهى إلينا أنَّ أكثر حضرات الأعضاء يعجبون كيف يخطرُ (لأديب نونو) فضلا عن (أديب صغير) أن يرى في هذا مغمزاً أو يعدُّه نقداً، ثم يهاونون أنفسهم ويساهلونها في الاطمئنان؛ فيقولون: كيف يُرَدُّ على مثل هذا وقد،

(1) 3 البلاغ، مساء الأربعاء 22 شوال سنة 1352 – 7 فبراير سنة 1934.

وقد، وقد؛ أي وقد سقط هذه السقطة، وقد... إلخ.

فإن صحَّ ما بلغنا فهو مما نأسف له؛ إذ يدلُّ على أن القوم مأخوذون بالاستعمال العامي لكلمة (العهد)، وليس لهم من البصر باللغة إلا ما يحتاج إلى نظّارة فلكيَّة ينظرون بها الكلمات.

فالأديب الصغير يرجو من حضراتهم أن يرجعوا إلى كلِّ دواوين اللغة -وبخاصة أساس البلاغة- ثمَّ يستقصوا معاني الكلمة، يستقصوا، ويدقِّقُوا في فلسفة استعمالها، يدقِّقُوا ثم يفسِّروا لنا ماذا أرادوا بقولهم: ذاك تفسير يطابق نص اللغة. إنهم سيعرفون حينئذ قول القائل: (هيهات طار غرابها بجرادتك).

نسبة شعر[1]

قرأت في مقال إبراهيم بك مرزوق المنشور في العدد السابع والخمسين من الرسالة بقلم الأستاذ محمود خيرت فيما روى عن المرحوم المنفلوطي هذا البيت:

مَضَى بها ما مَضَى من عقلِ شارِبِها
وفي الزجاجةِ باقٍ يطلبُ الباقي

أورده في قصة حكاها عن رجل قال إنه كان رئيساً (باشكاتب) لكَتَبَة محكمة إسكندرية الشرعية؛ ثم قال الراوي: (ولا أدري إذا كان هذا البيت من مقوله أو قديم).

والبيت قديم من قصيدة لعبد الله بن العباس الربيعي يقول فيها:

ومستطيلٍ على الصَّهْباءِ باكَرَها
في فتيةٍ باصطباحِ الرَّاحِ حُذّاقِ
يمضي بها ما مضى من عقلِ شارِبِها
وفي الزجاجةِ باقٍ يطلبُ الباقي
فكل شيء رآه خالَهُ قَدَحاً
وكلُ شخصٍ رآهُ ظنَّه السَّاقي[2]

والذي نسبتْ إليه القصة لم يكن رئيساً للكَتَبَة؛ ولكنه كان أحدهم، واسمه الشيخ أحمد، وكان مليح النادرة معروفاً بالنكتة، سمعتُ عنه مضحكاتٍ

---

(1) الرسالة، السنة الثانية، العدد 58، 3 جمادى الأولى 1353هـ / 13 أغسطس 1934م، ص 1339 - 1340.

(2) الأغاني لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني، تحقيق إحسان عباس وإبراهيم السعافين وبكر عبّاس، بيروت: دار صادر، ط٣، ٢٠٠٨م، ج١٩، ص١١٧.

كثيرةً؛ منها أنه كان ذات يوم نازلاً من المحكمة؛ فالتقى برجلٍ صاعدٍ يطلب مقابلـة الرئيـس، فسأله الرجل: يا شيـخ أحمد هل الرئيس فـوق؟ قال: هو فوق؛ ولكنَّ أعضاءه نزلتْ.

ومنهـا أن عمِّي المرحوم الأستـاذ الشيخ عبدالرحمن الرافعـي، وكان نقيباً لمحكمـة إسكندرية، سُئـل في ميراث يُراد معرفة مـا يُفرض منه لكل وارث، وكان الشيـخ أحمد هذا يكتب عنه الفتاوي، فكلفه المفتي أن يعمل ما يُسمونه (شبّـاكا) وهـو رسمٌ ذو بيوت يُذكـر فيه الورثة أصـولاً وفروعاً وفريضة كل منهم، ولما كان الغد سأله: يا شيخ أحمد هل عملت (الشباك)؟ فقال: يا سي الشيخ؛ ما ليش (طاقة).

أما النـادرة التي رواها الأستاذ خيرت وحكاها له المنفلوطي فليست بصحيحة على ذلك الوجه ألبتة، إذْ لا يُعقل أن عالماً فاضلاً رئيساً لمحكمة شرعية يقول لرجل: أنتَ طالق.

والذي روُي لي أن أحد الموظفين مع الشيخ أحمد قاطعه على طريقته فطلَّقه ثلاثاً، وجاء الباقون يسعـون في الصلح بينهما، وأخذوا المعتدِي إلى المعتدَى عليـه ترضيةً لـه، فلما دخلوا (بالمطلِّـق) على الشيخ أحمـد؛ فعل بجبته ما تفعل المطلقة بملاءتها إذا استترت ممن لا تحلُّ له؛ فضحك الجميع وشاعت النـادرة، ولعـل الشيخ أحمد نظر فيها إلى نادرة قريبـة منها رواها صاحب الأغاني في كتابه. والله أعلم.

ثبتٌ بأهم الصحف والمجلات[1] التي كتب لها الرافعي[2]

1 - أبولو (1932 – 1934م): أحمد زكي أبو شادي.

2 - الإحسان: الجمعية الخيرية الإسلامية بحلب.

3 - الأخبار (1920م): أمين الرافعي، القاهرة.

4 - الإشاعة (1932): عبدالرحمن العيسوي، القاهرة.

5 - الأهرام (1879م): سليم وبشارة تقلا، القاهرة.

6 - البلاغ (1923م): عبدالقادر حمزة، القاهرة.

7 - البلاغ الأسبوعي (1926م): عبدالقادر حمزة، القاهرة.

8 - البيان (1897م): إبراهيم اليازجي وبشارة زلزل، القاهرة.

9 - البيان (1910م): عبدالرحمن البرقوقي، القاهرة.

10 - الثريا (1896م): إدوارد جدي.

11 - الجامعة (1906م): فرح أنطون، القاهرة.

12 - الجريدة (1907م): أحمد لطفي السيد، القاهرة.

13 - الجهاد (1931): محمد توفيق دياب، القاهرة.

14 - الجوائب (1932): حسن السندوبي، القاهرة.

15 - الجوائب المصرية (1903م): خليل مطران، القاهرة.

---

(1) اعتمدنا في إعداد هذه القائمة على ما كتبه الأستاذ العريان في كتابه (حياة الرافعي)، والدكتور مصطفى البدري في كتابه (الإمام مصطفى صادق الرافعي)، فضلاً عما توصلنا إليه بالتنقيب في دار الكتب المصرية العامرة ومكتبة الإسكندرية وغيرهما عند جمعنا الأعمال المجهولة للرافعي التي نأمل أن ترى النور قريباً.

(2) رأينا ترتيب الصحف والمجلات أبجدياً مع بيان اسم صاحب الامتياز ما أمكن تمييزاً لها عن غيرها.

16 - الحال (1918م): حسن السيد علي الخولي، القاهرة.

17 - الدنيا المصورة (1929م): دار الهلال، القاهرة.

18 - الرسالة (1933م): أحمد حسن الزيات، القاهرة.

19 - الزهراء (1924م): محب الدين الخطيب، القاهرة.

20 - الزهور (1910م): أَنْطُون الْجُمَيِّل وأمين تقي الدين، القاهرة.

21 - سركيس (1905 – 1926م): سليم سركيس.

22 - السياسة (1922م): محمد حسين هيكل، القاهرة.

23 - السياسة الأسبوعية (1926م): محمد حسين، القاهرة.

24 - الصاعقة (1897م): أحمد [illegible] حلمي، القاهرة.

25 - الضياء (1898م): إبراهيم اليازجي، القاهرة.

26 - العصور (1927م): إسماعيل مظهر، القاهرة.

27 - فتاة الشرق (1906م): لبيبة هاشم، القاهرة.

28 - الفتح (1926م): محب الدين الخطيب، القاهرة.

29 - الكفاح (1930): كمال الدين الطائي، بغداد.

30 - كل شيء والدنيا: (1925): دار الهلال، القاهرة.

31 - كوكب الشرق (1924م): أحمد حافظ عوض.

32 - لسان الحال (1877م): خليل سركيس.

33 - اللطائف (1886 – 1896م): شاهين مكاريوس، القاهرة.

34 - اللطائف المصورة (1915م): إسكندر مكاريوس، القاهرة.

35 – المجلة الجديدة (1930م): سلامة موسى، القاهرة.

36 – المساء (1930): أحمد محرم، القاهرة.

37 – المضمار الرياضي (1928): أحمد صادق، القاهرة.

38 – المعرفة (1931م – 1934م): عبدالعزيز الإسلامبولي، القاهرة.

39 – المقتبس (1906 – 1908م): محمد كرد علي.

40 – المقتطف (1876 – 1952م): يعقوب صروف وفارس نمر، القاهرة.

41 – المقطم (1889م): يعقوب صروف وفارس نمر وشاهين مكاريوس.

42 – المكشوف: فؤاد حبيش سنة 1935م.

43 – المنار (1898م): محمد رشيد رضا، القاهرة.

44 – المنبر (1918): محمد الههياوي، القاهرة.

45 – منبر الشرق (1921 – 1956م): علي الغاياتي، القاهرة.

46 – منيرفا (1923م): ماري ينى، بيروت.

47 – المؤيد (1889م): علي يوسف، القاهرة.

48 – الهداية الإسلامية (1928م): محمد الخضر حسين، القاهرة.

49 – الهلال (1892م): جورجي زيدان، القاهرة.

***

المصادر والمراجع

1 - الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية: زكي محمد مجاهد، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية 1994م.

2 - الأعلام: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين- بيروت، الطبعة الخامسة عشرة- مايو 2002م.

-3 الأغاني: أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني، تحقيق إحسان عباس وإبراهيم السعافين وبكر عبّاس، بيروت: دار صادر، ط٣، ٢٠٠٨م.

4 - أمالي ابن الشجري: ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة، تحقيق الدكتور محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1413 هـ = 1991م.

5 - الإمام مصطفى صادق الرافعي: الدكتور مصطفى نعمان البدري، دار البصري- بغداد، 1387 هـ = 1968 م.

6 - جمهرة مقالات الأستاذ محمود شاكر، جمعها وقرأها وقدم لها الدكتور عادل سليمان، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة 2013.

7 - حديث الأربعاء: الدكتور طه حسين، دار المعارف - مصر، الطبعة الثانية عشرة.

8 - الحوار الأدبي حول الشعر: الدكتور محمد أبو الأنوار، مكتبة الآداب – مصر، الطبعة الأولى 1428 هـ - 2007م.

9 - حياة الرافعي: محمد سعيد العريان، الهيئة العامة لقصور الثقافة - مصر، سلسلة ذاكرة الكتابة، العدد (45)، الطبعة الثانية 2004.

10 - ديوان ابن الرومي، تحقيق الدكتور حسين نصار، مطبعة دار الكتب القومية بالقاهرة، الطبعة الثالثة 1424هـ2003-م.

11 - ديوان ابن المعتز، دار صادر، بيروت.

12 - ديوان ابن دراج القسطلي، حققه وعلق عليه وقدمه الدكتور محمود علي مكي، منشورات المكتب الإسلامي بدمشق، طبع على نفقة الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني، الطبعة الأولى 1381 هـ = 1961م.

13 - ديوان ابن نباتة السعدي، دراسة وتحقيق عبد الأمير مهدي الطائي، بغداد، دار الحرية للطباعة، 1977م.

14 - ديوان البارودي، حقّقه وضبطه وشرحه علي الجارم ومحمد شفيق معروف، دار العودة –

بيروت، 1998م.

15 - ديـوان زهـير بن أبي سلمى، شرح وتقديم على حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1408 هـ = 1988م.

16 - ديـوان عبد الباقـي الفاروقـي الموصلي المعروف بـ (الترياق الفاروقي من منشـآت الفاروقي)، مطبعة الطوخي، مصر، ط 1287هـ.

17 - ديوان مجنون ليلى، جمع وتحقيق وشرح عبد الستار فراج، ط مكتبة مصر، القاهرة.

18 - رسائـل الأحـزان، والسحاب الأحمر، وأوراق الـورد: تقديم عبد القادر القـط، الشركة العالمية للنشر (لونجمان)- مصر، 1994م.

19 - رسائل الرافعي: محمود أبورية، الدار العمرية، دون تاريخ.

20 - ساعات بين الكتب: عباس محمود العقاد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2014م.

21 - شرح ديوان الحماسة لأبي تمام: أبوزكريا يحيى بن علي التبريزي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٠م.

22 - الشوقيات، تقديم محمد حسين هيكل، مكتبة مصر، القاهرة.

23 - صحيفة البلاغ الأسبوعي.

24 - صحيفة البلاغ.

25 - مجلة أبولّو.

26 - مجلة الثريّا.

27 - مجلة الحديث.

28 - مجلة الرسالة.

29 - مجلة الزهور.

30 - مجلة المعرفة

31 - مجلة المقتطف.

32 - مجلة الهلال.

33 - مجلة الوعي الإسلامي.

34 - مسرحيـة حسام الدين الأندلسـي: مصطفى صادق الرافعي، قدم لها وعلق عليها وليد كساب، دار البشير للثقافة والعلوم، القاهرة، 2015م.

35 – مسرحية مجنون ليلى: أحمد شوقي، مطبعة مصر، 1911م.

36 – مصطفى صادق الرافعي فارس الكلمة تحت راية القرآن: الدكتور محمد رجب البيومي، دار القلم- دمشق، سلسلة أعلام المسلمين، الطبعة الأولى 1417 هـ = 1997م.

37 – مصطفى صادق الرافعي: الدكتور كمال نشأت، سلسلة أعلام العرب (81)، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ودار الكاتب العربي للطباعة والنشر- القاهرة، نوفمبر 1968م.

38 – معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب): ياقوت الحموي، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1414 هـ = 1993م.

39 – معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: مجموعة من الباحثين، الكويت 2008م.

40 – معجم المطبوعات: يوسف سركيس، مطبعة سركيس بمصر 1346هـ – 1928م.

41 – معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة. معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي– بيروت.

42 – من وحي القلم، تقديم رجاء النقاش، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة 1995.

43 – وحي القلم، مكتبة فياض، مصر، الطبعة الأولى 1434هـ – 2013م.

44 – يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر: أبو منصور الثعالبي، تحقيق الدكتور مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1403هـ = 1983م.

***


الناشيء

قائمة كتاب المجلة العربية

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
1	الإسلام والغرب حوار.. لا صراع	د. سعيد عطية أبوعالي	محرم 1418هـ/ مايو 1997م	240
2	إساءة معاملة الأطفال تلمس الأسباب والظروف	د. عبدالعزيز بن عبدالله الدخيل	صفر 1418هـ/يونية1997م	241
3	أضرار الجوال بين الحقيقة والخيال	م. عبدالله بن حمد الكثيري	ربيع الأول 1418هـ/يوليو1997م	242
4	الأسلحة الكيميائية والجرثومية خطر في وجه الحضارة	د. عبدالعزيز بن علي الخضيري	ربيع الآخر 1418هـ/أغسطس1997م	243
5	من يشتري الضحك والفرح ؟!	عبد الله الجفري	جمادى الأولى 1418هـ/سبتمبر 1997م	244
6	الملك عبدالعزيز ومراسلاته	د. عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر	جمادى الآخرة 1418هـ/اكتوبر1997م	245
7	دمج المعاقين مع الأطفال الأسوياء	د. فوزية أخضر	رجب 1418هـ / نوفمبر 1997م	246
8	المؤتمر العام السادس والمجلس التنفيذي الثامن عشر للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة	عبد الرحمن محمد	شعبان 1418هـ/ديسمبر1997م	247
9	أيام العار	جون سوين/ ترجمها منصور الخريجي	رمضان 1418هـ/يناير 1998م	248
10	الإنترنت تقنيات وخدمات	د. عبد القادر بن عبدالله الفنتوخ	شوال1418هـ/فبراير1998م	249
11	الأكل الوسطي وحكاية هرمين	د. عدنان سالم باجابر	ذوالقعدة 1418هـ/ مارس1998م	250
12	الأمة الوسط والمنهاج النبوي في الدعوة إلى الله	د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي	ذو الحجة1418هـ/ ابريل1998م	251
13	الماء ثروة الحاضر.. وأمل المستقبل	د. أحمد عبدالقادر المهندس	محرم 1419هـ/يونيو1998م	252
14	المتقاعدون ووقت الفراغ	عبد العزيز بن علي الغريب	صفر1419هـ/يونيو1998م	253
15	فاعلية الأغذية الوارد ذكرها في القرآن الكريم	د. رافده الحريري	ربيع الأول 1419هـ/يوليو1998م	254
16	القاعدة والاستثناء في الإعلام والسياسة	د.فؤاد بن عبدالسلام الفارسي	ربيع الآخر 1419هـ/أغسطس1998م	255
17	الكتابة للأطفال لماذا ... ماذا نكتب وكيف ؟	محمد سعيد المولوي	جمادى الأولى 1419هـ/ سبتمبر 1998م	256
18	مسؤولية الإعلام في تأكيد الهوية الثقافية	د. ساعد العرابي الحارثي	جمادى الآخرة 1419هـ/اكتوبر1998م	257
19	الأيام الثقافية للجامعات السعودية في رحاب الجامعات المغربية	المجلة العربية	رجب 1419هـ/نوفمبر1998م	258
20	الفياجرا شاغلة العالم !	جلال محمد حمام	شعبان1419هـ/ديسمبر1998م	259

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
21	العمل الاجتماعي التطوعي في المملكة العربية السعودية	عبد الله العلي النعيم	رمضان1419هـ/يناير 1999م	260
22	قراءة في فكر الملك عبدالعزيز	بدر بن أحمد كريم	شوال 1419هـ/فبراير1999م	261
23	الجودة ومواصفة أيزو 9000	د. إبراهيم بن علي الخضير	ذو القعدة1419هـ/ مارس1999م	262
24	أرقامنا العربية الأصيلة	د. إبراهيم احمد مسلم الحارثي	ذوالحجة 1419هـ/ ابريل1999م	263
25	القلق (مرض العصر) كيف يعالجه القران ؟	د. زهير أحمد السباعي	محرم 1420هـ/مايو1999م	264
26	تعليم الفتاة بين التفرد والمحاكاة	د. علي بن مرشد بن محمد المرشد	صفر1420هـ/يونيو1999م	265
27	الشيخ ابن باز (بيكيك محراب يئن ومنبر)	المجلة العربية	ربيع الأول1420هـ/يوليو1999م	266
28	الإمارة وتنمية السياحة	الأمير خالد الفيصل	ربيع الآخر 1420هـ/ أغسطس999م	267
29	في تأهيل الأدب الإسلامي نحو رواية إسلامية	د. حلمي محمد القاعود	جمادى الأولى1420هـ/سبتمبر1999م	268
30	الأدب المقارن في ضوء الرؤية العربية والإسلامية	محمود رداوي	جمادى الآخرة1420هـ/اكتوبر1999م	269
31	منظمة التجارة العالمية واستحقاقات العضوية	أ. أسامة بن جعفر فقيه	رجب 1420هـ/نوفمبر 1999م	270
32	مجلس التعاون الخليجي رؤية متابع	أحمد محمد سالم	شعبان1420هـ/ديسمبر1999م	271
33	الإسلام والغرب والدور السعودي في إقامة حوار بناء بينهما	د. عبدالعزيز بن إبراهيم السويل	رمضان1420هـ/يناير2000م	272
34	الترويح دوافعه- آثاره – ضوابطه	عبد الله بن ناصر السدحان	شوال1420هـ/فبراير 2000م	273
35	أمراض القلب والوقاية منها	أ.د. منصور محمد النزهة	ذوالقعدة1420هـ/فبراير2000م	274
36	العالم الإسلامي	محمد بن ناصر العبودي	ذو الحجة1420هـ/ ابريل2000م	275
37	ضياع الهوية في الفضائيات العربية	د. عائض الردادي	محرم1421هـ/مايو2000م	276
38	البلاستيك وصحة الإنسان	د. محيي الدين عمر لبنية	صفر 1421هـ/مايو2000م	277
39	منهج التربية الإسلامية في ملء أوقات الفراغ	د. عثمان سيد أحمد خليل	ربيع الأول1421هـ/يونيو2000م	278
40	المرأة كيف عاملها الإسلام	الشيخ/حسن بن عبدالله آل الشيخ	ربيع الآخر1421هـ/يوليو2000م	279
41	الفكاهة في أدب الشيخ علي الطنطاوي	أحمد علي آل مريع	جمادى الأولى1421هـ/أغسطس2000م	280
42	مشكلة المياه وآفاق مستقبلها في المملكة العربية السعودية	أ.د. خالد بن عبدالرحمن الحمودي	جمادى الآخرة1421هـ/سبتمبر2000م	281

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
43	حقوق الإنسان في الإسلام	الشيخ/صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ	رجب1421هـ/اكتوبر2000م	282
44	الجاسر علاّمة وعلامة	د. عبدالله مناع	شعبان1421هـ/نوفمبر2000م	283
45	المردود الإيجابي للتفاعل التعليمي بين المعلم وطلابه	عبدالله بن مراد العطرجي	رمضان1421هـ/ديسمبر2000م	284
46	تجربة اليونسكو: دروس الفشل	د. غازي القصيبي	شوال1421هـ/يناير2001م	285
47	الفصيح مما أضاعه المشارقة وحفظه المغاربة	حماد بن حامد السالمي	ذوالقعدة1421هـ/فبراير2001م	286
48	صفحات من حياة الفقيد العلم الزاهد الشيخ محمد بن عثيمين	أ.د.عبدالله بن محمد بن أحمد الطيار	ذوالحجة1421هـ/مارس2001م	287
49	الصناعة السعودية عام 1430هـ(2010م) رؤية مستقبلية	م. عبدالله بن يحيى المعلمي	محرم1422هـ/أبريل2001م	288
50	مشكلة العنوسة الأسباب والعلاج	رفعت محمد طاحون	صفر1422هـ/مايو2001م	289
51	الطب الشعبي حقائق وخرافات	د. حسام الدين أبو السعود	ربيع الأول1422هـ/يونيو2001م	290
52	العربية لغة الوحي .. والوحدة	محمد عبدالشافي القوصي	ربيع الآخر1422هـ/يوليو2001م	291
53	حقيقة النوم وقفات وتأملات	يوسف محمد أبو عود	جمادى الأولى1422هـ/أغسطس2001م	292
54	دور المدرسة في تربية النشء وبناء المجتمع	د. علي بن مرشد المرشد	جمادى الآخرة1422هـ/سبتمبر2001م	293
55	مشكلات طفلك الصحية في عامه الأول وحلولها	د. محمد مصطفى السمري	رجب1422هـ/أكتوبر2001م	294
56	مفهوم العمل في الإسلام	حسين بن عبدالله بانبيله	شعبان1422هـ/نوفمبر2001م	295
57	الإسلام وأزمة الإنسان المعاصر	د. محمد عبدالمنعم خفاجي	رمضان1422هـ/ديسمبر2001م	296
58	النظم العدلية الثلاثة (وزارة العدل)	أخرجه : عبدالقادر باقي زاده	شوال1422هـ/يناير2002م	297
59	الأديب عبدالكريم الجهيمان عطاء لا ينضب	محمد بن عبدالرزاق القشعمي	ذوالقعدة1422هـ/فبراير2002م	298
60	الشخصية الاسلامية سمات وتحديات	طه محمد كسبه	ذوالحجة1422هـ/مارس2002م	299
61	الشعر والأخلاق في تراث العرب النقدي	د. جعفر حسن الشكرجي	محرم1423هـ/أبريل2002م	300
62	الشورى في النظام الإسلامي ومقارنتها بالنظم الأخرى	الشيخ محمد بن إبراهيم بن جبير	صفر1423هـ/يونيو2002م	301
63	من أجل تصحيح صورة الإسلام في الغرب	د. حسن عزوزي	ربيع الأول1423هـ/يونيو2002م	302

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
64	مقاييس الجمال في تجربة العميان الشعرية	د. عبدالله بن أحمد الفيفي	ربيع الآخر1423هـ/يوليو2002م	303
65	تعليم اللغة الانجليزية في المملكة العربية السعودية	جاسم بن أحمد الجاسم	جمادى الأولى1423هـ/أغسطس2002م	304
66	اصطخاب المفردات كلام يدخل في التخاطب لا الخطب !!	أحمد بن عبدالرحمن العرفج	جمادى الآخرة1423هـ/سبتمبر2002م	305
67	الطب النبوي بين الإبداع الصحي والطب الوقائي	حسين محي الدين سباهي	رجب 1423هـ/ أكتوبر2002م	306
68	العلاقة بين الرضا الوظيفي والأداء المهني للصحفيين	د. عبدالعزيز بن علي المقوشي	شعبان 1423هـ/نوفمبر2002م	307
69	من وسائل وأساليب التربية النبوية	د. صالح بن علي أبوعراد	رمضان1423هـ/نوفمبر2002م	308
70	من حلل الشعراء وحيلهم الفنية	حجاب بن يحيى الحازمي	شوال1423هـ/يناير2003م	309
71	الحب بين الأدب والطب	د. غالب خلايلي	ذوالقعدة1423هـ/فبراير2003م	310
72	شبهات وأباطيل حول الطلاق والرد عليها	رفعت محمد مرسي طاحون	ذوالحجة1423هـ/فبراير2003م	311
73	وقفات حول العولمة وتهيئة الموارد البشرية	أ.د.علي بن إبراهيم الحمد النملة	محرم1424هـ/مارس2003م	312
74	الأدب العربي في المملكة في عهد خادم الحرمين الشريفين	د. حسن بن فهد الهويمل	صفر1424هـ/ابريل2003م	313
75	الغذاء ودوره في تنمية الذكاء	د. نبيل سليم علي	ربيع الأول1424هـ/مايو2003م	314
76	الأديب محمد بن أحمد العقيلي لمحات من سيرته	مجاهد باعشن	ربيع الآخر1424هـ/يونيو2003م	315
77	جذور الحملة الإعلامية على الإسلام والسعودية وصراع الهويات	د. فهد العرابي الحارثي	جمادى الأولى1424هـ/يوليو2003م	316
78	أفكار في شعر الإمام الشافعي	عبدالله الجعيثن	جمادى الآخرة1424هـ/ أغسطس2003م	317
79	أهم أحداث المملكة العربية السعودية منذ تأسيسها عام 1319هـ حتى 1424هـ	مساعد بن عبدالله الجنوبي	رجب1424هـ/سبتمبر2003م	318
80	أبو تراب الظاهري العالم الموسوعة أو سيبويه العصر	علوي طه الصافي	شعبان1424هـ/ أكتوبر203م	319
81	وقفات مع الأستاذ عبدالله القرعاوي في ذكرياته	عبدالعزيز بن عبدالله السالم	رمضان1424هـ/نوفمبر2003م	320
82	المنهج العلمي في القران الكريم	محمد فيض الله الغامدي	شوال1424هـ/ديسمبر2003م	321
83	هل ينقرض الدبلوماسيون في حقبة العولمة؟	د. غازي بن عبدالرحمن القصيبي	ذوالقعدة1424هـ/يناير2004م	322
84	الحوار بين الثقافات والحضارات ضرورة	إبراهيم نويري	ذوالحجة1424هـ/يناير2004م	323

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
85	المرأة في الفتوحات الإسلامية	عبدالله بن ناصر الحديب	محرم1425هـ/فبراير2004م	324
86	الأستاذ شيخ النقاد عبدالله عبدالجبار وماذا يعد عنه ؟!	عبدالله بن عبدالرحمن الجفري	صفر1425هـ/أبريل2004م	325
87	حسن صيرفي قراءة في جغرافية إنسان	محمد الدبيسي	ربيع الأول1425هـ/مايو2004م	326
88	العبقرية وأسسها الأربعة	فهد بن عامر الأحمدي	ربيع الآخر1425هـ/يونيو2004م	327
89	الإدارة الإلكترونية وتطبيقاتها أنموذج إداري جديد	د. محمد حسن مفتي	جمادى الأولى1425هـ/يوليو2004م	328
90	مواجهة الفقر المشكلة وجوانب المعالجة	أ.د. علي بن إبراهيم النملة	جمادى الآخرة1425هـ/ أغسطس2004م	329
91	مكامن الخلل في العملية التربوية	عبيد بن عبدالله السويهري	رجب1425هـ/سبتمبر2004م	330
92	التجربة المعاصرة للتنظيم الإداري بالمملكة العربية السعودية	حسن بن محمد الشيخ	شعبان1425هـ/أكتوبر2004م	331
93	الوسائل المفيدة للحياة السعيدة	الشيخ عبدالرحمن ناصر السعدي	رمضان1425هـ/نوفمبر2004م	332
94	الإعجاز الطبي في القران والسنة والجديد في علم الطب	د. حسان شمسي باشا	شوال1425هـ/ديسمبر2004م	333
95	أهمية حماية الهواء وطبقة الأوزون من أخطار التلوث	د. محمود درويش	ذوالقعدة1425هـ/يناير2005م	334
96	العمل برؤية إيمانية	علي مدني الخطيب	ذوالحجة1425هـ/فبراير2005م	335
97	منهج الجدل وآداب الحوار في الفكر الإسلامي	أ.د.بركات محمد مراد	محرم1426هـ/فبراير2005م	336
98	الأسبرين حكاية بلا نهاية	د. محيى الدين عمر لبنيه	صفر1426هـ/مارس2005م	337
99	أحمد السباعي رائد الأدب والصحافة المكية	محمد عبدالرزاق القشعمي	ربيع الأول1426هـ/أبريل2005م	338
100	إطلالة على المشهد الثقافي في المملكة العربية السعودية	حسين محمد بافقيه	ربيع آخر1426هـ/مايو2005م	339
101	ذاكرة العراق التاريخية والحضارية	علوي طه الصافي	جمادى الأولى1426هـ/يونيو2005م	340
102	أم القرى خصوصية المكان والعمران	د.م. يحيى حسن وزيري	جمادى الآخرة1426هـ/يوليو2005م	341
103	الحفاظ على البيئة من منظور إسلامي	عبدالعزيز بن سعد الدغيثر	رجب1426هـ/أغسطس2005م	342
104	الدور الأمني للمؤسسات التربوية والثقافية	أ. حجاب بن يحيى الحازمي	شعبان1426هـ/سبتمبر2005م	343
105	الضمانات الشرعية لحماية الأسرة في الإسلام	علي مدني رضوان الخطيب	رمضان1426هـ/أكتوبر2005م	344

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
106	الأدب الوجداني إبداع وفرسان	فوزي خياط	شوال1426هـ/نوفمبر2005م	345
107	الإدارة السوية وحمايتها من الضغوط الحياتية	أ.د. نبيل سليم علي	ذوالقعدة1426هـ/ديسمبر2005م	346
108	الحج :أحكام وأسرار قراءة تأملية في شعائر الحج ومناسكه	سالم بن عبدالله الشهري	ذوالحجة1426هـ/يناير2006م	347
109	جمع الجواهر في الملح والنوادر	د.عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر	محرم1427هـ/فبراير2006م	348
110	مكة المكرمة أهمية الدور والمكان	د.عمر بن يحيى محمد	صفر1427هـ/مارس2006م	349
111	الإبداع والتحديث في فكر سماحة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد 1329/1402هـ	د. صالح بن عبدالله بن حميد	ربيع الأول1427هـ/أبريل2006م	350
112	الزمان يزور المكان	د.غازي بن عبدالرحمن القصيبي	ربيع الآخر1427هـ/مايو2006م	351
113	رثاء الزوجة في الشعر العربي الحديث	حسني سيد لبيب	جمادى الأولى1427هـ/يونيو2006م	352
114	مشاعر أب في رسائل حرّى	د. إبراهيم بن مبارك الجوير	جمادى الآخرة1427هـ/يوليو2006م	353
115	رؤية في الفساد والجريمة	سليمان بن محمد الجريش	رجب1427هـ/أغسطس2006م	354
116	الحكومة الإلكترونية دراسة للتجربة التقنية المعلوماتية في المملكة العربية السعودية	حسن بن محمد الشيخ	شعبان1427هـ/سبتمبر2006م	355
117	آفاق المناجاة في شعر الدكتور سعد بن عطيه الغامدي	علي بن محمد العمير	رمضان1427هـ/أكتوبر2006م	356
118	الفقه الإسلامي أهميته والعناية بمصادره وأهله	د.عبدالله بن عبدالمحسن التركي	شوال1427هـ/نوفمبر2006م	357
119	المستشرقون بين الوفاء والافتراء	رفعت محمد طاحون	ذوالقعدة1427هـ/ديسمبر2006م	358
120	نحو خطاب لساني نقدي عربي أصيل	فاتح زيوان	ذوالحجة1427هـ/يناير2007م	359
121	المواقع الأثرية والتراث الثقافي بالمملكة العربية السعودية	ناصر بن محمد الحميدي	محرم1428هـ/فبراير2007م	360
122	الطائفية والتفكيك بعد سقوط بغداد	د . عايض الردادي	صفر1428هـ/مارس2007م	361
123	شنين الدموع	د. عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر	ربيع الأول1428هـ/أبريل2007م	362
124	وميض من قبس الإسلام	د. رافدة بنت عمر الحريري	ربيع الآخر1428هـ/مايو2007م	363
125	الثوابت والمتغيرات في المجتمع السعودي	الأمير الدكتور فيصل بن مشعل بن سعود ابن عبدالعزيز آل سعود	جمادى الأولى1428هـ/يونيو2007م	364
126	هاملتون جيب وكتابة الاتجاهات الحديثة في الإسلام	زكي بن عبدالله الميلاد	جمادى الآخرة1428هـ/يوليو2007م	365

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
127	لمحات في التربية الإسلامية	بهاء الدين عبدالله الزهوري	رجب1428هـ/أغسطس2007م	366
128	موقع العقل في ظل التشريع	رغداء محمد زيدان	شعبان1428هـ/سبتمبر2007م	367
129	الإسلام بين العالمية والعولمة	د . خالد أحمد حربي	رمضان1428هـ/أكتوبر2007م	368
130	مقدمة في الشعر الياباني	علاء الدين رمضان	شوال1428هـ/نوفمبر2007م	369
131	الترجمة رؤية في الواقع العربي	د. محمد بن عبدالله العبد اللطيف	ذوالقعدة1428هـ/ديسمبر2007م	370
132	من سجن الأسطورة إلى رحم التاريخ	د فاطمة الياس	ذوالحجة1428هـ/يناير2008م	371
133	مفهوم الشعر عند ابن سينا	علي العلوي	محرم1429هـ/يناير2008م	372
134	اغتراب الثقافة الكل عن المجتمع الكيان	د علي بن حمد الخشيبان	صفر1429هـ/فبراير2008م	373
135	الأغذية المعدلة وراثيا مالها وما عليها	د عبدالعزيز بن ابراهيم العثيمين	ربيع الأول1429هـ/مارس2008م	374
136	النحو في عصر العولمة	د. فالح بن شبيب العجمي	ربيع الآخر1429هـ/أبريل2008م	375
137	تقاليد الكرم عند العرب	محمد السموري	جمادى الأولى1429هـ/مايو2008م	376
138	الكتنية خطاب السيرة الذاتية	أحمد علي آل مريع	جمادى الآخرة1429هـ/يونيو2008م	377
139	من تراثنا الحديث في اللغة والفكر والحضارة	عبد الله العلايلي وآخرون	رجب1429هـ/يوليو2008م	378
140	ثقافة التعليم الالكتروني	د.زكريا يحيى لال	شعبان1429هـ/أغسطس2008م	379
141	الصحافة المطبوعة في عصر الملتيميديا	د. عثمان بن محمود الصيني	رمضان1429هـ/سبتمبر2008م	380
142	التجربة الشعرية الجديدة في السعودية	د. عالي بن سرحان القرشي	شوال1429هـ/أكتوبر2008م	381
143	المصطلح الإيقاعي في التراث الأدبي / القافية نموذجا	فريد محمد أمعضشو	ذوالقعدة1429هـ/نوفمبر2008م	382
144	معركة الشعر المنثور في الصحافة السعودية قبل نصف قرن	محمد بن عبدالرزاق القشعمي	ذوالحجة1429هـ/ديسمبر2008م	383
145	رواد الغناء في الجزيرة العربية من الشفوية إلى التسجيل	أحمد الواصل	محرم 1430هـ/يناير 2009م	384
146	قراءة في الظواهر التمثيلية العربية	سامي عبداللطيف الجمعان	صفر 1430هـ/فبراير 2009م	385
147	الأدب في البرازيل رؤية ومختارات	د . رشا احمد إسماعيل	ربيع الأول1430هـ/مارس2009م	386

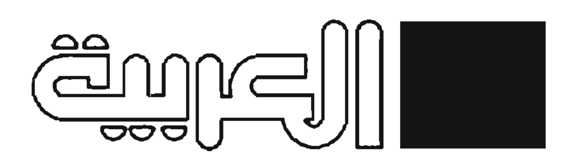
رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
148	أدب المدونات	شاكر لعيبي	ربيع الآخر 1430هـ/ أبريل2009م	387
149	الثقافة الأفقية وموت النخبة	د فهد العرابي الحارثي	جمادى الأولى1430هـ/ مايو2009م	388
150	رحلة الأدب العربي الحديث إلى الإنجليزية	د.موسى أحمد الحالول	جمادى الآخرة1430هـ/ يونيو2009م	389
151	مترجمو ألف ليلة وليلة	سيلفانا الخوري	رجب1430هـ/ يوليو 2009م	390
152	رحلة الكتاب في الحضارة الإسلامية	محمد رجب السامرائي	شعبان1430هـ/ أغسطس2009م	391
153	النسبية وما بعدها (ألبرت آينشتاين ،ستيفن مايكل).	د.عبدالله نعمان الحاج	رمضان1430هـ/ سبتمبر2009م	392
154	مذكرات أبي القاسم الشابي	د. نور الدين صمود	شوال1430هـ/ اكتوبر2009م	393
155	العولمة والأدب العربي المعاصر	د.أسامة محمد البحيري	ذوالقعدة1430هـ/ نوفمبر2009م	394
156	مالك بن نبي في ذاكرة عبدالسلام الهراس	د . محمد البنعيادي	ذوالحجة1430هـ/ ديسمبر2009م	395
157	رحلة إلى الحجاز	إبراهيم عبدالقادر المازني	محرم 1431هـ/ يناير 2010م	396
158	قصائد أعجبتنا من غازي القصيبي	غازي بن عبدالرحمن القصيبي	صفر 1431هـ/ فبراير 2010م	397
159	البيروقراطية وإدارة المعرفة	د عبدالله مسفر الوقداني	ربيع الأول1431هـ/ مارس2010م	398
160	النص السردي الأندلسي مداخل لقراءة جديدة	إبراهيم الحجري	ربيع الآخر 1431هـ/ أبريل2010م	399
161	أوراق منير العجلاني	منير العجلاني	جمادى الأولى1431هـ/ مايو2010م	400
162	الألعاب في النظرية الأدبية	فارغا سلطان ترجمة عثمان الجبالي	جمادى الآخرة1431هـ/ يونيو2010م	401
163	عالم الكتابة القصصية للطفل	عبد الباقي يوسف	رجب1431هـ/ يوليو 2010م	402
164	أثر المرجعية الفكرية في تحليل الخطاب اللغوي	فاتح زيوان	شعبان1431هـ/ أغسطس2010م	403
165	بدر الكبرى المدينة والغزوة	د. محمد عبده يماني	رمضان1431هـ/ سبتمبر2010م	404
166	في الفكر الخلدوني	يوسف الحناشي	شوال1431هـ/ اكتوبر2010م	405
167	ميغيل آسين بلاثيوس رائد الاستعراب الاسباني المعاصر	محمد عبدالرحمن القاضي	ذوالقعدة1431هـ/ نوفمبر2010م	406
168	الشعر في المدينة المنورة بين القرنين 12-14هـ	د . عاصم حمدان	ذوالحجة1431هـ/ ديسمبر2010م	407

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
169	الرواية العربية والفنون السمعية البصرية	د . حسن لشكر	محرم 1432هـ/يناير 2011م	408
170	بدايات تعليم المرأة في المملكة العربية السعودية	محمد عبدالرحمن القشعمي	صفر 1432هـ/فبراير 2011م	409
171	التحيز العربي للنقد الغربي	د.علي حمادي صديقي	ربيع الأول1432هـ/فبراير2011م	410
172	اليد واللسان	عبدالله محمد الغذامي	ربيع الآخر1432هـ/أبريل2011م	411
173	علم الحوار الاسلامي	د خالد أحمد حربي	جمادى الأولى1432هـ/مايو2011م	412
174	الموسوعات الفردية	د علي ابراهيم النملة	جمادى الآخرة1432هـ/يونيو2011م	413
175	تاريخ الهايكو الياباني	ريو يوتسويا ترجمة سعيد بوكرامي	رجب1432هـ/يونيو2011م	414
176	أدب الرحلات النبيلة	محمد منصور	شعبان1432هـ/يونيو2011م	415
177	الخطاب الافتتاحي في القران الكريم	د عبدالملك أشهبون	رمضان1432هـ/أغسطس2011م	416
178	السيرة الذاتية مقاربة الحد والمفهوم	أحمد علي آل مريع	شوال1432هـ/سبتمبر2011م	417
179	الجاحظ في مرآة أبي حيان	ابراهيم صبري راشد	ذوالقعدة1432هـ/أكتوبر2011م	418
180	الإسلام وحقوق الانسان	زكي الميلاد	ذوالحجة1432هـ/نوفمبر2011م	419
181	التراث العلمي العربي وقاماته	صلاح الشهاوي	محرم 1433هـ/ديسمبر 2011م	420
182	حساسية الواثي وذائقة المتلقي	عبدالباقي يوسف	صفر1433هـ/يناير2012م	421
183	وفيات المثقفين 2011	المجلة العربية	ربيع الأول1433هـ/فبراير2012م	422
184	الإسهام الإسلامي في التجديد الفلسفي للقرن 12م	خواكين لومبا فوينتيس	ربيع الآخر1433هـ/مارس2012م	423
185	في ثياب الاعرابي الأصمعي إمام الأنثروبولوجيا العربية	فاضل الربيعي	جمادى الأولى1433هـ/ابريل2012م	424
186	شعر الجن في التراث العربي	د. عبدالله سليم الرشيد	جمادى الآخرة1433هـ/مايو2012م	425
187	رندة الإسلامية أمنع حصون الأندلس الجنوبية	محمد القاضي	رجب1433هـ/يونيو2012م	426
188	مديح الأسئلة الصعبة ألغاز العلم المحيرة	د. عبدالله الحاج	شعبان1433هـ/يوليو2012م	427
189	فرق العمل العلمية في الحضارة الاسلامية	د . خالد أحمد الحربي	رمضان1433هـ/أغسطس2012م	428

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
190	موجز تاريخ الأدب الأمريكي	كارثرين فان سباكرن	شوال1433هـ/سبتمبر2012م	429
191	المشكلات الفلسفية عند ابن حزم والبصري وابن رشد	د. بركات محمد مراد	ذوالقعدة1433هـ/أكتوبر2012م	430
192	السيرة لعبة الكتابة	خالد فؤاد طحطح	ذوالحجة1433هـ/أكتوبر 2012م	431
193	أراء إخوان الصفا وخلان الوفا إعجاب وعجب	د. رشيد الخيون	محرم 1434هـ/ديسمبر 2012م	432
194	كتابات السياب النثرية	د . حسن الغرفي	صفر1434هـ/يناير2013م	433
195	عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم	عباس محمود العقاد	ربيع الأول1434هـ/فبراير2013م	434
196	ابن رشد وشوق المعرفة	د . بنسالم حميش	ربيع الآخر1434هـ/مارس2013م	435
197	اللغة هوية ناطقة	د . عبدالله البريدي	جمادى الأولى1434هـ/ ابريل2013م	436
198	شعر الموسوسين في العصر العباسي	د.عبدالمجيد الإسداوي	جمادى الآخرة1434هـ/مايو2013م	437
199	الشعر والنثر في التراث البلاغي والنقدي	عبداللطيف الوراري	رجب1434هـ/يونيو2013م	438
200	أثر الكوارث الطبيعية في المجال الاقتصادي بالمغرب	د. عبدالهادي البياض	شعبان1434هـ/يوليو2013م	439
201	الاستشراق بين منحنيين النقد الجذري أو الإدانة	د. علي إبراهيم النملة	رمضان1434هـ/أغسطس2013م	440
202	سجع المنثور لأبي منصور الثعالبي(350-429هـ)	د. أسامة محمد البحيري	شوال1434هـ/سبتمبر2013م	441
203	العشاق الثلاثة	د. زكي مبارك (1892-1952)	ذوالقعدة1434هـ/سبتمبر2013م	442
204	أسس العلوم الحديثة في الحضارة الإسلامية	د . خالد حربي	ذو الحجة1434هـ/أكتوبر2013م	443
205	الفلسفة في فكر ابن تيمية جدل النص والتاريخ	د. أحمد محمد سالم	محرم1435هـ/نوفمبر 2013م	444
206	السينما والجذور	ترجمة خالد أقلعي	صفر1435هـ/ديسمبر2013م	445
207	الموروث الشعبي في السرد العربي	محمد عزيز العرفج	ربيع الأول1435هـ/يناير2014م	446
208	الطب والأدب علائق التاريخ والفن	د. عبدالله سليم الرشيد	ربيع الآخر1435هـ/فبراير2014م	447
209	أبو عمر أحمد بن حربون	د. عبدالله بن علي بن ثقفان	جمادى الأولى1435هـ/مارس2014م	448
210	المرجعية والمنهج دراسة نظرية تطبيقية	د. أحمد مرزاق	جمادى الآخرة1435هـ/أبريل2014م	449

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
211	اللغة الشاعرة	عباس محمود العقاد	رجب1435هـ/مايو2014م	450
212	ظاهرة التداخل الشعري في المصادر العربية	د. عبدالرزاق حويزي	شعبان1435هـ/يونيو2014م	451
213	رمضان ذاكرة الزمان والمكان	محمد رجب السامرائي	رمضان1435هـ/يوليو2014م	452
214	القدس الشريف في الاستشراق اليهودي	د محمد رضوان	شوال1435هـ/أغسطس 2014م	453
215	الإبداع والنبوغ	د محمد فتحي	ذوالقعدة1435هـ/سبتمبر2014م	454
216	الرحلة الى مكة المكرمة والمدينة المنورة (ج1)	أحمد محمود أبوزيد	ذو الحجة1435هـ/أكتوبر2014م	455
217	نصوص النقد الأدبي لدى حماد الراوية	د الحسين زروق	محرم 1436هـ/نوفمبر2014م	456
218	الحسن بن الهيثم ومآثره العلمية	د أحمد فؤاد باشا	صفر 1436هـ/ديسمبر2014م	457
219	النص الرقمي وإبدالات النقل المعرفي	د محمد مريني	ربيع الأول 1436هـ/يناير2015م	458
220	المناخ والمجتمع	د عبدالهادي البياض	ربيع الآخر 1436هـ/فبراير2015م	459
221	الفنون الأدائية والمستقبل نحو ذاكرة الغناء السعودي	أحمد الواصل	جمادى الأولى 1436هـ/مارس2015م	460
222	الإنسان القروسطي	إبراهيم الحجري	جمادى الآخرة 1436هـ/ابريل2015م	461
223	الاسْتِغْرَاب: المَنْهَجُ فِي فَهْمِنا الغَرْب	د. علي النملة	رجب 1436هـ/ مايو 2015م	462
224	فن الترسل العربي قديما وحديثا	عبدالقادر بنعبدالله / عبدالحميد أسقال	شعبان 1436هـ/يونيو 2015م	463
225	أبو الطيب المتنبي	عباس العقاد	رمضان 1436هـ/ يوليو 2015م	464
226	الخيال وشعريات المتخيل	د.محمد الديهاجي	شوال 1436هـ/ أغسطس 2015م	465
227	فن التأويل	ترجمة: محمد احمد عثمان	ذو القعدة 1436هـ/ سبتمبر 2015م	466
228	الرحلة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة (ج2)	أحمد أبو زيد	ذو الحجة1436هـ/ أكتوبر 2015م	467
229	نظرات في الشعر العربي	أحمد بن سليمان اللهيب	محرم1437هـ/ نوفمبر 2015م	468
230	عدسة التاريخ	أسامة سليمان الفليّح	صفر 1437 هـ - ديسمبر 2015	469
231	مقاربات علمية للمقاصد الشرعية	د. أحمد فؤاد باشا	ربيع الأول 1437 هـ - ديسمبر 2015	470

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
232	وفيات 2015	هاني الحجي	ربيع الآخر 1437 هـ - يناير 2016	471
233	أحمد مشاري العدواني من الأزهر الشريف إلى ريادة التنوير	حمد عبدالمحسن الحمد	جمادى الأولى 1437 هـ - فبراير 2016	472
234	مساجلات نقدية في الثقافة العربية المعاصرة	محمد القاضي	جمادى الآخرة 1437 هـ - مارس 2016	473
235	الشيخ الرئيس أبوعلي ابن سينا (توثيق ببليوجرافي)	د. أمين سليمان سيدو	رجب 1437 هـ - أبريل 2016	474
236	لغات جنوب الجزيرة العربية	عبدالرزاق القوسي	شعبان 1437 هـ - مايو 2016	475
237	شهر لا مثيل له	علاء الدين حسن	رمضان 1437 هـ - يوليو 2016	476
238	الجذور التاريخية لأدب الأطفال عند العرب	د. محمود إسماعيل آل عمار	شوال 1437 هـ - يوليو 2016	477
239	الترجمة العربية من مدرسة بغداد إلى مدرسة طليطلة	د. حسن بحراوي	ذو القعدة 1437 هـ - أغسطس 2016	478
240	فن كتابة القصة المصورة (comics)	صفية خالد المزيني	ذو الحجة 1437 هـ - سبتمبر 2016	479
241	هكذا تكلم رجاء جارودي	نادية المديوني	محرم 1438 هـ - أكتوبر 2016 م	480



الكتابة في الوقت الراهن عن الرافعي وأمثاله ممن تغيَّوا الحفاظ على هوية الأمة أمر واجب تحتمه الظروف الراهنة التي تعيشها أمتنا، وسط المحاولات الضارية التي تستهدف بنيانها من القواعد، إذ للرافعي خصوصية كبيرة بين كتاب عصره، وهو ما وضَّحه تلميذه محمد سعيد العريان بقوله: «فالرافعي أديب الخاصة، كان ينشئ إنشاءه في أي فروع الأدب ليضيف ثروة جديدة إلى اللغة تعلو بها وتعز مكاناً بين اللغات».

وهذا الكتاب يكشف عن بعض الحلقات المفقودة في المنجز النقدي للرافعي كما في مقالاته، مثل: حرفة الأدب، وإعجاز القرآن: نقد ظهرت أذنه، وكتاب ابن الرومي.. نقد وتحقيق، والشعر الفني في نظم شوقي بك، وكلها مقالات جديرة بالدراسة بإمكانها أن تُضيف الجديد إلى الرافعي ناقداً.

مقالات الرافعي المجهولة

(ج ٢)

(مع وثائق تنشر لأول مرة)

وليد عبدالماجد كساب



مقالات الرافعي المجهولة
(ج ٢)

(مع وثائق تنشر لأول مرة)

جمعها وقدَّم لها
وليد عبدالماجد كساب





رئيس التحرير
محمد بن عبدالله السيف

الرياض. طريق صلاح الدين الأيوبي (الستين). شارع المنفلوطي
هاتف: 4767345 . 4777943 فاكس: 4766464
ص. ب 5973 الرياض 11432
المملكة العربية السعودية

www.arabicmagazine.com
info@arabicmagazine.com


بسم الله الرحمن الرحيم

ⓒ المجلة العربية، 1438هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
كساب، وليد عبدالماجد
مقالات الرافعي المجهولة – الجزء الثاني. / وليد عبدالماجد كساب.- الرياض، 1438هـ
224ص؛ 14*21سم.- (كتاب المجلة العربية؛ 249)
ردمك: 978-603-8204-28-3
1 - الرافعي ، مصطفى صادق، ت 1356هـ 2 - المقالات العربية – مصر أ.العنوان ب.السلسلة
ديوي 962,814 6902 / 1438

رقم الإيداع: 1438/6902
ردمك: 978-603-8204-28-3

المحتويات

الناشيء

| ليســت العظمة بظهور المرء كما يظهر الممثل أمام المتفرجين في خلقة مزوّرة من رأســه إلى قدمه، ولا في هذه الأخيلة الذهبية التي تملأ رؤوس الأغنياء كأنَّها أرواح الذهب، ولا في نحـو ذلـك مـن السَّـخَافات العظيمـة التي مـلأت الشَّـرق كلَّه؛ ولكـن العظمة أحد شيئين: علمٌ منتِجٌ، أو عملٌ مثمِرٌ |

مصطفى صادق الرافعي

مع الرافعيِّ .. مرةً أُخرى!

حين تفضَّلت (المجلة العربية) بنشر الجزء الأول من هذه المقالات المجهولة للأستاذ مصطفى صادق الرافعيِّ؛ لم أكن أتصور أن يتقبَّلها القُرَّاء الأعزَّاء بهذا القبول الحسن؛ وخامرتني فرحةٌ آسرةٌ شابَها شيءٌ من الأَسَف وأنا أتلقَّى المهاتفات والمراسلات من أصدقاء كرام لم يتمكَّنوا من العثور على نسخة واحدةٍ رغم ترقُّبهم المجلة أوان نزولها، وهكذا نَفَدَت نسخ الكتاب وأنا متقلِّبٌ بين الشُّعورين.

ومبعث سعادتي أن الرافعيَّ الذي أُريد له أن يموت أدبُهُ وينقطع في الأمة ذكره قد حظي ببعض ما يستحقه من مكانة بعد سنوات عجاف من التجاهل، واطمأنَّ الناس إلى أن الأفكار الأصيلة لن تموتَ في دنيانا إذا أخلص صاحبها لها وتعهَّدها بالرِّعاية والسُّقيا، وأنَّ نفيسَ الأحجار مهما انطمر تبقى قيمته الرفيعة؛ فلا يزيدها تعاقب الأحقاب إلا بهاءً ونضارةً.

إنني أُلحُّ دوماً على تأكيد مدى بشاعة المؤامرة التي استهدفت أدب الرافعيِّ في حياته وبعد مماته، إذْ هي جزءٌ لا يتجزَّأ من المؤامرة الكبرى على هويَّة الأمة ومُقدَّراتها الفكريَّة، ويكفينا هنا أن نُورد هذه العبارة التي يقول صاحبها: «كذلك هناك كتاب (على السفود) لذلك الرَّجعيِّ الكبير الذي تجري حالياً محاولاتٌ لإقامته من الأموات (من العجب أن يشارك فيها ناقدٌ ذو ذوقٍ وبصيرةٍ كالدكتور عبدالقادر القط): مصطفى صادق الرافعي»[1]، وربما قصد شفيق تلك الدراسة التي قدَّم بها الدكتور القط لكتب الرَّافعيِّ الثلاثة: رسائل الأحزان، السَّحاب الأحمر، أوراق الورد؛ فهل أخطأ الدكتور القطُّ عندما أثنى على الرافعي وأدبه؟! وهل كان مطلوباً منه

(1) دراسات أدبية: الدكتور ماهر شفيق فريد، ص68.

أن ينظر إلى أدب الرافعيِّ بعين السُّخط التي تبدي المساويا؟! ألهذه الدرجة بلغت كراهيتهم للرجل الذي وقف حارساً أميناً ضد رياح التغريب العاتية وأرادوا له ولأدبه الموت الزؤام؟!

***

إنَّ هذه المقالات التي تُقدِّمها (المجلة العربية) في جزئها الثاني -بعد نفاد الجزء الأول تماماً- تكشفُ بجلاءٍ عن جوانب غير مأنوسة من حياة هذا الأديب والمفكر وأهمها جهوده النقديّة؛ فلم يكن الرَّافعيُّ غائباً عن ساحة النقد الأدبي كما يتصَوَّر كثيرٌ من الباحثين في الأدب الحديث؛ بل كانت له جهودٌ مبكرةٌ لا يمكن إغفالها بحالٍ من الأحوال؛ وقد جرى أغلبها في إطار المعارك الأدبية الحامية، ولما كان ذَلِقَ اللسان شديد اللهجة؛ فقد طغت هذه الحدَّة حتى أصبحت السِّمةَ الأبرز في نقده، ومن ثَمَّ رآها بعضهم خارجةً عن إطار الموضوعية العلمية، وفي ذلك يقول تلميذه وصَفيُّهُ الأستاذ سعيد العريان: «لقد كان ناقداً عنيفاً حَديدَ اللسان، لا يعرف المُداراة، ولا يصطنع الأدب في نضال خصومه، وكانت فيه غَيْرَةٌ واعتدادٌ بالنفس؛ وكان فيه حرصٌ على اللغة من جهة الحرص على الدِّين».[1]

وحسب ما وصل إلينا من مقالات؛ فقد بدأت جهود الرافعي النقدية مبكرًا في عام 1903م عندما صدَّر الجزء الأول من ديوانه بمقدمة تناول فيها الشعر وفنونه ومذاهبه، ورغم أنه لم يُعرِّف الشِّعر تعريفاً محدداً؛ فقد ضمَّن هذه المقدمة رؤىً تجديدية للشعر العربيِّ لابد من الوقوف أمامها مليّاً حتى نذُبَّ عن الرجل فريةَ وقوعه أسيراً للقديم ورفضه لكل جديد، ولعلَّ بعض الباحثين ينبري لدراسة هذه الآراء التجديديَّة التي نادى بها الرجل في مقدمته للديوان وفي غيرها من المقالات.

---

(1) حياة الرافعي: محمد سعيد العريان، ص 126.

وفي عام 1905م –وعمره آنذاك نحو خمسة وعشرين عاماً- كتب مقال (الثريا) –الذي نشرناه في الجزء الأول من هذه المقالات- فكشف عن ذائقة نقديَّة مطبوعة وإن رأى بعضهم أنها محاولةٌ ساذجةٌ لم تخلُ من السَّعي إلى إبراز نفسه بين الكبار، والإطلال برأسه في ميدان الشعر الذي كان مكتظاً بالبارودي وشوقي وحافظ وغيرهم كثير.

ثم تأتي بعد ذلك معركة النشيد الوطنيِّ في مطلع العقد الثالث من القرن العشرين، وهي المعركة التي أسهم فيها كلٌّ من الرافعيِّ والعقاد بنقدٍ لاذعٍ لنشيد أحمد شوقي الذي مطلعه:

بَنِي مِصرَ مَكانُكُمو تَهَيَّا

فَهَيَّا مَهِّدوا لِلمُلكِ هَيَّا

وإذا كان سببُ معركة النشيد تلك الغَيْرَة التي تأجَّجت في قلب الرَّافعيِّ بسبب من تقديم شوقي عليه في القصر والاحتفاء به في جميع المحافل؛ فإنَّ الغيرة ذاتها قد دفعت العقَّاد لمهاجمة شوقي، فضلاً عن الخلاف السياسي بين الوفد والقصر؛ إذْ كان العقاد آنذاك وفديّاً يدين بالولاء للحزب الذي كانت علاقته بالقصر تتأرجح بين مَدٍّ وجَزْرٍ.

***

ثمَّة معركة هي الأشهر بين معاركه وهي (السَّفافيد)، حيث بدأ الرافعيُّ كتابة سلسلة مقالات بين عامي 1929 و1930 تحت عنوان (على السَّفُّود) بـ(مجلة العصور) باسم رمزي هو (إمام من أئمة الأدب العربيِّ)، وهي المقالات التي انتقد فيها شاعرَ الملك عبدالله عفيفي، ثم اتجه بعدها إلى الأستاذ العقاد، وقد أثارت جلبةً غير مسبوقة في الأوساط الفكرية والأدبية، ثم أصدر الرافعيُّ هذه المقالات في كتابٍ منفردٍ يحمل ذات العنوان واللقب.

لكن هناك من يرى أنَّ ما كتبه في هذه السَّفافيد؛ وإنْ دلَّ على عارضة العالم القويِّ الثَّبت، وعلى ملاحظة الأديب المعتمد على تراثنا الثقافي العظيم؛ فإنه يدور في إطار الطريقة الجزئية للنقد، وليس في إطار النظريات والفلسفات المتقدمة[1]، والحقُّ أن الرافعي قد لدَّ كثيراً في هذه الخصومة وخرج عن حدِّ النقد إلى حدِّ تجريح شخص العقَّاد الذي لم يستطع مواصلة الردِّ على خصمه ومجاراته في هجائه المقذع.

على أنَّ المعركة النقدية الأكبر في حياة الرافعيِّ الأدبية –التي تُنشر لأول مرة في هذا الكتاب– كانت نقده لـ(ديوان وحي الأربعين) الذي أصدره العقَّاد سنة 1933م، وهي المعركة التي يعُدُّها الدكتور أبو الأنوار «أقوى المعارك الشعرية بعد معركة الدِّيوان»[2]، وقد نشر الرافعيُّ هذا النقد المُطوَّل مسلسلاً في أربع حلقات في (صحيفة البلاغ) التي كان يُصدرها الأستاذ عبدالقادر حمزة بدأها في 18 مارس 1933م، ولم تَسْلم هذه المعركة الضخمة من الهجاء الشديد؛ لكنها قدَّمت نقداً حقيقياً من جانب الرافعيِّ الذي أخذ على العقاد بعض المآخذ، وتتبَّع كثيراً مما كتبه واجتهد في ردِّه إلى مصادره القديمة لإثبات ما قال إنه سرقات شعرية، كما أورد كثيرا مما عدَّه أخطاءً لغويَّةً ونحويَّةً وقع فيها العقاد.

لم يقتصر الأمر على ذلك؛ فقد انتقد فلسفة العقاد نفسه، وقارن بينه وبين قدامى الشعراء لا سيما ابن الروميِّ وانتصر للقُدامَى، وهو الكلام الذي لم يعجب العقاد؛ فانبرى يرد بمقاله الشهير (سماسرة الأدب) في صحيفة الجهاد 21 مارس 1933م، وهنا دخل إسماعيل مظهر طرفاً جديداً في المعركة ضد العقَّاد.

---

(1) الحوار الأدبي حول الشعر: الدكتور محمد أبو الأنوار، ص 310.

(2) الحوار الأدبي، ص 312.

وهذه المقالات الأربعة المسلسلة التي تمثل حُمُولةً نقديَّةً ثقيلة ظلت هي الأخرى بعيدة عن الساحة النقديَّة كثيراً؛ نعم أشار إليها العريان والبدريُّ والجنديُّ في كتبهم؛ لكنها لم تُنشر ضمن أعمال الرافعيِّ، ولم تحظ بالدراسة اللائقة بها؛ حتى إن أكثر مَنْ تناولوا الرافعي الناقد لم يقفوا على هذه المقالات المهمة التي تُمثِّل عصب النقد عنده؛ فمثلاً تناول الدكتور محمد رجب البيومي الرافعي ناقداً؛ لكنه لم يُورد شيئاً عن هذه المحطة المهمة، وقال الدكتور كمال نشأت في معرض حديثه عن النقد عند الرافعي: «وليس هناك مَثَلٌ أَتَمّ وأوفى لنقد الرافعي، إلا ما كتبه في كتابه (على السَّفود) نقداً للعقاد»[1]، ولو قُدِّر للدكتور نشأت الوصول إلى مقالات (وحي الأربعين) لكان له رأيٌ آخر.

ومن الدراسات الحديثة التي تناولت الرافعي الناقد دراسة الباحث الجزائريِّ علي بختي التي عنونها بـ(الآراء النقدية عند الرافعي بين النظرية والتطبيق)؛ لكنه لم يقف على هذه المقالات هو الآخر، كما فاتته مقالاتٌ أخرى لو قُدِّر له الرجوع إليها لوضع يده على جوانب أكثر أهميَّةً في هذا الموضوع الذي غابت كثيرٌ من مصادره الرئيسة.

وفي هذه المقالات الأربع محاولات نقدية ناضجة سيجدها الباحث المهتم بتراث الرافعي، ولعلها تكون فرصة سانحة ليُشمِّر الباحثون عن سواعد الجِدِّ لدراسة الجانب النقديِّ عنده في ضوء ما ورد هنا من مقالاتٍ لم تحظ بالنشر ضمن كتبه الذائعة.

***

وفضلًا عن هذا النقد المهم لديوان وحي الأربعين فهناك إسهامات أخرى في الأدب واللغة منها مقالا: (خطأ في إصلاح خطأ: حول نشأة فن المقامات)،

(1) مصطفى صادق الرافعي، ص 126-127.

و(حول نشــأة فن المقامات) اللذان تناول فيهما نشأة فن المقامة الأدبية ردّاً علـى الدكتـور زكي مبارك الذي كان له رأيٌ مخالفٌ على النحو الذي سـنراه في هذه المقالات.

وهنــاك مقالاته: (الأدب والأديب)، و(جوابٌ مختصـرٌ)، و(قريش والخليفة)، و(الطَّبْعِيُّ والطَّبِيعِيُّ)، و(كلمة (فحسـبُ): اسـتعمالها – أول من اسـتعملها)، وكلها كتابات تكشف بجلاء عن عناية الرافعيِّ باللغة والأدب وكيف كانا يجريان منه مجرى الدم.

كما يحوي الكتاب عدة مقالات اجتماعيَّة كتبها الرافعي في مناسبات مختلفة مثل: (الإحسـان الاجتماعيُّ)، و(المرأة الشرقيَّة)، و(الطلبة والامتحانات)، و(إنباء الهواتـف)، و(حقيقـة الهاتف)، و(الطيف في الحلم)، و(مصـباح الكهرباء)، و(إلى مهندس منـزلي)، و(في عيد ميلاد المسـيح)، و(زواج الأدباء)، ومقاله (بعد الموت: ما أريد أن يُقال عني!)، ومن بين هذه المقالات ما التمسـه الرافعي ولم يجده كمقالة (المرأة الشرقيَّة) إذْ كتب إلى محمود أبي رية رسالةً يطلب إليه العثور عليها بعد سنوات من ضياعها وسط ركام الأوراق[1].

ويقـدِّم الكتاب كذلك مقالاته التي كتبها في أعلام عصـره نقداً أو ثناءً أو رثاءً، منها: (إلى الأسـتاذ فكري أباظة)، و(انبعث أشـقاها) في نقد سـلامة موسى، و(وحـي النعش) الـذي كتبه في رثاء ابن عمه أمين الرافعي، وما كتبه أيضـاً في رثاء (الملك فؤاد)، ثم مجموعة مقالات كتبها في سعد زغلول منها: (إلى مصر)، و(زهرة الاسـتقلال)، و(كتاب صـاحب النشـيد إلى معالي الرئيس)، و(سعد باشـا زغلول)، و(مثالٌ صـغيرٌ من عظمةِ سـعد)، و(جنود سـعد)، و(سـعد)، ومقال (في صاحب صحيفة النَّاس) الذي كتبه في حسين شفيق المصري.

---

(1) راجع مقدمتنا للجزء الأول من هذه المقالات.

وإتماماً للفائدة رأيتُ أن أُذيِّل الكتاب بمقدمات الرافعي وقراءاته لبعض الكتب مثل: تقريظ كتاب (أعجب العجب) لعبدالحقِّ الأعظمي، وتقريظ كتاب (الفاروق عمر بن الخطاب) لدياب عثمان العرابي، وما كتبه عن كتاب (تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده) لمحمد رشيد رضا، ومقالة رداً على مقال ينتقد كتابه (السَّحاب الأحمر)، وعن تحقيق الشيخ محمد عبده لكتاب (نهج البلاغة)، والتقريظ الذي كتبه الرَّافعيُّ لكتاب (العنايةُ بالأطفال والأَحْدَاث) للدُّكتور إسكندر بك جريديني، وأخيراً ما كتبه عن ديوان الأمير شكيب أرسلان الذي كانت تربطه به آصرة قوية من الود.

وزودُّته بعض الصور والوثائق والمراسلات النادرة التي تُنشر لأول مرة، وثبتاً بأهم الصحف والمجلات التي كتب لها الرافعي، وكذلك قائمة مختارة لأهم الدراسات التي تناولت حياة الأستاذ وأدبه؛ لتكون عوناً لمن أراد من القراء والباحثين أن يقف على حياته وفكره.

***

إنَّ هذا الكتاب - وما سبقته من دراسات - محاولةٌ جادَّةٌ لوضع الأستاذ مصطفى صادق الرافعي في مكانه اللائق به بعد تغييب مُتَعمَّد لمنجَزِه الفكريِّ والأدبيِّ، ودليلٌ دامغٌ على أن الرجل لم يكن متقوقعاً حول ذاته كما أشاع بعضهم؛ إنما أثبتت الأيام سعة أفقه وبُعد نظره.

فالحمد لله -عز وجل- الذي وفَّقني إلى إتمام هذا العمل رغم ما قاسيتُ في سبيله من مشاق يعلمها الله؛ إذْ كان مرضُ والدي ووفاته -رحمه الله- أكثر النوازل التي هزَّتني ولا تزال، فالله أسأل أن يتغمده بواسع رحمته ويتلقاه بسابغ مغفرته لقاء ما قدَّم من العلم النافع.

والشكر لثلة من أساتذتي الكرام الذين شملوني بكريم عنايتهم وأبدوا حفاوتهم بالجزء الأول من هذا الكتاب؛ وأولهم العلَّامة اللغوي الرائد الأستاذ الدكتور سعد عبدالعزيز مصلوح، والعلَّامة المحقق الدكتور عبدالله العسيلان، وأستاذي شيخ البلاغيين الأستاذ الدكتور حسن طبل، وشيخي الأستاذ الدكتور محمود مزروعة، واللغوي المحقق الأستاذ الدكتور النبوي شعلان، وصاحبة الحرف البديع الشاعرة الكبيرة محبوبة هارون؛ فالله أسأل أن يجزيهم عني خير الجزاء.

والشكر كذلك لأخي يوسف غريب وإخوتي: الدكتور عبدالله رمضان وبسَّام الشاعر، وأحمد أبو حوسة ومحمد التومي وصديقي وابن أخي مدحت كساب، على ما بذلوه معي من جهد ودعم في سبيل إخراج هذا الكتاب؛ فكل كلمات الشكر والثناء لا تكفيهم.

ثم الشكر الجزيل موصولٌ لأسرة (المجلة العربية) التي لم تدَّخر وسعاً في تكريم اسم الرافعيِّ وأدبه والاحتفاء به بالتزامن مع مرور ثمانين عاماً على وفاته وانقطاع وحي القلم، وليس هذا بمستغرب من المجلة التي أخذت على عاتقها رفع لواء الأصالة والدفاع عن مقومات الأمة الحضارية.

والشكر الأسمى للقارئ الكريم الذي منحني -ولا يزال- الثقة في بذل المزيد من الجهد للكشف عن لآلئ تراثنا العربي الأصيل، فله أكرِّر الشكر والتقدير، مع وعدٍ ببذل المزيد ليكون لبنةً في بعثٍ حضاريٍّ جديدٍ لأمة (اقرأ)!

والله من وراء القصد

وليد عبدالماجد كساب

البحيرة - في 25 جمادى الأولى 1438 هـ

21 فبراير 2017م

مقالات
في الأدب واللغة

وَحْيُ الأَرْبَعِين

(الحَلَقَةُ الأُولَى)[1]

قال شيخنا الجاحظ في بعض كلامه: «إنِّي أزعمُ أنَّ سخيف الألفاظ مشاكلٌ لسخيف المعاني، وقد يُحتاج إلى السَّخيف في بعض المواضع، وربما أمتَعَ بأكثر من إمتاع الجزْل الفخم من الألفاظ، والشَّريف الكريم من المعاني، كما أنَّ النَّادرة الباردة جداً قد تكون أطيب من النَّادرة الحارَّة جداً، وإنَّما الكرب الذي يختم على القلوب ويأخذ بالأنفاس النَّادرة الفاترة التي لا هي حارَّة ولا هي باردة، وكذلك الشِّعر الوسط والغناء الوسط».[2]

نقولُ: وأنت إذا أردتَ أنْ تعرف ما هو الشِّعر الوَسَط في أيامنا هذه وَجَبَ أنْ تعلم أنَّ له أوصافاً وشروطاً غير التي كانت لمثله في زمن الجاحظ؛ فإنَّ التوسُّط في ذلك العصر كان يأتي من الألفاظ والمعاني، كحساب نصف المسافة بين بلدين على طرفي مملكة واحدة، أمَّا في دَهْر النَّاس هذا فهو على البعد المترامي بين مملكتين في طرفي الدُّنيا.

ولا تحسبنَّ أنَّ هذا مما يزيدُ في نباهة الشِّعر الوَسَط عندنا أو يجعل له موضعاً وحقّاً أو يورده على النَّفس مورداً غير مستَنْكَر.

فالأمر على خلاف ما يظهر لك أوَّل وهلَة، إذْ كان الشِّعر العربيُّ قديماً يُعْتَبَرُ بعضُه ببعض فيكون التوسُّط قريباً وقصداً، ومهما يخطئك منه فلا يخطئك أنْ يكون على النِّصف من موضوع البيان وجزالة اللُّغة وإحكام الصَّنعة الشِّعريَّة وسلامة الذَّوق، وفيه من شيءٍ شيءٌ؛ ولكنَّ الشِّعر العربيَّ في زمننا يُعْتَبَرُ بموقعه من أصله ومن شعر الأمم كافَّةً، ولا سواء هذا وذاك؛ فأنت إذا

(1) البلاغ، 22 ذو القعدة، 1351 هـ = 18 مارس 1933م.

(2) البيان والتَّبيين: الجاحظ 1/145.

قطعتَ مائة فرسخ وبقيت مائةٌ؛ فليس التَّوسُّط هنا على قياسه فيمن يقطع مائة ألف ويعجز عنْ مائةِ ألفٍ أخرى قد يكون في أولها قبره.

ومن صفات الشِّعر الوسط في عصرنا أنْ تكون فيه الفلسفة على حالة لم تنضج، والفكر على طريقة لم تستحكم، واللغة في طبيعة لم تسلس، والبيان على صناعة لم (تَبْرَع)، وأنْ يكون مدخولاً بالذَّوق الفاسد، موسوماً بالسِّمات العامِّية، مستهلكاً بالفكر المتلبِّس والمعنى الغُفْل واللَّفظ السَّاقط المُبتَذَل، وأنْ ترى أوزانه مُتهافِتَةً لا علم لناظمها بالملاءمة الموسيقيَّة بين الوزن الذي ينظم عليه والمعنى الذي ينظم له والأسلوب الذي يتأدَّى به إلى النَّفس، فكلُّ وزنٍ هو وزنٌ لكلِّ معنىً، وأنْ يحاول الشَّاعر أقصى الغاية في بلاغة النَّفس الإنسانيَّة وليس له إلا نصف أسبابها وعلَلِها، وتلك أحوال ليست فيها منزلةٌ أشأم على صاحبها من منزلة الوَسط إلا إذا كان في منتهى الحَذْق محلٌّ لنصف الغفلة، وفي سُموِّ العبقرية موضعٌ لتوسُّط الذِّهن، وإنَّه لا يعيبك أنْ لا تكون فيلسوفاً، وربما كنتَ في حقيقتك شاعراً ذا طبع، فإذا سكنتَ إليه وترسَّلتَ به؛ ردَّ عليك وجهاً ممَّا ترُدُّه الفلسفة المحكَمة، وأَنزلك في طبقة من طبقات المطبوعين، ولكنَّ تكلُّفك الفلسفة الشِّعريَّة الضعيفة وإفسادك الشِّعر بها يَذْهَبُ بالطَّبع والفلسفة جميعاً ويقذفك من الطَّبقات كلها؛ لينزل بك دون الشِّعراء ولا يصعد بك إلى الفلاسفة، ولا دلَّ على شيءٍ إلا أنَّ طبيعتك الانتحال والتكلُّف ومذهبُك الادِّعاء.

ولم أرَ في كل ما قرأتُ من شعر أدبائنا ما يستوي في جميعَ أوصاف الشِّعر الوسط كنظم صاحب (وحيِّ الأربعين) عبَّاس محمود العقَّاد؛ فله فلسفةٌ وفكرٌ وطريقةٌ، وله منزعٌ بعيدٌ ومرمىً قصيٌّ، وله اطِّلاع على شعر الأمم وآدابها، وفيه رغبةٌ شديدةٌ أنْ يكون مُبدِعاً مُجدِّداً، وقد ارتهن نفسه بملابسةِ صناعة الأدب، وفرغ لها فراغ من يعيشُ لما يعيش به، وانغمس فيها

انغماس السَّمكة في بحرها أو مستنقعها؛ ولكنه أُعطِيَ هذا كله ولم يُعط أسباب التمكين فيه، وتكلَّف لمظاهر القدرة العالية، ولم يهبْه الله خصائص هذه القدرة، وجاوز عند نفسه حدود العبقريَّة لزعمه القويِّ وهو محتبسٌ من ورائها بطبعه الضَّعيف، وأغرق في المحاولة ليغرق مثل ذلك في الخيبة، وجاء بالكثير ليردَّ عليه الكثير أيضاً، وقدَّم لنا شعره على أنَّه التَّجديدُ والعبقريَّةُ، وأنَّه وأنَّه، وليعدَّ ما شاء من الأوصاف، ولكن ماذا ينفع مَلِكَةُ جمال أنْ تكون فيها كل شرائط الجمال وهي عوراء!

إنَّ العقَّاد نفسه هو الذي أعطانا هذا المعنى؛ فإنَّه يقول في صفحة 167 من ديوانه:

دعِ الشُّهرَةَ العوراَءَ تَقتَادُ غافِلاً

على حُكْمِها يجري، وإنْ طَاشَ أو ظَلَم

يعني أنَّ الشهرة عوراء لأنَّها رأت شوقي -رحمه الله- ولم تره هو، فكان مُهْمَلاً إذْ كان من قِبَلِ عينها المطموسة، ثم يقول:

إذا الدُّهرُ لم يعرفْ لذِي الحقِّ حَقَّه؛

فللدَّهرِ مِنِّي موطئُ النَّعلِ والقَدَم

ومع أنَّ النَّعل لا تُطأ إلا بالقدم؛ فلا بأس أنْ يَطأَ العقَّاد دهرَه مرةً بالنَّعل ومرةً حافياً لفرط غيظه من شوقي، ولكنْ هل هذا المعنى إلا قول العامَّة «أدوسُه بالجزمة»؟! وإذا لم يكن في السُّقوط بالشِّعر أسقطُ من هذا؛ فهل في الرَّغبات الحمقاء أحمق من رغبة «دوس الدَّهر بالجزمة»؟!

لقد عرض هذا المعنى بعينه للمتنبِّي؛ فانظر كيف صنع في غيظه من كافور وموضعه من دهره، وكيف تَأتَّى إلى الشِّعر الذي لو سمعه الدَّهر لاعتذر إليه، وتأمَّل الفرق بين شاعرٍ وشاعرٍ، قال:

وللهِ آيـــاتٌ ولَـيـسَ كـهَـذه
أظُـنُّـكَ يـا كـافـورُ آيـتَـهُ الـكُبرَى

لـعَـمـرُكَ مـا دَهْــرٌ بــهِ أنــتَ طـيِّـبٌ
أيَحسَبُني ذا الـدَّهـر أحسَبُهُ دَهرا[1]

على أنَّ الذي سقط بالعقَّاد هذه السَّقطة هو أنَّه سرق من قول أبي نواس في مدح المأمون يستطيل به:

فـلَـوَ أنَّ دَهْــراً رَابَـنـي؛
لـصَـفـعْـتُـهُ بـالـكَـفِّ صَفْعا[2]

وهذا البيت رآه المتنبِّيُّ فلم يُلمَّ به لقوة طبيعته في الشِّعر، ورآه العقَّاد فهَوَى فيه وحوله إلى النَّعل والقدم، ولفَّقَ له البيت الأعور.

وإذا أنـت وَازَنْـتَ في هذا بين المتنبِّـي والعقَّاد؛ رأيت المتنبِّـيَّ كذات العينين النَّجلاوَيْن والعقَّاد كذات العين الواحدة.

***

وقبـل أنْ نتناول شـعر (الوحـي) نريد أنْ ندُلَّ العقَّاد على سـرِّ سـقوطه في الشِّـعر، وأنَّــه لن يفلح فيه، ولا يجيء به إلا فضـولاً مُكرَهاً أنْ يكون شـعراً، ولعلَّه لا يدري أنَّ أكثر ما يحرص عليه من نظمه يتفق أحسـن منه لكثير من كبار الشّعراء فينفونه ويهذّبون شعرهم منه، ولقد كان البحتريُّ يُسقط ثُلُث القصـيدة، وكان إبراهيم بن العبَّاس ربما أسـقط النِّصف، ونَظَمَ كعب بن زهير أبياتاً ثم سأل أباه: كيف ترى هذا الشِّعر؟! يقول أبوه الشَّاعر العظيم:

---

(1) لم أقف عليه في شـرح ديوان المتنبِّيِّ للعكبريِّ ولا في ديوان شـيخ العربيَّة، وهما في الصُّبح المُنْبي عن حيثية المتنبِّيِّ للشَّيخ يوسف البديعيِّ ص 106.

(2) في ديوان أبي النُّواس ص 35: «ولو أنَّ دهري ...».

يا بُني إنَّ أباك ليعرض له مثل هذا يميناً وشمالاً؛ فلا يلتفت إليه.

ذلك أنَّ الفكر يأتي بمادة القصـيدة ثم يُصوِّرُها الطَّبعُ ويصوغُها، ثم يأتي الذَّوق فيهذِّبها كما يهذِّب صـانع التِّمثال تمثاله؛ لا يحذف ما يحذف ويُثبت مـا يُثبـت على أنَّه إثباتٌ أو حذفٌ؛ بل على أنَّه صـناعة الملامح في الصُّـورة وإفراغ الجمال الفنِّيِّ على تكوينها.

ولقد كنتُ أقرأُ (وحي الأربعين) وما يخطر لي إلَّا أنَّ أكثره أبيات كان العقَّاد أسـقطها من قصـائد له قديمة، ثم فَتَنَـه الحرْص فجمَعَهـا ديواناً. ولو هو سمَّى الحقيقة باسـمها؛ لكان اسم ديوانه (الحُثَالة)، وإلَّا فأيُّ شِعرٍ في مثل هذا البيت:

أَرَى في جَـلالِ المـوتِ إنْ كـانَ صَـادقًا

جَـلالـةَ حـقٍّ لا جـلالـةَ بـاطـلِ

فإنْ كان الموتُ صادقاً -ويحك- فماذا يكون إلا أنْ يكون حقّاً، وما شرط الصِّدق في شيء واقع لا يتكذَّب فيه أحدٌ؟! إنَّما يكون الشَّرط في نحو قول المعريِّ:

مـا أطـيـبَ المـوتَ لـشُـرَّابِـه،

إنْ صَـحّ لـلأمـواتِ وَشْـكُ التقاء[1]

فههنا فليشـترط مَنْ كان زنديقاً، أمَّا الزَّندقة والجهل معاً ثم يكون نظمهما شـعراً؛ فهذا لا نعرف مثله إلا لصـاحب (الوحي)، والعقَّاد أراد أنْ يعارضَ شوقي في قوله يذكر جلال الموت:

أَرَى زُمَـراً مُـشَـيِّـعَـةً

وأَسْـمَـعُ أيَّـمـا صَـوْت

(1) اللُّزوميَّات: أبو العلاء المعري 59/1.

ولو عَقلوا لما فَعَلوا

جلالُ المَوْتِ في المَوْت

«جلالُ الموتِ في الموتِ» تبارك الله مُلْهِمُ هذه الكلمة المبدعة التي جاءت بمعنى هو أظهر من الموت في ظهوره، وأغمض منه في غموضه، ولستُ أدري ما هي القوَّة التي تضطَّر العقَّاد أنْ ينظم الشِّعر، ومن أي مَحْكَمَةٍ صدر عليه حكم الأشغال الشَّاقة في الألفاظ التي يشبه عملُه فيها تكسيرَ الزَّلط في (طُرَةَ)[1]، وقد جاء ديوانه في نحو سبعين ومائة صفحة، ولو هُذِّبَ ما خرج في عشر صفحات.

ذلك السِّر الذي أومأنا إليه هو أنَّ العقَّاد يحترف الصَّحافة السياسيَّة من أول نشأته وهو عمل السَّاعة ولغة الجمهور، وأساليبها في نقل الأخبار بعضها من بعض معروفة، وأساس كلِّ بيانٍ فيها قيام المعنى لمحض الدلالة التي يحملها لا للسُّموِّ بها، وفي أساليب صناعة الحكاية لا في أساليب صناعة البلاغة، وعلى سياسة الواقع لا على سياسة الارتفاع بالواقع، وما زعم أحدٌ أنَّ الصَّحافة السِّياسيَّة أُنشئتْ للشِّعر ولغته وبيانه وفلسفته.

فهي في خاصِّ معناها وافيةٌ بما وُجِدَتْ له، وهي الحقُّ كل الحقِّ في غايتها وسبيلها إلى هذه الغاية؛ ولكن شرُّ ما في الباطل وأبعد ما في المستحيل إذا أُريدتْ على أنْ ينبغ باحترافها الشَّاعر العبقريُّ مُبدِعُ اللُّغة في مادة فنِّهَا البيانيِّ وحكيم النَّفس القائم على سياستها الداخليَّة والخارجيَّة ومَلِكُ الطبيعة الذي قيل له منَ الأزل إنَّ قوَّةَ الملوك السِّلاحُ للفتك والموتُ وقوتُك أنت الكلمة الجميلة للتَّأثير والحياة.

وللحرفة عملها في المجموع العصبيِّ، ثم عملها به في أغراض النَّفس، كما

(1) سِجْنٌ بضاحية جنوب القاهرة.

هو مقرَّرٌ ومعروفٌ، فما مِن حرفةٍ إلا وهي تُعين صاحبها على القوَّة في أشياء بطبيعة الملابسة وتبتليه بالعجز عن أشياء تقابلها، وكما يعتاد المرء القوَّة بأسبابها يعتاد العجز بأسبابه كذلك، فمن ثَمَّ ما تراه في شعر العقَّاد من أثر كل ذلك؛ معانٍ ملخصة تلخيص الأخبار المحليَّة، وقصائد هي مقالات فسدت فصارت نظماً وصناعة من القلم للماكينة رأساً، وطبع لا يُنكر أنْ يكون المعنى تحصيل الحاصل، أو أنْ يكون من المعاني التي لم يبقَ في الأرض حضريٌّ ولا همجيٌّ إلا عرفها ما دام الغرض النَّشر، كقول العقَّاد:

المـــــــوتُ أخـــــــذٌ فـــخُــــذْ

مـــا تـــســـتـطـيـعُ مـــن الحـيــاةِ

أليس هذا الشِّعر كالإعلان الذي نشر مائة مرة؟! ثم ليس هو المعنى الذي لو تكلَّم به عاميٌّ سوقٌّ لجاء به في حَبْك وسَبْك وصناعة من حديثه وظرفه؟! ولكنَّها طبيعة ينفيها الشِّعر وينتفي منها على حين تُثبتها الصَّحافة وتُقرُّها ولا تُنكر منه شيئاً، وكذلك انساق بها العقَّاد وأذعَنَ لها إذعان المرء لما اعتاده، وأثبتَ في شعره مئات من الأبيات تراها واقعةً كحروف الجرِّ التي لا تجد ما تجرُّه، ففيها معنىً جاء ولكن تمامه بمعنى لم يجئ، وبيت العقَّاد كأنَّما سخر منه المَعرِّيُّ في قوله:

وكـيـف أُقـضِّــي سـاعـةً بمَـسَـرَّةٍ

وأعـلـمُ أنّ المـوتَ مـن غُرَمائي؟![1]

فهذا مذهبٌ آخر، وكان يحسن بالعقَّاد إذا نقل مذهباً إلى شعره أنْ ينقل المذاهب كلها ما دام نشراً، وما دامت روح شعره هي هي روح (مطالعاتٌ في الكتب) و(ساعاتٌ بين الكتب)، فإذا جاء بمثل قوله في صفحة 33 :

(1) اللُّزوميَّات 54/1.

هي الرُّعونَةُ في طبعِ الحياةِ ثَوَتْ
وإنَّما حكمةُ الأقوامِ تعليمُ

وهو الرأيُّ الذي فرغ النَّاس منه، وجاء به المعرِّيُّ في صورٍ مختلفة تراه في اللزوميات- وجب أنْ ينظم لقرائه المذهب الآخر الذي يُقرِّر أنَّ الطِّفل خيِّرٌ بطبيعته وإنَّما يتعلم الشَّرَّ، ثمَّ المذهب الثَّالث الذي قال فيه المعرِّيُّ:

والنَّجْلُ إنْ بَرّاً، وإنْ فاجِراً،
كالغُصنِ، من أصلٍ له يُفسخُ[1]

أي يجيء على الوراثة وطبائعها، ثم المذهب الرَّابع الذي جاء به الحديث الشريف «كلُّ مولودٍ يُولدُ على الفِطْرة»[2] أي (قابلًا)[3] للخير والشر سواء، فلن يستطيع صاحب (وحيِّ الأربعين) أنْ يزعم أنَّ هذه الأربعين أوحت إليه كلاماً يعرفه كلُّ قرَّاء الكتب في زمنه ومن قبل زمنه.

وفي رأينا أنَّ هذه الأربعين التي جاءنا العقَّاد بوحيها في هذا الدِّيوان ليست بأربعين سنة من عمره كما يقول؛ بل.. بل أربعين كتاباً من مكتبته!

ولتلك العلَّة التي بيَّنَّاها ترى أكثرَ شعر العقَّاد أو كلَّ شعره يعتريه ما يعتري المقالات الصَّحفيَّة من النَّقضِ والرَّد، فأنت تستطيع أنْ تفسدَه كلَّه بأيسر الكلام؛ لأنَّه موضوع على قاعدة تقبل ذلك، وتقرأه فلا تهتزُّ لشيء منه كأنَّه رأيٌ أُلقي بين حزبين من الأحزاب السياسيَّة ليردَّه أحدهما على الآخر، ويغلبك شعورٌ عجيبٌ في أكثر ما تقرأ؛ فما تشكُّ أنَّ وراء هذه المعاني

---

(1) نفسه 1/227، وفي أصل المقال: كالغصن من أصل له يُفسخُ.

(2) صحيح: أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات (1358)، وفي كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين (1384، 1385)، ومسلم في كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، (2658) من حديث أبي هريرة.

(3) الكلمةُ غير واضحةٍ بالأصل، وربما كانت هكذا.

(مقصاً) قصَّها من كتبٍ ودواوينَ ورسائلَ، وأنَّ صاحب (المِقصّ) جالسٌ في ديوانه مجلسه في جريدةٍ يتناول أخبار الفكر الإنسانيّ.

وعلَّةٌ أخرى هي أنَّ في العقَّاد نقصاً كبيراً في البيان العربيِّ، وهو ضعيفُ الفهم جداً لأسرار هذا البيان، وقد قرَّر عند نفسه كما قال لي مرة إنَّ البيان هو ما يكتب به في الصحف؛ وهذا مذهبٌ إذا صار إلى الشِّعر كان فيه كعمل من يستعطر بالعطر من أي أوراق النَّبات أصابها ولو كُرَّاثة أو بصلةً، ومِنْ هذا جاء شعره، وإنه ليُقابِل في أيامنا هذه ما كان عندنا قديماً من شعر الفقهاء، لا يُراد به دقَّة المسلك إلى النَّفس، ولا لطف المأخذ من اللُّغة، ولا إصابة الفصل في المعنى، ولا حكاية الطَّبيعة في صناعة فكريَّة جميلة، ولا بثَّ إشراق النَّفس الرُّوحانية في تركيب المادَّة، وإنَّما هو نظمٌ بحتٌ مستجلبٌ متكلَّفٌ يقع فيه أقبح التَّفاوت كما ترى في ألفاظ العقَّاد، ويعدِل في سياقه عن طبيعة الشِّعر إلى طبيعة الجدل والسَّرد وحكاية الآراء والمذاهب؛ فيكون الفقيه العظيم قد انتهى في علمه ونظره إماماً، وهو بهذا النَّظم لا يزال إلى آخر عمره في ابتداء الشِّعر وأوَّل التكلف؛ كأنَّما لا يرتفع بشعره إلا أنْ يجيئه البُراق وجبريل و﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى﴾.[1]

وما يُخيَّل إليَّ في شعر العقَّاد إلا أنَّه مستنقع اخضرَّتْ ضفتاه؛ فهذا الجمال القليل فيه لا يكشف عن سرٍّ ورونقٍ وإمتاع؛ وإنَّما يزيد في القبح والشُّنْعَة، وما هو المستنقع إلا البعوض والملاريا والطُّحْلب والوَخَم والعَفَن؟ ولو أنَّك كنتَ شاعراً دقيق الحِسِّ، مُصفَّى الذَّوق، عالي البيان، ثمَّ قرأتَ شعر العقَّاد؛ لرأيتَ من ألفاظه ألفاظاً تلْسعُ الذَّوق لسعَ البعوض، ومن شعره أبياتاً تنهق نهيق الضَّفادع التي هي حمير الماء، ومع هذا كله لا تنفك من منظرٍ نَضرٍ هنا وهناك في ضفاف المستنقع من بعض المعاني الحَسَنة التي يعرضها مما

(1) سورة الإسراء/ 1.

ينقلـه عن غيره من شـعراء العـرب والأوربيِّين، ومما يلاحظـه أو يلمٌّ به في قراءته الدائبة الموصولة، وما قط أصبتُ للعقَّاد معنىً حسناً إلا وأنا واثقٌ أنَّه من باب قول بشار:

إذا أنـشـد حـمـادُ؛
فـقـل: أحـسـنَ بـشَّـارُ

***

وقد كتبنا مقالاً في فلسفة نقد الشِّعر وفلسفة الألفاظ الشِّعريَّة وصناعتها، وأنها ألفاظٌ من الكلام، غير أنَّ الشِّعر يضع فيها الكلام والموسيقى معاً فتخرج بذلك مـن طبيعة اللغة العامَّة القائمة على تأدية المعنى بالدلالة وحدها إلى طبيعة لغة خاصـة أرقـى منها تؤدِّي المعنى بالدلالـة والنَّغَم والذَّوق، وسـيظهر مقالنا هذا في عدد شـهر أبريـل من مجلة أبولو[1] فلا نطيل هنا بشـيء مما يتَّصـل بهذه الفلسـفة، بيْد أنَّا وقفنا على كلمةٍ جميلةٍ في محاضرة الشَّاعر الناقد الإنجليزيِّ مسـتـر (درنكوتـر)[2] الذي اسـتقدمتهُ وزارة المعارف إلى مصـر لإلقاء دروس عن الشِّـعر الإنجليزيِّ جاء فيها كما نشـرته بعض الصُّـحف: «على الشَّاعر أنْ ينتقـي اللفظ الحيَّ الذي لم يمسسـه بِلَـىً ولا ابتذالٌ، ومع ذلك فعليه أنْ يضـع تحت بصـره ميراث لغته (تأمَّل) وتراث أسـلافه من فطاحل الشِّعراء؛ وإلَّا فهو أحمق يسـبح في لُجَّةِ الغرور. محكُّ الشَّاعر الحقِّ هو اختيار الألفاظ وانتقاؤها، فالشَّـاعر المجيد ذلك الذي تجد ألفاظه وعباراته طليقةً حيَّة بالغة ما بلغت من البسـاطة والسُّـهولة في ظاهرها». انتهى وهذا كلامٌ ليس فيه جديد عندنا؛ فقد

(1) نُشر في عدد مايو 1933 تحت عنوان (نقدُ الشِّعر وفلسفتُهُ).

(2) جون درنكوتر: شاعر وأكاديمي إنجليزي ولد سنة 1882، عمل أستاذاً في جامعة برمنجهام، له إسهاماته في الأدب والنقد، دعته الجمعية الجغرافية الملكية لإلقاء بعض المحاضرات، وهناك ألقى أولى محاضراته يـوم 17 فبرايـر 1933 تحـت عنوان (معنى الشِّـعر). راجع تغطية مجلة الرسـالة العـدد رقم (4) أول مارس 1933م.

استوفينا هذا المعنى في مقالاتنا المختلفة بأحسن وأبين مما جاء من إنجلترا، ولكنَّ الجديد أنَّ الكلام من شاعر إنجليزيٍّ مشهور فهو يصلح ردّاً مُفحماً عند العقَّاد وأمثاله ممن شبُّوا على الاستعباد للفكر الأجنبيِّ، وقد غبروا إلى اليوم ينظمون الشِّعر ولا يعرفون أنَّ اللَّفظ المبتذل السَّفْسَاف إنَّما هو وجهٌ آخر من الغريب المستنكر، فإنَّ العيب ليس في ذات اللفظ؛ بل في ضعف موقعه واختلال تأديته، وما من فنٍّ أدبيٍّ إلا ولألفاظه أوزانٌ ومقادير حتى ليجيء البيت من الشِّعر الجيِّد الرَّصين المحكم، وإنَّ له ما للبناء في هندسته الجميلة نَسَقاً ووضْعاً، وتكاد ترى فيه ما يُشبه الطُّول والعرض والارتفاع والسُّمك حتى لا يخرج حرفٌ عن موضعه من الذَّوق، ولا تنحرف كلمةٌ إلا بَانَ الإخلال ودلَّ على نفسه.

ومن هذه العلَّة في العقَّاد فَسَدَ ذوقه الشِّعريُّ؛ فترى نظمه مُستَهلَكاً بالتوعُّر والتَّعقيد والابتذال والاستكراه والتخليط، وأصبح ذلك من مألوف أمره يعده من خصائصه ويحسبه من فلسفته؛ ظنّاً منه أنَّ الشِّعر كالطَّبيعة تبدع الجسم الجميل الفاتن وفيه، وفيه الأحشاء، ومن أحشاء شعره قوله في وصف القُبْلَة صفحة 162:

هي كأسٌ من كُؤوسِ الخَالِدين
لم يَشُبْها المَزْجُ من مَاءٍ وطِين

ماءٌ وطينٌ أي (وَحْل) عند ذكر القُبْلَة من فم الحبيب؟! أهذا كلامٌ يُوضع في الشِّعر أم يُوضع في عربات نقل الوَحْل وكنس موضعه من اللُّغة؟ أنشد بشارٌ قول الشَّاعر:

ألا إنَّما ليلى عَصَا خَيْزُرَانةٍ
إذا غَمَزُوها بالأكُفِّ تَلينُ[1]

---

(1) ورد هذا البيت معزوّاً إلى كثير عزة في الكامل في اللغة للمبرِّد 3/85، وفي ديوان كثير عزة الذي جمعه

فقال: والله لو زعم أنَّها عصا مخٍّ أو عصا زبدٍ لكان قد هجَّن مع ذكر العصا وجعلها جافيةً خشنةً، ألا فعلَ كما قلت:

وَدَعْجَاءُ المَحَاجِرِ مِن مَعَدٍّ
كأنَّ حَدِيثَها ثَمَرُ الجِنَانِ
إذا قامتْ لِمِشيَتِها تَثَنَّتْ
كأنَّ عظامَها من خَيْزُرَانِ[1]

ولكنْ ما عسى أنْ يكون الكلام العاميُّ السُّوقيُّ والرَّذِلُ السَّاقطُ من الشِّعر إلا مثلما رأيت؟!

ومن حشاء شعر العقَّاد قوله في صفحة 15 (معنى طازج)!

تَنَشَّقتُ مِن فِيكَ عِطْرَ الثِّمَا
رِ، أو نَكْهَةَ العِنَبِ النَّاضِجِ

فلو قلتُ:

أطعمتَنِي قُبلَةً
لأنبأتُ عن صِدْقِي الطَّازجِ

هذا صدقٌ (طازه) ومعنىً (طازه)؛ ففي أي عصرٍ نحن من عصور اللُّغة العربيَّة، وكيف يخطر لأديب أنَّه (تنشَّق) من فم الحبيب؟!

هناك الماء والطِّين في القُبلة، وهنا (النُّشوق) في الفم! اللهم احفظ لي عقلي! ثمَّ إنَّ العقَّاد (تنشَّق) من فم الحبيب نكهة العنب النَّاضج، و(النَّاضج) هنا ليست على دلالتها في اللُّغة؛ بل على ما تدل فيما قدَّره العقَّاد في نفسه فإنَّه يقدِّر المعنى

وشرحه الدكتور إحسان عباس ص 176.

(1) ديوان بشار 4/198.

ثم يعجز عنه (فيشحنه) في أيّمَا اتفق له من اللفظ، ويرشّح له بكلمة ينصبها كالمصباح الأحمر لتدلَّ على أنَّ ههنا فلسفة!

والمصباح في البيت الأول هو كلمة (نَكْهَة)، وهي تدلُّ على أنَّ المُراد بالعنب النَّاضج ليس العنب النَّاضج؛ بل عنب فراولة، وإلا فكيف تكون له (نَكْهَة)؟!

والعقَّاد رجلٌ جبَّارُ الذِّهن، وجبَّارُ الذَّوق، رأَى قول المَعَرِّي:

يَحِلُّ بمَهْرِ رِضَابُ الرَّحيقِ، وليسَ يحلُّ رَحيقُ العِنَبْ[1]

فولَّد له عقله وذوقه من هذه المقابلة أنْ يجعل الرَّحيق هو العنب، ولمَّا كان قد ظهر في هذا العصر (عنب الفراولة) زاد على المَعَرِّي بوَضْعِ النَّكهة في البيت، وخرج من الجميع ذلك الهذيان المضحك الذي أساغه ذوقه البيانيُّ كما أساغ ذوقه اللغويُّ قوله في قصيدة غزلٍ فلسفيٍّ ص 108:

والذي أرهبه وأسفاه هجرك المدعوُّ بالموت الزُّؤام

لقد فرغ الشّعراء من تشبيه الهجر بالموت وقالوا: «ألَّا إنَّما الموتُ التفرُّقُ والهَجْر»، فليس في بيت العقَّاد معنى له، ولكنْ فيه ذوقه اللغويُّ، وقوله: «المدعو»، والعامة إذا أرادوا تحقير شخص قالوا مثلاً: فلان «المدعو» بكذا؛ فانحطَّوا به عن كلمة (المُسمَّى)، ثمَّ إنَّ «المدعو» هذه لا تُفيد التَّسمية إلا في حيٍّ، ما من ذلك بُدٌّ؛ إذْ الاسم إنَّما يوضع للحيِّ ليُدْعَى به إذا ناداه منادٍ ليميزه عن سائر جنسه، فكيف يُقال الهجر «المدعو» بالموت؟!

بَيْدَ أنَّ هذا هو علم العقَّاد باللُّغة وقدرته على تصريفها ومنزلته في صناعة الفنِّ الشِّعريِّ لألفاظها، وديوانه لا يشهد له في ذلك إلا من نوع (شهادة الفقر).

(1) اللُّزوميَّات 1/148، وفيه: «يحل بمهرٍ رحيق الرضاب ...».

عَرَضَ لشاعر قديم مثل هذه التَّسمية التي جاء بها العقَّاد عامِّيةً محضةً، فأراد أنْ يقول: «ريقُ الحبيب المدعو بالخمر»؛ فانظر كيف حقَّق فنَّ الجمال في صناعة الكلمة، وكيف أدارها، وتصرَّف بها، وأنزلها في المرتبة العليا من البلاغة بأسلوبه الشِّعريِّ وبصره وطبيعته وذوقه في قوله:

وَلِلصَّهباءِ أَسماءٌ وَلَكِن

جَهِلتُ بِأَنَّ في الأَسماءِ ريقا[1]

أفليس هذا هو معنى قول النَّاقد الإنجليزيِّ: «محكُّ الشَّاعر الحقِّ هو قدرته على اختيار الألفاظ وانتقائها»؛ أي: قدرته على سياسة المعنى بها.

وقد أراد أبو تمَّام أن يستعمل كلمة «المُسَمَّى»؛ فوضعها بين ثلاثين كلمة تُمثِّل بجملتها معنىً واحداً؛ فجاءت على عامِّيَّتها، وإنَّها في شعره لَمِنْ أسمى الشِّعر، قال:

وَمَنْ لَمْ يُسَلِّمْ لِلنَّوَائِبِ أَصْبَحَتْ

خَلائِقُهُ طُراً عَلَيْهِ نَوائِبَا

وقد يكْهَمُ السَّيفُ «المسُمّى» مَنِيَّةً

وقد يرجِعُ المرءُ المُظَفَّرُ خَائِبا

فآفةُ ذَا ألاَّ يُصَادِفَ مضْرَباً

وآفةُ ذا ألاَّ يُصادفَ ضَارِبا[2]

وقد نبَّهتْ مجلة «أبولُّو» على أنَّ قصيدة غزل فلسفيٍّ التي فيها «هجرك المدعو» مأخوذةٌ من قصيدة شلي «إبيسيكديون»، كما نبَّهتْ على سرقات أخرى للعقَّاد

---

(1) ورد البيت منسوباً إلى ابن أسد في ديوان الصَّبابة لشهاب الدين ابن أبي حجلة، الباب السَّابع والعشرون ص 106.

(2) شرح ديوان أبي تمام: الخطيب التَّبريزيّ 82/1.

من الشِّعر الإنجليزيِّ، ولَعَدَدٌ واحدٌ من هذه المجلة بشعر العقَّاد كله، وإنَّها لتنشر لصغار النَّاشئين ما لا يطمع العقَّاد أن يجيء بمثله؛ فكيف به مع القُرُومِ[1] والفحول الذين تنشر لهم في كلِّ عدد.

ومن ذوق العقَّاد قوله في تلك القصيدة يخاطب الحبيب:

فيكَ مِنِّي، ومِنَ النَّاس، ومِنْ

كلِّ موجودٍ وموعودٍ تُوْأَم

قلنا فإنَّ «من كلِّ موجود»: البقُّ والقُمَّل والنَّمل والخُنْفساءُ والوَبَاءُ والطَّاعون والهَيْضَة[2] وزيت الخروع والملح الإنجليزيُّ إلى واواتٍ من مثلها لا تُعد، أفيكون من هذا كله في حبيبٍ على مذهب العقَّاد في ذوقه ولغته وفلسفته؟! وهل فعل انحطاط سبعة قرونٍ مرَّت على الشِّعر العربيِّ إلى بدء هذه النَّهضة شرّاً مما يفعل مثل هذا الذَّوق وهذه اللُّغة العقَّاديَّة؟! إنَّ ذلك المعنى الذي بنى عليه هذا المسكين غزله الفلسفيَّ قد مرَّ في ذهنِ أعرابيٍّ قديم لم يتعلم ولم يدرس الفلسفة ولا قرأ الشِّعر الإنجليزيَّ والفرنسيَّ والألمانيَّ والفارسيَّ، وليس له إلا ذوقه وسليقته وطبيعته الشِّعرية فصفَّى المعنى تصفية جاءت به كأنَّما يقطر من الفجر على ورق الزَّهر بقوله:

فَلَوْ كُنْتِ مَاءً كُنْتِ مَاءَ غَمَامَة

وَلَو كُنْتِ دُرًّا كُنْتِ مِنْ دُرَّةٍ بِكْرِ

وَلَوْ كُنْت لَهْواً كُنْتَ تَعليلَ سَاعَة

وَلَوْ كُنْت نَوْما كُنْت إغْفَاءَةَ الفَجْرِ

(1) جمع قَرْم وهو السَّيِّد المُعظَّم.

(2) داءُ الكُولِيرا الذي كان شائعاً آنذاك في مصر.

ولـو كنـتَ لـيـلاً كـنـتَ قـمْـراءَ جُـنِّـبَـتْ

نحوسَ ليالي الشَّهرِ،أو ليلةَ القدْرِ[1]

***

«ولو كُنْتَ لكُنْتَ» هذا أبدع عنوان لأجمل قصيدة في فلسفة الغَزَل، وانظر كيف جعل الأعرابيُّ حبيبته أصفى شيء، وأغلى شيء، وأحب شيء، وألذَّ شيء، وأجمل شيء، وأسعد شيء، وكيف صوَّرَهَا شعراً للشِّعر نفسه ثم قابل هذا الذَّوق المُصفَّى بذوق من يجعل في حبيبته من كلِّ شيءٍ ومن كلِّ موجودٍ ومَوعُودٍ تؤاماً وزُؤاماً وبلاءً عامّاً.

***

(1) زهر الآداب وثمر الألباب للحُصريِّ القيروانيِّ 580/1. وفي محاضرات الأُدباء ومحاورات الشُّعراء والبلغاء للرَّاغب الأصفهانيِّ 375/1:

فلو كنتَ ماءً كنتَ ماءَ غمامةٍ × ولو كنتَ نوماً كنتَ تعريسةَ الفجرِ

ولو كنتَ لهواً كنتَ تعليلَ ساعةٍ × ولو كنتَ ليلاً كنتَ من ليلةِ القدرِ

وَحْيُ الأَرْبَعِين

(الحَلَقَةُ الثَّانِيَةُ)[1]

نحن لا نستقصي في هذا النَّقد؛ وإنَّما مذهبُنا في شعر العقَّاد «والبعرةُ تدلُّ على البعير»، وقد عرفت أمثلة من ذوقه الشِّعريِّ واللُّغويِّ، فهذه أمثلةٌ أخرى من غلطِهِ، قال في ص 36:

ضـلَّـةً لـلـخُـلُـودِ نـأسَـى علـيـهِ
أخـلـدُ الخَـالِـدِيـنَ فـيـنـا دَعِـيُّ

وظاهرٌ أنَّه استوحى المعنى من نفسه وطريقته في الهيج الصحافيِّ مما يُحيط به نفسه، ولكن «أخلد الخالدين» بيِّنةُ الغلط؛ إذْ لا يأتي التَّفضيل إلَّا من فعْلٍ يقبل التَّفاوت حتى يكون شيءٌ أفضلَ من شيءٍ، والخلود لا تفاوت فيه وإلا فليس خلوداً، فهو أزلٌ لا آخر له، ومن خلد فقد خلد، كما لا يُقال «أمْوَتُ الموتى» والخُلودُ الأرضيُّ بالذِّكر ونحوه مجازٌ فيؤخذ على ظاهره، ويُؤتى بالتَّفضيل فيه من لفظ يحتمل التَّفضيل كقولك: أكذبُ النَّاس في ادِّعاء الخلود، وأبقى النَّاس في خلود الذِّكر.

وفي ص 7 من المقدِّمة «فلينظم النَّاس له أبياتاً على طرازٍ أو لا ينظموا على أيِّ طراز»، واستعمال (أي) في مثل هذا مِمَّا شاع في اللغة العامِّيَّة ولا أصل له في العربيَّة، وظاهرٌ أنَّ «النَّاس» معناها في لغته: الشُّعراء خاصة، على قاعدة «العنب الفراولة».

وفي ص 8: يحتم على الشُّعراء، ضَبَطَ (يحتِّم) بتشديد التاء، وهو من استعمال العامَّة أيضاً.

---

(1) البلاغ، 23 ذو القعدة، 1351 هـ = 19 مارس 1933م.

وفي ص 33 «داهم الحصن المنيعا» وهو تعبيرٌ نصفُ عامِّي شَاعَ في النَّاس، فإذا نظرتَ إلى وجهه في اللُّغة رأيتَ مستعمله عامِّيّاً محضاً؛ لأنَّ هذا الفعل يفيد بتجرُّده في أصل اشتقاقه ما يفيد المزيد، ولهذا لم يستعملوا منه مزيداً؛ فقالوا: دَهَمَ، ولم يقولوا داهم، وقد انتقده بعض الأدباء على العقَّاد؛ فردَّ عليه هذا بأنَّ فَاعَلَ هنا بمعنى فَعَلَ قياساً على قوله تعالى: ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّه﴾[1] فإنَّه بمعنى قَتَلَ، وإنْ كانت في صورة المزيد، ونقل هذا عن ابن قتيبة، وهو جهلٌ آخر، فما كلُّ ما يقوله ابن قتيبة تقوله الحقيقة، وقَاتَلَ إنَّما جاءت في الآية على أصلها الذي تُفيده هذه الصِّيغة؛ لتُشعر وقاحة هذه الحشرات الآدمية في معصية اللَّه، وتصف غرورهم وتعجب السَّامع من فعلهم وجهلهم، ولهذا التَّعجيب انتقلت الكلمة في الاستعمال حتَّى صارت في معناه كالحقيقة العُرفيَّة فيقولون: قَاتَلَهُ اللَّه ما أفْصَحَهُ! لا يُريدون ذمّاً؛ بل يريدون أنَّه كالخارج على اللَّه فيما قَدّرَ للنَّاس مما تحتمله قُواهُم من الفصاحة، فليس معناها: قَتَلَهُ اللَّه، ولا هي من هذا في شيءٍ! ولَعلَّ العقَّاد بعد هذا لا يتطاول مرة أخرى إلى الكلام في اللُّغة.

وفي ص 23 أيضاً:

لأمــــرٍ مــا دَخَلْـنَــاهــا
ولا عَــزمــاً ولا وَعْـيــاً

وهذا التنوين في «عزماً ووعياً» خطأ؛ فإنَّ اسم لا إنْ كانت نافيةً للجنس يُبنى على الفتح، فإنْ كانت بمعنى ليس وجب رفع «عزم ووعي».

وفي ص 43:

إنَّمــا تَـسـلُـسُ الـطُّـلَّابُ جميعاً
لامــرئٍ هـانَـتْ الـطُّـلَّاب عليه

---

(1) سورة التوبة: 30، وسورة المنافقون: 4.

وهو المعنى المعروف الشَّائع ويريد بالطِّلاب جمع طَلِبَة، وإنَّما الكلمة مصدرٌ مفردٌ مُذَكَّر، وطَلِبَة ككَلِمَة تُجمع على طلبات ككلمات، وقد استغنوا بها عن جمعٍ طِلْبَةٍ وزان حِكْمَة، فهذه لم نقف لها على جمع، ولعلَّ العقَّاد رأى بيت الشَّريف الرَّضيِّ:

وعِـــبءٌ علـى عينـيَّ رؤيـــةُ غـيرِهِ
وإنْ كـانَ لي فـيـه مُـنـىً وطِلَابُ[1]

فحسبها جَمْعاً، وإنَّما هي المصدر بمعنى الطَّلَب.

وفي ص 49:

«إذا ما تبيَّنتَ العُبوسةَ في امْرِئٍ»

والعُبُوسُة من استعمال العامَّة.

وفي ص 68:

«مِنَ النَّاس؛ لا بل من بهيمٍ مُذَنَّبِ»

«وبهيـم» واحدُ «البهائم» من استعمال العامَّة أيضاً، وإنَّما هـو قولُهم ليلٌ بهيمٌ، أمَّا تلك فبهيمة.

وفي ص 71:

«دموعٌ ذَرَاها الحُزْنُ من طَرْفِ أَشْيَبِ»

وقال في الشرح: ذرا الشَّيء فرَّقه وبعثَره، وليس كذلك؛ وإنَّما يُقالُ ذَرَت الريحُ الشَّيء: أطارته وأذهبته، وهذا لا يتَّفق في الدُّموع؛ وإنَّمَا المستعمل فيها أَذْرَت العين دمعها، لابد من الألف في «أَذْرَت» وإلا استحال المعنى، فإنَّ ذرا تُفيد الارتفاع وهو لا يمكن في انحدار الدَّمع وتساقطه، وأذرى تُفيد الإلقاء،

(1) ديوان الشَّريف الرَّضيِّ: أبو حكيم الخبريِّ، ص 224.

تقول: جمحت به الدَّابَّة فأذرته أي رَمَتهَ وألقته.

وفي ص 77: «الآنَ فاذهب تستريح»، ولا معنى لرفع جواب الطَّلب هنا؛ لأنَّ الذَّهاب سببٌ في الاستراحة، ففي الكلام شرطٌ مُقدَّرٌ ويجب الجزم، وإنَّما يُرفعُ الجواب إذا لم يكن الطَّلب سبباً فيه كقوله تعالى ﴿ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾[1]؛ فإنَّهم يلعبون إنْ تركهم أو لم يتركهم.

وفي ص 89:

والسَّهمُ يقصدُ إنْ جَثا

رامِي السِّهامِ أو اشْتَرَفْ

قال في الشَّرح: «اشْتَرَف: وَقَفَ مُنتصِباً»، ولكنَّ هذا المعنى لا يُقَالُ فيه إلا أشرف واستشرف أي انتصب ليرى، ويشرف على الشَّيء كأنَّه يستعمل طوله فيطلع من فوقه.

وفي ص 90:

ألقَى لهنَّ بقوسِه

قُزَحُ، وأَدْبَرَ وانصرفْ

فلبِسْنَ من أَسْلابِه

شتَّى المطارِفِ والطُّرَفْ

فقُزَح لا يُلقي قوسه أبداً؛ إذْ لا ينفصل منه، قال في اللِّسان: «ولا يُفْصَلُ قزحٌ من قوس»؛ فإذا امتنع فكيف يقال: «وأدبر وانصرف»، والمعنى مأخوذٌ من قول المعرِّي يصف مُغنِّية:

(1) سورة الأنعام: 91.

بيـنـهُـمُ كـالـغَـمَـامِ شـادِيـةٌ،

تـومِـضُ في مَلبَسٍ كقوسِ قُزَحْ[1]

فالغمام وقوس قزح معاً في جسم المرأة الجميلة وثيابها، وهذه صنعةٌ بارعة، أمَّا قزح العقَّاد، فلعلَّه الخواجه قزح المالطيُّ مراقب المجلس البلديِّ على شاطئ استانلي الذي قيلت فيه القصيدة.

وفيها أيضاً وأيضاً فيها:

حَـيٌّ الجـمـالَ كـمـا بَـدَا

أو لا، فَـدُونَـكَ والجِـيَـفْ

وما دُمْنا في ذوق العقَّاد الشِّعريِّ الذي يذكُر المِرْحاضَ (انظر كتاب السَّفُّود) فلا اعتراضَ على الجِيَف، أما أنت أيها القارئ فتَصَوَّرْ الجميلات العاريات (المفرغات من الأشعة) يقابلها في الشَّطر الأخير الجيف المتعفِّنة تتقرَّح صديداً وتَتَناثرُ دوداً وحشراتٍ.

وفي القصيدة أيضاً وأيضاً فيها..

عـيـدُ الـشـبـابِ فَـلا كَـلا

مَ، ولا مَـلامَ، ولا خَـرَفْ

إنَّ غاية الغايات في إحسانِ الظنِّ بأدب العقَّاد أنْ تقول: إنَّ في هذا البيت غلطة مطبعيَّة، وأنَّ صوابه:

عـيـدُ الـشـبـابِ فـلا كَـلا

مَ، ولا مَـلامَ، ولا (قَـرَف)

---

(1) اللُّزوميَّات 1/223.

وفي ص 115 الجسم الضَّاحك:

ثـــغـــرُك الـــضَّـــاحـــكُ، لا؛ بـل
وجْهُكَ الضَّاحكُ؛ لا بل كلُّ جِسْمِكْ

لا؛ بـــل الـدُّنـيـا الـتـــي تُـــو
مِـــــضُ نـــوراً حـــولَ نَجْـمِـكْ

فهذا النَّظم من العروض الثَّانية من الرَّمَلِ ووزنُهُ:

فـــاعـــلاتـــنْ فـــاعـــلاتـــنْ
فـــاعـــلاتـــنْ فـــاعـــلاتـــنْ

ولكنَّ البيت الأوَّل وزنُهُ هكذا:

فـــاعـــلاتـــنْ فـــاعـــلاتـــنْ فـــاع
لاتـــنْ فـــاعـــلاتـــنْ فـــاعـــلاتـــنْ

ونُشْفِقُ على العقَّاد فنمسك في الكلام على تخليطه عند هذا الحدِّ.

وبعد؛ فلننظر في فلسفته التي يتهافتُ فيها نظمُه حتَّى ما ينفكُّ من سَقْطَة إلى سَقْطَة، كأنَّه لم يأتِ من طبع، ولا انبعث من قوة، وما هو إلا تَلفيقٌ مُلَفِّقٍ يُعلن بضاعته أنَّه كان وحياً في عقولٍ كبيرةٍ ملهمةٍ؛ فضُربتْ عليه الذِّلَّةُ؛ فنزل في عقلٍ ضعيف، ومرَّ في بيانٍ متخلِّف، وجاءَ فضولاً من المعنى، في استكراهٍ من الأداء، على اضطرابٍ من النَّظم، وكان هذا الاضطراب فيه هو عمل التفكيك والتَّكسير في أخذه استلاباً واغتصاباً، أو أثر انحداره من فكرٍ عالٍ إلى فكرٍ نازلٍ، ومن طبيعةٍ واسعةٍ إلى طبيعةٍ ضيِّقةٍ، ومن سَبْكٍ جيِّدٍ إلى سبكٍ رديءٍ.

والعقَّاد لا يتهيَّأ في طبعه من الفلسفة كالذي يتهيَّأ في طباع الشّعراء الملهمين،

إذْ لا نجد في استطاعته أنْ يقْتَسِرَ الإلهام وهو ليس بصناعة، ولا حيلة له فيما يفوت ذرعه، ويقطع قوَّتَهُ، وما لا يخلقه الله لا تخلقه اللغة الإنجليزيَّة، والشَّاعر المُلْهِم يسنح له المعنى من فكرٍ أو نظرٍ أو قراءة، فإذا هو كأنَّه قطعةٌ من جمال الحياة تريد أنْ تنفذ إلى حياة النَّاس ليزيدوا بها حسّاً وذوقاً ومنفعةً، وإذا المعنى في صورته تجعله وحياً إلى هذا العبقريِّ بخاصَّته، وإنْ كان قد وقع من قبل ذلك لكل شعراء الدُّنيا، ويجيء كما يجيء الإنسان من النَّاس قد امتلأت بهم الأرض، وقلَّما يتشابه اثنان شبهاً تامّاً إلا في النُّدْرة.

ولكن غير المُلْهَم يتسقَّط المعنى من فكرٍ أو قراءةٍ أو نظرٍ أو اختلاس؛ فإذا هو قد جاء بصناعة عقليَّة على قدره بخاصَّته، لا على قدر المعنى؛ فكأنَّهُ لم يزد على أنْ تنبَّه له دون أنْ ينفذ إلى حقِّه أو يخلص إلى طبيعة الشِّعر فيه.

ونحن نعرف العقَّاد رجلاً ذكيّاً مفكِّراً مُطَّلعاً، ولكنْ هذه الخصال على أنَّها الطَّبقات العليا في صناعة الكتابة الصحافيَّة، هي الطَّبقات السُّفلى في صناعة الشِّعر العالي، فإنَّ الإلهام من فوقها يبدأ، وكأنَّها الجاذبيَّة الأرضيَّة: لا يتخطَّى حدودها من كانت طبيعته من الأرض وإنْ علا في طيَّارة أبعد ما يعلو وإلى أنْ يختنق، فما يصنع الرَّجل شيئاً أكثر من أنْ يضع يده على المعنى، ثم يجتهد في تقليبه وتقطيعه وتهشيمه، وكثيراً ما تقصر عبارته لضعفه في البيان واللُّغة؛ فيرى أنَّ ما كان في نفسه لا يزال في نفسه، مع أنَّه قد نَظَمَهُ وتَعِبَ فيه، فيعمد إلى الشَّرح يستعين به كأنَّه في طريق مقالة يترجمها أو يحصِّلها، ويأتي الشَّرح دليلاً على أنَّ هذه الفلسفة الشِّعرية لم تجئ من فيلسوف أبدعها ولا شاعر ألهمها، وأنَّها غير مطَّردة على (سياقها)[1]؛ بل هي مُلَفَّقَةٌ تَلفِيقَ المتن ينظم كما ينظم اعتماداً على أنَّه لا يقوم بنفسه، ولابدَّ معه من شرحٍ، ولابد مع إبهامه من تفسيرٍ.

---

(1) مطموسةٌ في الأصل.

وقد ترى النَّظم في ديوان العقَّاد كأنَّه مُغميٌّ عليه، وترى الشَّرح له كأنَّه «عملية التنفُّس الصِّناعيِّ» وهذا ممَّا يؤكِّد أنَّ طبيعة الرَّجل غير طبيعة الشَّاعر؛ فإنَّ أجملَ الشِّعر وأبدَعَه وأدقَّه في الصِّناعة البيانيَّة لا يمكن شرحه إلا بألفاظه عينها، فإنَّ في هذه الألفاظ ونسقها وروحها سرَّ الفنِّ كلِّه؛ إذْ فيها عمل النَّفس الكبيرة الشَّاعرة التي عملت بروحها في اللُّغة عمل روح الطَّبيعة فيها.

ولا قيمة للشِّعر إنْ لم تأتِ ألفاظُه كأنَّ فيها دماً وأعصاباً وحسّاً، إذْ كان هو لم يأتِ إلا من عاطفة قائمة في الدَّم والأعصاب والحسِّ، فهو ينقلها إلى ضرب من الكلام ينزل أُسلوبه من اللُّغة منزلة أسلوبها من النَّفس، وهذا هو الفنُّ البيانيُّ كلُّه؛ ومن ثَمَّ فالشِّعر الذي ينقصه التَّفسير لا يكون التَّفسير هو الذي ينقصه؛ بل الشِّعر.

وفي ديوان العقَّاد نوعٌ من الشَّرح يعدُّ في الأسلحة، فإذا تناوله القارئ وخاض فيما بعده من الشِّعر؛ فما هو إلا الجنديُّ قد تناول الكمامة التي يُخمِّر بها أنفه قبل خوض معركة الغازات الخانقة، ومنه هذا الشَّرح في ص 60 الذي مَهَّدَ به العقَّاد لقصيدة «كاروس» وشرحه في ص 17 تمهيداً لقصيدة (فلسفة حياة)، وكلتا هاتين القصيدتين لو أنشدها العقَّاد لسجَّلتْ كلُّ مراصد العالم حركاتِ زلزلة.

ولا بأس من هذا الخبر نستطرد إليه؛ فإنَّه دليلٌ من أقوى الأدلَّة على ما نحن بسبيله، فقد دُعِيَ العقَّاد في سنة 1930 إلى طنطا ليلقي كلمةً في الاحتفال السنويِّ لجمعية الإحسان السُّورية المصريَّة، فألقى قصيدته المنشورة في ص 142 من (الوحي)، وهذا الحفل يكون فيه دائماً كلُّ أهل الفضل من رجالٍ ونساءٍ؛ فقام صاحبنا يقول لهم:

مَـــرْيَمُــكُــمُ أُخْـــتٌ لـعـيـســاكُمُ

وكـــلــكُــم آمـــنـــةٌ أو أمـــيـنْ

ومرَّ في هذيانه الشِّـعري والجمهور لا يكاد يصـدِّق أنَّه يرى شاعراً أو يسمعُ شـعراً، ثم فرغتِ القصـيدة من نفسـها، وجلس العقَّاد وقد انخذل انخذالاً شديداً، ورأى بعينه أنَّ النَّاس قد تركوه ينشد قصيدته كما لو كان يُلقيها في غرفةٍ ليس فيها غيرُهُ.

قال الراوي: وكان خطيب الاحتفال صـديقنا الأسـتاذ توفيق دياب، فما كان أعجب ولا أغرب ممَّا صـنع؛ إذ قام يشرح للنَّاس تلك القصيدة كأنَّ العقَّاد المَتْنَ جاء معه بالعقَّاد الشـرح، وأدركتْ صاحبَنا دياب الشَّفقة؛ فلما سقطت القصيدة قام بعملٍ لإنقاذ ما يمكن إنقاذه.

ومع ضـرورة الشَّرح للعقَّاد على ما رأيتُ، فقد صدَّر ديوانه بهذه الأبيات ولم يعلِّق عليها بكلمةٍ واحدةٍ، قال:

صـحَّ جـسـمـاً فـشـاقتْ الأرضُ عينيه

جـــمـــالاً وفـــتـــنـــةً وضـــيـــاء

صـحَّ نفسـاً فـشـاهَـتْ الـنَّـاس حتى

كَـــرِهَ الأرضَـــ حـــولَـــهُ والـسـمـاء

عـجـبـاً لـلـحـيـــاةِ مـــا سَـــرَّ فيها

جـــانــبٌ تـرتـضـيــه إلا أَسَـــاء

فمَنْ من الشِّـعراء يفهم معنى البيت الثَّانيِّ، وكيف يقع أنَّه لو صـحَّ الإنسان نفساً «شاهت النَّاس»؟!

إنَّ العقَّاد لن يستطيع أنْ يشرح للنَّاس هذا المعنى لا من أنَّه مستغلقٌ لا يُفهَم، ولكن لأنَّه يكشف عن (سرقة محلية) وهو يؤثر أنْ يبقى البيت لغواً على أنْ يعرف الأدباء مأخَذَه وأصله، فإنَّما أخذه من كتابنا «رسائل الأحزان»، وهناك في صفحة 170 تجد شرح هذا البيت ونصه: «ولا أثقل على نفسي من النَّاس؛ فإنَّ ظلالهم تهبط على قلبي المتألِّم بأشباح ممسوخة، وأراهم على وتيرة واحدة في ثقل الرُّوح وسواد الظِّلِّ، ولا ذنبَ لهم غير أنَّ وليّاً من أصفياء اللَّه خرجَ يتوضَّأ يوماً وقد أقبل النَّاس على وضوئهم فكشف اللَّه عنه حجاب الحيوانيَّة فنظر؛ فإذا لكلِّ رجلٍ وجهٌ، ولكلِّ وجه سحنةُ حيوان، ولكلِّ حيوانٍ معنىً، وإذا شهوات أنفسهم قد مسختهم مسخاً، وفاءت ظلالُها على وجوههم بجلود الحمير والبغال والقِرَدَة والخنازير وما دبَّ ودَرَجَ».

ولو رجع القرَّاءُ إلى كتاب «السَّفُّود» لرأوا في صفحة 70 سرقةً أخرى للعقَّاد من هذا المعنى بعينه استعملها في مقالة له سنة 1929، غير أنَّنا لم نقل إنَّ صحَّة النَّفس تكون سبباً في كُره الأرض والسَّماء، فهذا جاء به العقَّاد للقافية لا غير، ومعنى البيت الثَّالث مأخوذٌ من كتابنا (المساكين)، وهو هناك في صورٍ مختلفةٍ، ومنها هذه العبارة: «ولم تجد حسنةً إلا معها من طبيعتها سيِّئةٌ».

وأكثر معاني العقَّاد إنَّما هذه سبيلها من السَّرقة، وقلَّما جاء بمعنى يبلغ مبلغ حسنه في الأصل إنْ أخذه من النَّثر أو الشِّعر، فضلاً عن أنْ يُربي على أصله للعلل التي عرفتها. انظر كيف قال في ص 35:

خُذْ ما بَدَا لكَ من ثَرَى الدُّنيا تُصِبْ
فيه رُفاتاً هاجَ مُهْجَةَ شاعِرِ

فأيـن هذا الاقتضـابُ من قول الخيَّـام: «كلُّ ذرَّة على وجـه الثَّرى هي وجه حسـناء زهراء الجَبِـين، يا هذا لا تنفض الغبار عن أردانـك إلا بلطفٍ فإنَّه كان أيضاً وجه حسناء أخرى».

وفي ص 49:

قطوبُ كـريم خـابَ في النَّاس سعيُهُ
أحـبُّ مـن الـبُـشـرى بـفـوزِ لـئيم

ولا نـدري كيف تَصِـحُّ المقابلة في شـطريّ هـذا البيت؛ وإنَّما صـواب المعنى أنَّ القطـوب في وجه الكريم الخائب أحبُّ من البشـر في وجه اللئيم الفائز؛ فانظر كيف صنع!! وأين هذا من صنعة المتنبِّي في قوله:

والـغِـنـى في يَـدِ الـلّـئـيـم قَـبـيـحٌ
قَـدْرَ قُـبْـحِ الـكَـريمِ في الإمْـلاقِ[1]

فلـو كان العقَّاد نَظَمَ الكلامَ على أنَّ البِشْـر في وجه اللئيـم الفائز أقبح من التَّقطيب في وجه الكريم الخائب؛ لكان قد جاء بشعر.

وفي ص 54:

ومـا اخـتـيـارُك إلا مـا خُـلـقـتَ له
إنَّ الـطـبـائـعَ مـا تـرضَـاهُ نـرضَـاهُ

وهو قول بشَّار:

خُـلِـقْـتُ عَـلَـى مَـا فِيَّ غَـيْـرَ مُـخَـيَّـرٍ
هَـوَايَ، ولـو خُـيِّـرْتُ كـنـتُ الْمُهَذَّبا[2]

(1) ديوان شيخ شعراء العربيَّة أبي الطَّيب المتنبِّي، ص 234.

(2) ديوان بشار بن برد 269/1.

وفي ص 52:

إنَّ في طينةِ ابنِ آدمَ لؤماً

يَستَوي في قَذاهُ حُرٌّ وعَبدُ

وهو مسخ قول ابن الرُّوميِّ:

ولا بدَّ مِنْ أنْ يَلؤُمَ المرءُ نازِعاً

إلى الحَمَأِ المَسْنُونِ ضربةَ لازِبِ[1]

وابن الرُّوميِّ يصوِّر هذا المعنى في أساليب مختلفة، وبيت العقَّاد فاسدُ المعنى؛ لأنَّ الشَّأن في الطَّبيعة للطِّينة لا للقذى ولا للُّؤم الذي يشبه القذى في الطِّينة.

وفي ص 88:

يا وَيْحَ قلبك من هَدَف

ضَالَ المُسدد أمْ صَدَفْ

والسَّهمُ يقصدُ إنْ جَثَا

رامي السِّهامِ أو اشْتَرَفْ

وهما قول ابن الرُّوميِّ، وانظر أين صناعته من صناعته؟:

كذلك تلكَ النَّبلُ مَنْ وقعتْ به

ومَنْ صُرِفتْ عنه من القومِ مُقصدُ

إذا عَدَلَتْ عنَّا وجَدْنا عُدُولَها

كموقِعِها في القلبِ؛ بل هو أَجْهَدُ[2]

---

(1) ديوان ابن الرُّوميِّ (ط دار الكتب العلميَّة) 139/1.

(2) ديوان ابن الرُّوميِّ 585/2.

وفي صفحة 160 قال: «زُهرَة القُبْح»، ولا ندري كيف يأتي أنْ تكون الزُهرَة (بضم الزَّاي) للقبح واشتقاق لفظها للجمال والإشراق؟!

طلعةُ الشُّؤم مَن رَآها يَخلها

خُلقتْ مِن وجوه سَبعينَ قِرداً

فسبعون قرداً وسبعمائة كوجه قردٍ واحد؛ لأنَّها كلَّها خَلْقٌ واحدٌ لا يتفاوت، وتأمَّل كيف تهكَّم ابن الرُّوميِّ في مثل هذا المعنى لتدركَ بَعْدُ الفرقَ بين الشَّاعر ومن يُقلِّد الشَّاعر، قال:

إذا لم يكن قِرداً تماماً حكايةً

وقُبْحاً فلم تكملْ لهُ صورةُ القِرْدِ[1]

أي إذا كان قرداً تامّاً فقد مُسخ، وإذا كان لم تكمل له صورة القرد؛ فذلك أشدُّ قبحاً ومسخاً، وكل الشِّعر في قوله: لم تكمل له صورة القِرْد.

وفي ص 128:

أرقبُ البَدْرَ إذا الليلُ سَجَى

فلَنَا فيهِ على البُعدِ لِقاء

وكيف يلتقي بحبيبته (البعيدة) في البدر، ومن عسى يفهم هذا إلا من يعرف قول الأعرابيِّ لحبيبته:

إلى الطائرِ النَّسْرِ انظري كلَّ ليلة

فإنِّي إليهِ بالعشيَّةِ نَاظِرُ

عسى يلتقي طَرْفِي وطرفُك عنْدَه

فنشكو إليهِ ما تُكِنُّ الضَّمَائرُ[2]

---

(1) نفسه 2/608.

(2) تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العُشَّاق: داود الأنطاكي، ص 216.

والطَّائر النَّسْر: كوكب. وفي ص 98:

حينما أسفَرَ نورٌ وانتشرْ

وحَلا في خَلوةِ الليلِ السَّهرْ

فهنا لا ريبَ حِسٌّ وبصرْ

وهو يكرِّر هذا المعنى وأصلُه من قول ابن الرُّوميِّ يصف الأرض في الرَّبيع، إلا أنَّ العقَّاد يصفها في نور القمر:

نيرةُ النُّوارِ زهراءُ الزَّهَرْ

تبرَّجتْ بعد حياءٍ وخَفَرْ

تبرُّجَ الأُنثى تَصدَّتْ للذَّكرْ[1]

أي فيها حسٌّ وعاطفة فنقل العقَّاد ذلك إلى أرواح تكون في نور القمر على الأرض كما يقول اليابانيُّون في شعرهم: «إنَّ تحت نُور القمر حشرات توقع أنغام الغرام»، ولعلَّ هذه الحشرات ارتقت عند العقَّاد فصارت هي الأرواح التي وصفها.

وفي ص 82:

إذا قلت زوراً فهو مِن صِدقِ شِيمتي

ومَن يصفُ الدُّنيا يصف خيم ختَّال

إذا هَزَلَت أمِّي الحياة فهل ترى

من الصِّدقِ ألا يَطرق الهزلُ أقوالي

---

(1) ديوان ابن الرُّوميِّ 993/3.

فالحياة ليست أمَّ أحد؛ وإنَّما الأمُّ هي الدُّنيا كما قال المعرِّي:

خسئتِ يا أُمَّنَا الدُّنيا فأُفٍّ لنا

بنُو الخسيسةِ أوباشٌ أخِسَّاءُ[1]

والبيتان تهشيمٌ وتكسيرٌ لأقوال منها بيتُ المتنبِّي:

ومَنْ صَحِبَ الدُّنيا طويلاً تقلَّبَتْ

على عيْنِهِ حتى يَرى صِدْقَهَا كَذِباً[2]

والبَعْرة كما قلنا تدلُّ على البعير، فحسبك هذا، على أنَّ من الإنصاف للعقَّاد أنْ نعترف له بأنَّه يُجيد إجادةً حسنةً في بابٍ واحدٍ هو الباب الذي تراه في أبيات من قصيدته «عيدُ ميلاد في الجحيم» ص 73، والشَّيطان نفسه لو كان شاعراً واستمدَّ من طبعه لما قال أحسن من هذا:

ولربَّ وجهٍ يَومَذَاكَ شهدتُه

فكأنَّ سُمّاً في العُيُون انْسَابَا

وجهُ اللئيمِ إذا اسْتَهَلَّ ومثلُهُ

وَجْهُ الكريمِ إذا اضْمَحَلَّ وذابَا

---

(1) اللُّزوميَّات 1/38.

(2) ديوان شيخ العربيَّة، ص 36.

وَحْيُ الأربعين .. ردُّ عبَّاس محمود العقَّاد

(الحلقة الثالثة)[1]

قرأتُ اليوم في (الجهاد) ردَّ صاحب (وحي الأربعين) على ما كتبتُه عنه في (البلاغ) الأغرِّ، وهو ردٌّ ظهر فيه العقَّاد طائراً بالكلام على وجهه، مثيراً حوله عُجَاجَةً من السَّبِّ كما تفعل النَّعَامة إذا طاردها الرُّعب في عرض البِيدِ، وخفق بها الفزع خفقة البَرْق، وحاولت أنْ تسبَّ السَّماء بغبار الأرض، فذكَّرني فزعه هذا وتخبطه مع اتساعه في الدَّعوى وتقريظه إيَّاها إلى ما يفوت عرض الغرور وطوله معاً، وانخداع بعض الناشئين في الأدب بوهمه وشعوذته، وظنَّ أنَّ من وراء هذا النَّفخ وهذه الصَّولة وهذا (التَّفَعِّي) و(التَّثَعْبن) أنياباً فيها السُّمُّ ناقعٌ، وما دروا أنَّ من الحيَّات أفاعي كلُّ سلاحها أنْ تنفخ نفخها وتصول صولتها و(تنشر مقالتها) وهماً وخداعاً وإرهاباً للحشرات الضعيفة، وسحراً لبُغاثِ الطَّير، ثم ليس معها بعد ذلك شرٌّ ولا خيرٌ، وليس فيها كبير أمر ولا صغيره.

ذكَّرني فَزَعُ العقَّاد بمَثَلٍ كنت قرأتُهُ في النُّسخة التي عندي من كتاب (كَلِيلَة ودِمْنَة)، ويعرف الأدباء الذين قرأوا كتابي (تحت راية القرآن) أنَّه ليس في العالم كلِّه نسخة أخرى مثلها، وقد رأيتُ أنْ أُتحف قُرَّاء (البلاغ) بهذا المثل قبل أنْ آتيهم بالهذيان الأدبيِّ الذي ردَّ به العقَّادُ علينا.

قال كليلة وهو يضحك: فانطلق دِمْنَة إلى الثَّور، وقال له: أيُّها الثَّور العظيم، نحن معشر جندك، المُحْتَمين بدولتك، نعرف أنَّ الله خلق في حَلْقك الرَّعد، وأنَّ خُوارَك ما يكون أبداً إلا هزيمَ الصَّوَاعقِ التي في صدرِك تُقعقع من وراء هذا الغيب الذي هو حجاب من جلدٍ شرَّفه الله بجَعْلِهِ في عنقك، وأنَّ

---

(1) البلاغ 27 ذو الحجة 1351 هـ = 23 مارس 1933م.

أَظْلافَك كانت من أوَّل الدَّهر جبالاً عظيمةً قائمةً من الصَّخر الصَّلب تشمخُ على السَّـماءِ؛ فأراد الله أنْ يُعلِّمها التَّواضـع؛ فأرسل ملائكة الجحيم تعمل فيها ما يعمل صانع الأحذية في الأحذية؛ فجاءت فعملت فإذا أنتَ تنتعل من أربعة جبالٍ، وأنَّ قَرْنَيْك كرة أرضيَّة حادثة لم تجد القدرة ما ترسِّيها عليك غير رأسك الأزليِّ على عقلك الأبديِّ، وأنَّه بعد أنْ ضَرَبَت جذورُ هذه الأرض الجديدة وتمكَّنت في هذا العَظْم وهذا الجلد بدأت القارَّاتُ الخمس المولودة تظهر فروةً، فظهرت منها اثنتان عرفنا أنَّهما الشَّرق والغرب.

وأمـا ذيلك فهـو النَّجم العظيم الذي كان هاوياً في أغوار الفضـاء، ثمَّ تعلَّق بك كالمستغيث فأغثته وحملته وراءَ وراء، ومشيت تخطر به وتطوِّحه بقدرتك ذات اليمين وذات الشِّمال، وههنا رجلٌ خبيثٌ من أبناء آدم يُخيفنا ويُزعجنا، ونريـد أنْ نقذفَ به من فوق قرنيك العظيمين حتى يُدَوِّم[1] في الجوِّ تدويماً بعيداً، فتخطفه الطَّير أو تهوي به الرِّيح في مكانٍ سحيقٍ.

قـال الثَّـور: ويْحَـكَ وما عسـى أنْ يكون (المدعـو) بابن آدم هـذا، وكيف لا يرهبني أنا الثورَ جبار الأرض الذي يحمل صـدره سـحاباً وصـواعق، ويُعلِّق في (ذيله)[2] فَلَكاً، وينتعل أربعةَ جبالٍ، وخلق الله السماءَ بغير عمد ترونها، وخلقنـي بهذه العَمَد التي (تـرون الآن).[3] قال دمنة: إنَّـه ينزل قريباً من هنا، وله اسمٌ غريبٌ، وما يُرى أبداً إلا وفي يده شيءٌ غريبٌ، سمعتهم يدعونه «الجزَّار» ويُسمُّون ما في يده «السِّكِّين».

قالوا: فتعلَّق الثَّور بأذيالِ الرِّيح، وانطلق يشـتد كأنَّما رَكِب شـيطاناً أو ركبه شـيطانٌ، فناداه دِمْنَـةُ: ما هذا يا مولانا الجبار، يا حامـل الفلك في ذيله؟!

---

(1) حَلَّق ودار.

(2) غيرُ واضح في الأصل.

(3) غير واضح في الأصل.

فالتفـت إليه الثور، وقال: ويلَكَ يا عدوَّ الله (هنا بياض في الأصـل) «المدعو بالموت الزؤام»... (وهنا تمزيق ضاعت فيه بقية المثل).[1]

***

يعـرف العقَّـاد معرفته الشَّـرق والغرب والشَّـمال والجنوب أنَّنـا لا نعبأ به، ولا نعـدُّه أديبـاً، ولا نُقيم له وزناً في العربيَّة، ولا نخشـى سـفاهته، ولو جعل (الجهـاد) جهاداً فينا نحن، وهذا كله قلناه لـه في وجهه، ونعتقد يقيناً أنَّنا قلناه له في قلبه.

ورأيْنا في أدب العقَّاد أنَّه لو صحَّ فيه مذهب التَّناسخ وتناسخ في هذه الأرض ألف مرة لما كان في واحدة منها عفَّ اللِّسان ولا كريم النَّفس، ولا وفيّاً لأحدٍ، ولا شاكراً لنعمةٍ، ولا معترفاً بحقيقةٍ، وليس من العقَّاد إلا العقَّاد.

ولعله يسرُّه أنْ يعلم أنَّه أضحكنا بسفاهته ضحكاً لا عهد لنا بمثله إلا أنْ نرى (شـارلي شابلن) في السِّـينما، ذلك الذي يجِدُّ أشـدَّ الجِدِّ ويتكلَّف الحكمة والوقار والفلسفة وما به من كل ذلك إلا أنْ يجيء بشيءٍ يُضحك النَّاس منه، إنَّه جد شـارلي شـابلن الذي لا يجيء من رأسه وتفكيره أكثر مما يجيء من بنطلونه وحذائه.

قال الأسـتاذ «بنطلونه وحذاؤه» وهو يعنينا: ما كتـب هذا الرَّجل حرفاً عنِّي إلَّا ليقـول إنَّني لسـتُ بكاتب، ولسـتُ أُحسـن فَهْم الشِّـعر والبلاغـة؛ قلنا: صـدقَ والله، فهو عندنا كما وصف نفسه. ثم قال: وما كتبتُ حرفاً في النَّقد والبلاغة إلا سعى إليه يقرأه ويحفظه ليسرق منه ما يصل إلى عقله الكليل، قلنا: كذب والله إنَّه ليهلك في صـفحة واحدة لو أراد أنْ يعارض صفحة مما نكتبـه، وليحتكم إلى مَنْ يُحسـنون الكتابة، لـيرى في مرآتهم كيف خلق الله وجهه البيانيَّ كأنَّه (بروفةٌ) مطبعيَّة مُلقاةٌ بدون تصحيح.

(1) كلام الرَّافعيِّ هنا عن البياض والتَّمزيق نوعُ إيهامٍ يستخدمه لإقناع القارئ بما يقول، أو للمبالغة في السُّخرية.

إنَّ العقَّاد إنَّما يريد بهذا الزَّعم أنْ يُشرِّف نفسه كما أراد من قبل حين كتب في الجزء الثاني من الدِّيوان، يزعم أنَّنا أخذنا من نقده لنشيد شوقي، وقد نشرنا هذا في سنة 1921، ومع ذلك عاد إليه اليوم فنقله في (الجهاد) ويظنه برهاناً جديداً ونعرف (منه)[1] إفلاساً جديداً، فإنَّ هذا المغرور يعلم في ضميره الذي يحاول أنْ يخبِّأه حتى منَ الله جلَّ جلاله يعلم أنَّه هو نفسه كان قد وقف طبع كتابه (الدِّيوان) حين علم أنَّنا سننقد نشيد شوقي، وأشاعت جريدة الأخبار نبأ هذا النَّقد، وذلك لينقل ما نكتبه ويُفخِّم به شأن كتابه، ويستعين بنا على عدوه شوقي؛ فلما أبطأنا في طبع النَّقد كتب هو تلك الرَّقاعة التي سمَّاها نقداً ونشرها. حدثنا بذلك صديقنا الأستاذ المازنيُّ وكان شريكه في كتاب (الدِّيوان).

وخبرُ هذا الحديث أنِّي كنتُ معه في (جريدة الأخبار)؛ فرأيتُ في يديه جزءَ الدِّيوان الذي زعم فيه العقَّاد مزاعمَه السَّخيفة، فبعد أنْ قرأتُ ما كتب عنِّي، قلتُ له: كنتُ أظنُّ العقَّاد عاقلاً؛ فإذا لطوله معنى؛ فقال: إنْ شاء الله لا تجد للقِصَرِ معنى.

ثم سألته: كيف للعقَّاد أنْ يزعم هذا الزَّعم؟! وهل ذلك رأيُه في اعتقاده أم رأيُّه في ادِّعائه؟ فقال: إنَّنا كنَّا نرتقب ظهور نقدِك لنَنْقله ونكتفي به، فلمَّا تأخَّر كتب العقَّاد كتابه ثم اطَّلع على نقدك بعد ظهوره، فرأى فيه كتاباً من الأستاذ منصور عوض مؤرَّخاً في 11 ديسمبر وهو بعد ظهور الدِّيوان، فظنَّ من ذلك أنَّك نقلت عنه، فقلتُ لهذا الصَّديق: إنَّك تعلم أنِّي شرعتُ في الطَّبع قبل أنْ يخطَّ العقَّاد حرفاً، ولهذا انتظر كما تقول، ثم تعلم أنَّ (فلان باشا) سعى عند أمين بك الرَّافعيِّ –رحمه الله– ليجمعني به فنتَّفق على أمرٍ من الأمور؛ لأكفَّ عن نشر هذا النَّقد، وقد كنتَ تراه وتراني، وإنِّي من

---

(1) غيرُ واضحٍ في الأصل.

أجل ذلك وقفتُ طبع النَّقد مدة، وفي أثناء هذه المدَّة جاءني كتاب الأستاذ منصور عوض، ثمَّ تمَّ شيءٌ وأخفق شيءٌ؛ فمضيتُ في إتمام الطَّبع، وكان هذا سبباً في خروج كتابي متأخراً، فأقرَّني الصَّديقُ على ذلك، وقال إنَّ العقَّاد لم يكن يعلم هذا، ولم تبق فائدةٌ في أنْ يعلمه، فقلتُ: ولا كانت عليَّ مضرةٌ في أنْ يجهله.

هذا هو حديث الإفلاس الجديد الذي استخرجه العقَّاد من دفاتره القديمة، فإنَّ كان أهلاً للخجل فليخجل، وكلُّ ما كتبتُهُ هنا أشعتُهُ بين جميع أصدقائه من يومئذ، فهو مسجَّلٌ في علمهم كالتَّسجيل الذي يُسمَّى في القانون (إثباتَ التَّأريخ).

***

ونتكلم الآن في الهَذَيَان الأدبيِّ الذي جاء به العقَّاد ردّاً علينا. قال وهو يعنيني: «كتب في المقتطف يُخطِّئ قول شوقي: إنَّ رأتني تميلُ عنِّي، لأنَّ الصَّواب في زعمه تَمِلْ لا تَميلُ، فصحَّحنا خطأه، وأريناه أنَّ البيت صحيحٌ بإجماع النُّحاة»، ثمَّ مرَّ العقَّاد في سبابه وهَذَيَانه، وزعم أنَّنا نرتجل النَّحو ارتجالاً، ولا ننقله من الكتب التي أجمع عليها النُّحاة، وتخلَّص من ذلك إلى أنَّه لا خطأ في لحنه وجهله ما دمنا قد خطَّأنا النُّحاة جميعاً، كما خطَّأنا ابن قتيبة في قوله: «إنَّ ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ التي جاءت في الآية الكريمة هي من باب فاعل بمعنى فَعَلَ أي قتلهم».

ولو لم يكن العقَّاد جاهلاً بالأدب؛ لَمَا ذَكَرَ ابن قتيبة هنا؛ فابنُ قتيبة هذا يقول في كتابه «طبقات الشّعراء» ردّاً على النُّحاة الذين تأوَّلوا في إعراب قول الفرزدق:

وعضّ زمانٌ يا ابنَ مُروانَ لمْ يَدَعْ
مِنَ النَّاسِ إلا مُسْحَتاً أو مُجَلَّفُ [1]

يقول: «رَفَعَ آخر البيت ضرورةً، وأتعبَ أهل الإعراب (أي النُّحاة) فى طلب العلَّة، فقالوا وأكثروا، ولم يأتوا فيه بشيء يُرضى، ومن ذا يخفى عليه من أهل النَّظر أنَّ كلَّ ما أتوا به من العلل احتيالٌ وتمويهٌ؟!» فهذا رأي ابن قتيبة في النُّحاة.

ولو درس العقَّاد مطوَّلات كتب النَّحو، وكان ذا سليقة وفهم لرأى من الغلط ما لا يُحصى، فالذي يُجيزه الكوفيّون يمنعه البصريّون، والذي يقبله هؤلاء يردُّه أولئك؛ فلا سبيل للمحقِّق إلا أنْ يعتبر هذه الكتب اعتبارها المنطقيّ وأنْ يُجري العربية على أصولها في حكمة الوضع وفي تاريخ الألسنة التي جاءت بها، ونحن قد رددنا بيت شوقي وكتبنا في المقتطف فصلاً طويلاً خطَّأنا فيه النُّحاة جميعاً في رفع جواب الشَّرط وفنَّدنَا أقوالهم وقلنا للعقَّاد: الرأيُ الآن رأيك أنت لا رأي هؤلاء الذين ماتوا؛ فأجب عن نفسك، وبيِّن لنا العلَّة في رفع جواب الشَّرط، ولكن ما الذي فعله العقَّاد بعد هذا التَّحدِّي في أكبر مجلَّة عربية؟! إنَّه كعَّ[2] بالجواب، واستوطأ العجز مركباً، ورأى الصَّمت خيراً، والسُّكوت سلامةً، فأثبت إلينا بذلك ما نبهنا إليه في الكلام عنه من أنَّه لا قوَّة له وليس في طبيعته غير القدرة على النَّقل، ففكره ليس فكراً في رأسه؛ بل هو في رأس المنقول عنه، ومن ثم مَرن على السَّرقة في كل ما يجيء به فإنَّ الطَّبائع يستجر بعضها بعضاً، والشَّرُّ ليس شيئاً واحداً؛ بل يتعدَّد، فمِنْ عَجْزِ الفهم، إلى النَّقل عن النَّاس، إلى سرقة النَّاس، إلى النَّتيجة المضحكة في العقَّاد بخصوصه وهي ادّعاء العبقريَّة.

---

(1) هكذا رواية اللِّسان والجمهرة (مُجَلف) باللام، وقال فى اللِّسان: «المُسْحت: المُهلك، والمُجَلف: الذى بقيت منه بقية»، ورواية الدِّيوان والنقائض «أو مُجَرِف» بالراء، ومعناهما متقارب. راجع الشِّعر والشُّعراء لابن قتيبة الدِّينوريّ 89/1.

(2) جَبُنَ وضَعُفَ.

نحـن نقول للعقّـاد وللإنس والجنّ: إنّنا نُخطّئ سـيبويه وأكبر منه وأصـغر منه متى رأينا أنّ في كلامه خطأ؛ فإنْ كان العقّاد لا يُصـدِّق هذا؛ فليس لنا والحمد لله مثل فهمه ولا ركاكته.

وقال العقّاد في الرَّدِّ على ما خطّأناه به من قوله «الآن فاذهب تستريح»، قال: «إذا كان النّحو الأمريكانيُّ الحديث يخطّئنا في ضمِّ تستريح فالنّحو العربيُّ المتّفَق عليه يقول إنّها صـوابٌ لأنَّ المعنى هنا: اذهب لكي تستريح، ومثل هذا الوضـع جاء في القرآن الكريم ﴿ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾»[1] نقول: وإذا كان المعنى اذهب لكي تسـتريح؛ فتستريح منصوبةً لا مرفوعةً، وكأنَّ العقّاد لا يعـرف إلى الآن أنَّ كي تنصـب المضـارع، كما لا يعرف أنّه لا يُقال «ضـم تستريح» فإنَّ الضَّمَّ لا يكون إلا في المبنيّات، وتستريح فعل معرَّب، فالوجه أنْ يُقال فيه الرَّفع لا الضَّم.

أمَّا الآيةُ الكريمة؛ فالجواب فيها مرفوعٌ قطعاً، لا يجوز غير ذلك؛ لأنّه بهذا الوضع يدلُّ على أنَّ أولئك قومٌ طمس الله على قلوبهم كما يطمس على قلوب أخرى؛ فهم يلعبون ويجهلون إنْ تركهم أو لم يتركهم، والطلب هنا ليس سبباً في الجواب كما ترى؛ ولذا جاء الجوابُ مرفوعاً.

وزعم العقّاد أنّه يعرف ما نبهناه إليه من أنَّ قوله قوس قزح كالكلمة الواحدة فلا يفصـل قزح عن قوس، وقـال إنّه كتب ذلك في نقد روايـة قمبيز، فلعله أيقن الآن أنّنا لا نقرأ كتبه، ثمَّ احتج لقوله:

أَلْـــقَـــى لَـــهُـــنَّ بِـــقَـــوْسِـــه
قُـــزَحٌ وأَدْبَـــــرَ وانْـــصَـــرَف

---

(1) سورة الأنعام: 91.

إنَّ قُزَح الذي لا ينصـرف قد انصرف هنا في موقف الإعجاز، وهذه الحُجَّة تسخر من صاحبها أكثر مما تسخر من نفسها، لا نزيدها على ذلك سخريةً.

وخطَّأناه في قوله: «أَخْلَدُ الخالدين فينا دَعِيٌّ»؛ لأنَّ التفضيل لا يتأتَّى إلا من فعل يقبـل التَّفاوت، والخلود لا تفاوت فيه، فردَّ على ذلك بقوله: «إنَّ الخلود هـو الدَّوام؛ فإذا أجاز التَّفـاوت في الدَّوام جاز التَّفاوت في الخلود، وقد جاء في الحديث الشَّريف: أحبُّ الأعمال إلى الله أدومُها وإنْ قلَّ»[1].

قال: «فما رأيُ صـاحبنا في كلام النَّبيِّ –عليه السـلام– أيخطِّئه كما خطَّأ النُّحاة جميعاً، وكما خطَّأ ابن قتيبة ليصل من ذلك إلى الحكم علينا بالخطأ في بعض الكلمات؟!»

قـال: «أتـراهُ يخرج من دينه لنخطئ نحن في كلمة أم يبقى فيه فيسـيء إلى لغة القرآن فوق ما أساء» انتهى كلامه بحروفه.

ونقـول نحن: لا حـول ولا قوة إلا بـالله، إنَّنا لم نكن نظنُّ أنَّ العقَّاد يُصـاب بهذا الخَبَل في القول من تأثير كلامنا فيه، مع أنَّنا أشـفقنا عليه كثيراً، ولم نسـتقصِ في بيان غلطه وسخافاته، وسنردُّ عليه الآن بمنتهى الرِّفق، حتى لا تذهب البقيَّة الباقية من هذا العقل الضَّعيف.

فاعلم يا بني أنَّ الحديث الشَّريف لم يقل أحب الأعمال أخلدها، ولو أرادها لاسـتعملها، ولكن من المحال يا بني أنْ تأتي هذه الكلمة بهذا الاسـتعمال في كلام أفصـح الخلـق صـلى الله عليه وسـلم؛ لأنَّ الدَّوام يا بنـي معناه طول الزَّمـن، وطول الزَّمن يا بني أمرٌ يتفاوت، فمن طول الزَّمن خمسـون سـنة، ومنه مائة سـنة، ومنه ألف إلى آخره، أمَّا الخلود فمعناه لغةً: دوام البقاء لا

(1) صـحيح: أخرجـه البخـاري في كتاب اللباس، باب الجلوس على الحصـير ونحـوه (5861)، وفي كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل (6464)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره (782).

الدَّوام فقط كما تقول يا بُني، أي هو دوامُ الدَّوام.

وإذا أردتَ دليــلاً على قدر فهمــك يا بُنيَّ فأقربُ الأمثلة أنَّك تقول: دام هذا العمل يوماً، ودام ســنةً، ودام دقيقةً، ودام ثانيةً، ولكنك لا تســتطيع أن تقول في مكانها: خلد دقيقة، وخلد يوماً، أفهمتَ الآن يا بُنيَّ؟! وهل خفَّف عنك ما صَبَبْتُهُ الآن على رأسك؟!

***

وهنا سعارٌ آخر ابتُلي به العقَّاد في نقدنا لقوله من الغزل الفلسفيِّ:

فـيـك مِــنِّــي ومـــن الـنَّــاس ومِــنْ

كـــلِّ مـــوجـــودٍ ومـــوعـــودٍ تـــؤامُ

قال المسكين: ويميناً إنِّي لزعيم أنْ يخرج من دينه حقداً عليَّ وعجزاً عن إصابتي بما يريد، فهأنذا أُذكِّر حامي لغة القرآن (مُتَشَكِّر)[1] بأنَّ القرآن يقــول: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾[2]؛ فما رأيُ رفيــق القُمَّل والنَّمل والخُنْفِسَاء في هذا الاستقصاء؟!

قال: «واحدةٌ من اثنين: إما أن تطلع من دينك، أو يكون العقَّاد على صــوابٍ، ولا أدري أيهما أهون عليك!».

نقــول: إنَّ الرِّفق هنا بالعقَّاد أشــدُّ وجوباً من الرِّفق فيمــا مرَّ؛ فاعلم يا بُنيَّ أنَّ قولك للحبيب: فيك مِنِّي.. فيك من كلِّ موجود.. فيك من كل شيءٍ؛ إنَّما هو كلامٌ توجَّهه إلى شخصٍ بعينه، وقد (حدَّثته)[3] الطَّبيعة في ذات نفسه، فهو لا يتسع لأنْ يكون فيه من كلِّ موجودٍ.

---

(1) هذا التعليق أقحمه الرافعيُّ في كلام العقَّاد على طريقته في السُّخرية والاستهزاء.

(2) سورة الأنعام: 38.

(3) غير واضح في الأصل.

واعلم يا بُنَيَّ أنَّ كلمة (كلِّ موجود) تتَّسع إلى آخر حدود الموجودات ممَّا تعلم وممَّا لا تعلم، ثم إنَّه يا بُنَيَّ يحسن بك وقد حفظت هذه الآية الكريمة ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أنْ تحفظ معها كذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[1]، وقوله تعالى ﴿إِنَّ ذَالِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَالِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾[3]، ونبرأها هنا معناها نخلقها، فكيف تكون قبل أنْ تُخلق - في القرآن.

ولأفسِّر لك يا بُنَيَّ قدر فهمك: إنَّ التفريط معناه التَّقصير، وهذا الفعل يتعدَّى بـ (في)، لكنَّه لا ينصب مفعولاً، وقد تعدَّى في الآية ولكنَّه أخذ مفعولاً وهو كلمة (شيء)؛ لأنَّ (مِنْ) هنا زائدة للاستغراق، فلابدَّ إذن أنْ يكون للتفريط معنىً آخر، والآية تدلُّ على أنَّ هذه الكلمة مضمَّنَةٌ معنى تركنا وأغفلنا؛ فالله تعالى يقول بذلك: ما أغفلنا في الكتاب شيئاً، أي شيئاً مما يجيء الكتاب له من أمور الدُّنيا والدِّين.

ومعلومٌ يا بُنَيَّ أنَّ الكتاب لن يأتي ليكون كتاباً في التاريخ الطبيعي فيذكر فيه ما ذكرتَ أنت من القُمَّل والنَّمل إلى آخره؛ وإنَّما جاء هدايةً وتربيةً وحكماً وديناً، وهو في كل ذلك لم يُغفل شيئاً. هذا إذا كان الكتاب بمعنى القرآن، ولك أنْ تقول إنَّه انطوى على كل شيء باعتباره مذكوراً فيه بجنسه أو مشاراً إليهنَّ، وعلى هذا التأويل فما دام الكتاب قد ذُكرت فيه السَّموات والأرض؛ ففي هاتين الكلمتين وحدهما يكون قد أُشير فيه إلى كلِّ ما في السَّموات والأرض، أي إلى كلِّ شيءٍ مما وجد ومما سيوجد إلى ما لا ينتهي.

---

(1) سورة الأنعام: 59.

(2) سورة الحج: 70.

(3) سورة الحديد: 23.

ولكنْ هل حبيبك يا بُنيَّ مذكورٌ عنه في شعرك الخنفسائي أنَّ فيه السَّموات والأرض؟! وهل هو حبيبك أنت أم فضاء آينشتين؟!

ولكنَّ الصحيح يا بنيَّ أنَّ الآية الكريمة تشير بالكتاب إلى علم الله الأزليّ المسمَّى باللَّوح المحفوظ، فكلُّ شيءٍ مثبتٌ فيه، وقد جفَّ القلم كما جاء في الحديث الشَّريف عما كان ويكون إلى يوم القيامة، فالمعنى أنَّ الأشياء كلها وسنن تدبيرها وقوانين وجودها – كل ذلك في كتاب، كقوله: ﴿من قَبْلِ أَن نّبْرَأَهَا﴾.

فلم نخرج من الدِّين والحمد لله، ولم يكن العقَّاد على صوابٍ، ولم يزد هذا الجاهل إلا أنْ أثبت جهله.

***

والقُبلة القُبلة، قُبلة العقَّاد التي يقول فيها:

هي كأسٌ من كؤوسِ الخالدين

لم يَشُبْها المزجُ من ماءٍ وطين

قال العقَّاد: «يا دم، أي تنزيه للقُبْلة أُنزه مِنْ أنْ تكون صفاء كصفاء الخالدين، ثم لا يشوبها كَدَرُ الإنسان المخلوق من الماء والطِّين؟!».

أمَّا (يا دَمُ) فنظنُّ هذه الكلمة مما يُسمِّيه العامَّةُ (الرَّدْح والتَّشْلِيق)، وما أخطأنا فيما أثبتناه من أنَّ طبع العقَّاد سوقيٌّ محضٌ، وأمَّا تفسيره القُبْلة بأنَّه يريدُ تنزيهها فلا يشوبها كَدَرٌ لإنسانٍ فهذه –ولا جرم– قُبلة لا تكون لإنسان البتة؛ بل تكون إمَّا لصورة ممثلة مطبوعة في مجلَّة، وإمَّا لصورةٍ وهميَّة مطبوعة في ذهن العقَّاد؛ فكلتا الصُّورتين لا يشوبها كَدَرُ الإنسانْ لأنَّها خيالٌ مرسومٌ أو موهومٌ.

على أنَّنا لو ترجمنا كلام العقَّاد إلى اللغة الكامنة في نفسه وراء هذا التَّفسير الذي جاء به لكانت عبارته هكذا: أنا العقَّاد، لستُ فاسدَ الذَّوق، ولستُ سخيفَ التَّعبير، ولستُ في هذا البيت شيئاً أكثر من لصٍّ، فإنَّني لم أزد على أنْ سرقتُ بيت إسماعيل باشا صبري، بقدر ما فهمتُ منه، وذلك قوله:

أنتِ روحانيَّةٌ لا تَدَّعي

أنَّ هذا الحُسْنَ من ماءٍ وطين[1]

ولكي نثبت للعقَّاد أنَّه جاهلٌ بالبلاغة من عيار 24 قيراطاً كما يقول الإنجليز نقول له: إنَّ صبري باشا أكبر حبيبته أنْ يكون حسنها قد خلق كما يخلق النَّاس، فرفعها درجة روحانيَّةً يدنو بها من الملائكة، وجعلها جملتها بعيدة عن أن تكون من عنصر الماء والطِّين، ولكنَّ العقَّاد جعل ذلك في القبلة وحدها، وترك إنسانها على ما هو فأخرج المُحَال من الممكن، وبذلك سقط الممكن والمحال معاً، ثم أفسد الكلام بعاميَّته، إذْ قال: «لم يَشُبْها المزجُ من ماء وطين»؛ بل العامَّة أرفع ذوقاً من هذا؛ لأنَّهم إذا ذكروا الطِّين لم يذكروه إلا في معرض السَّبِّ والتَّحقير كقولهم: «هِبَاب الطِّين»، و«طيِّنها سِي فلان».

والعجيب أنَّ العقَّاد يحتجُّ لذكر الطِّين في القُبلة بقوله: «لقد كان ملوك الفراعنة الأقدمين في أعلى ذروة التَّرَف والحضارة ينعمون وينظرون إلى أحسن المحاسن، ثم يأمرون بجيفة (يا لطيف!!) تُساق إليهم وهم غارقون في نضرة الحياة؛ فما قال أحدٌ إنَّ اتِّساع النَّفس لهذه النقائض والمقابلات من نقائض الأذواق».

---

(1) في ديوان إسماعيل صبري باشا الذي صحَّحه وشرحه ورتَّبه الأستاذ أحمد الزِّين «أنَّ هذا الحسْنَ من طِين وماءْ» ص 109، وهو من قصيدة همزيَّة أولها:

يا لواء الحُسْن أحزابُ الهوى × أيقظوا الفتنةَ في ظلِّ اللواءِ

قلنـا: وعلـى هـذا يكون العقّاد سـليم الـذَّوق جـداً في اختصـاره على ذكر الطِّـين في القُبْلـة، دون أن يذكر فيها الجيفة والنتن والصَّـديد.. وأين ذوق قدماء المصـريِّين من ذوقنا، والقوم إنَّما كانوا يريدون بمرور الجيفة بينهم وهم على تلك الحال من الخلاعة والفجور كسـرَ أنفسـهم، ليكفوا سَـوْرَتَها المجنونة، ويُذكِّروها في هذه الحيوانيَّة الثائرة بأصلها الروحانيِّ، ومصيرها في الدُّنيا؟! فإذا نحن قسـنا على ذلـك كان العقَّاد لم يذكر الطِّين في القُبلة إلا ليكسـر نفسه عنها، وإذن فلا صفاء خالدين ولا قُبْلة ولا تقبيل، وليس إلا التَّقليد الأعمى الذي طُبع عليه الرَّجل، وإلا السَّـرقة التي هي كل آدابه حتى في هذا المعنى الفاسد.

***

وقد ختم العقَّاد رده بنقل كلمات في تمجيد نفسه، قال إنَّه كتبها عنه الأديب التونسـيُّ (المدعو) محمد الحليوي، ونشـرها في صـحيفة الزَّمـان يردُّ بها علينا، وفيها يقول: «أمَّا العقَّاد فحسبك كيت وكيت، العقَّاد إنَّه –والله– كذا وكذا، العقَّاد والله والله والله».

ونحـن فمـا ننكر أنْ يكـون في تونس مثل هـذا الذَّيل للعقَّاد، مـا دام العقَّاد نفسه قد وجد في مصر، والسَّخف هو السَّخف، فليس في العقل أن تتنزَّه عنه تونـس، وإذا كانت مكَّة نفسـها قد أخرجت أبا جهـل أفيبعد أن تُخرج تونس مثل ذلك الجاهل جهل الأدب وجهل النفاق معاً؟!

ولكنَّـا سـنجيء العقَّاد على طريقتـه بأديبٍ وعالم من علمـاء الجزائر هو الأسـتاذ الفاضـل السَّـعيد الزَّاهري رئيس لجنة الأدب في الجمعية العلميَّة في مدينة وهران بالجزائر، فليسـمع العقَّاد ماذا يقـول هذا الأديب: «حجَّة العـرب وفخـر الإسـلام الأديب الإمام العلَّامة سـيدي مصـطفى صـادق

الرَّافعيُّ... ولا أكتمك كنتُ لا أكاد أُصدِّق أنَّ العلم نورٌ يقذفه الله في قلب من يشاء، ولا أنَّه موهوبٌ يختصُّ الله به من يجتبيهم من عباده إلا بعد أنْ قرأتُ (أوراق الورد) وغيره من كتبكم التي هي منتهى ما يمكن أنْ ينتجه أعظم عقل بشريٍّ أو فكر إنسانيٍّ. وستجتمعُ جمعية العلماء المسلمين بصفة جمعيَّة عموميَّة، وسأُلقي عليهم خطاباً في الاتجاه الذي يجب أنْ يتَّجه إليه الأديب في هذه البلاد، وأعلن أنَّه يجب أنْ يكون نفس اتجاه الأستاذ الإمام مصطفى صادق الرَّافعيِّ، وما أحسب أنَّ أحداً منهم يُخالفني في الاعتراف بأنَّك أنت الأديب الإمام؛ فكلُّهم على رأيي فيك لحسن الحظِّ».

ولو شئنا لنقلنا للعقَّاد من مثل هذا ما يُذهله؛ ولكنَّنا نُشفِقُ على مَرَارَته أنْ تنشقَّ، ونرحمه من سعار يصيبه فيخرجه من طوره الإنسانيِّ، وهو يعلم أنَّنا لو شئنا لتقاذفناه قذف الكُرَةِ؛ ولكنَّ المسكين ليس له من الصَّبر على المناظرة ولا صبر الكرة؛ فلا يكاد يمسُّ (انتفاخه) إلا انفجر، ولا أزيده علماً بنفسه فهو بنفسه أعلم.

وقد كانت آخر كلماته قوله: «وسيزداد النَّاس علماً به وبي كلما ازداد»، ولستُ أردُّ على هذه الكلمة إلا بأنْ أتمنَّى أنْ يُحقِّقها الله فيزداد النَّاس علماً به وبي.

ردُّ العقَّاد الأخيرُ

فِرَارُ الثَّورِ الجَبَّارِ، وتكملةُ المَثَل [1]

كتب العقَّاد اليوم (يريد الثُّلاثاء الماضـي) [2] في (الجهاد) ردَّه الأخير وهو أنفاسٌ متهافتةٌ جاءت كأنفاسِ المحتضـر يتخلَّع قلبه في كلِّ نفس عنها خَفْقَةً بعـد خَفْقَة، وتتبعثر فيها بقايا روحه زَفْرَةً بعد زَفْرَة، ويموت من ورائها دمُهُ شيئاً فشيئاً، وقد أفزعه مما هو مُقبلٌ عليه أنَّه وقع فيه ولا يَدريه، وأَمَضَّه [3] مما هو مُدبرٌ عنه أنَّه كان فيه ولا يملكه، فهو بين الهول والخوف وقد أعجله ما لا يتماسك به، وبين الفزع والنَّدامة وقد انتزعه ما لا يتلبَّث فيه.

ولو كان هذا المحموم يغلي رأسـه على درجة 41 سـنتغراد، ورأى في هذيانه أنَّه يكتب فصلاً في جريدة يجادل فيه ويُناظر؛ أعني يسبُّ ويلعن، ويستنبط الحُجَّة ويبتدع الدَّليل؛ أي يُسفسف ويُشعوذ لَمَا كان أسخف كلاماً، ولا أضعف رأيـاً، ولا أقبـح ثرثرةً، ممَّا هـو في كلمته اليوم حين كتبهـا وعقله يغلي على درجة 99 حُمَّقغراد.

وقد عَرَفَ القرّاءُ مَثَل الثَّور الجبَّار الذي حسـبه الضُّـعفاء يقذف بالصَّاعقة ويخور بالرَّعد، ويمشي بالجبال، ويُطوِّح الفلك في ذيله، وكيف طار على وجهه حين سـمع بالجزَّار والسِّـكِّين، وقلتُ: إنَّ في نسـختي تمزيقاً ضاعت فيه بقية المَثَل، ولكنِّي أصبتُ اليوم ما تمزّق من الورقة، فكان حتماً عليَّ أنْ أُتحف قُرَّاء (البلاغ) بتكملة القصَّة:

قالوا: ثم أمعن الثَّور في فراره، وأفلتَ على وجهه لا يلوي على شـيءٍ؛ فصوَّت

---

(1) البلاغ، 23 ذو القعدة، 1351 هـ = 19 مارس 1933م.

(2) هذه العبارة مضافة من قِبَل محرِّر الجريدة، ويبدو أنَّ الرافعيَّ كتب المقالة في ذات اليوم الذي كتب فيه العقَّاد مقالته المشار إليها.

(3) آلمه وأتعبه.

بـه دمنـة: وا ثـوراه، وا خيبتاه؛ فقـال الثَّور في نفسـه: إنْ أنا نجوتُ كاسـياً بجلـدي، سـليماً حافري كأديم كلِّ بهيمة وحافرها، فمـا أبالي أنْ أكون ثوراً جسـداً له خُوار، وليقولوا من بعد: إنَّ قرنيه قَرْنَا جرادة، ورأسه رأس قُنْفُذ، وعنقه عنق سـلحفاة، وأظلافه أظلاف تَيْس، وذيله زَنَمَـةُ[1] عَنْز، وليبلغوا من السُّـخرية بي حاجتهـم، وليُنزلوني في الحشـوة من هـذه البهائم، وفي الطَّغَـام[2] من هذه الحشـوة، وفي الهالكـة المهزولة من هـذه الطَّغَام، فإنَّ ثوراً والعُشْبَ والرَّتَعَة[3] خيرٌ من جبَّار الأرض وجزَّار وسكِّين، وقد –والله– كادت لفظـة (السِّـكِّين) تذبحني، أمّـا (المدعو).. قالوا: وأبصـر ظلَّه عند هذه الكلمة فحسـبه الجـزَّار؛ فارتمى يفحص الأرض برجلـه، ويلوي عنقه كأنَّـه يزويه عن السِّـكِّين، ثم لم يجـد ذبحاً ولا ذابحاً، فتناهض مسـتثقلاً، وكأنَّ الأرض تجاذبه إليها مما يجد من تفكُّك أعضائه وتخاذل قوَّته، كأنَّما هَدَمَت أعاليه أسافله، وكان دمنة قد انطلق وراءه فأدركه في صرعته، قالوا: ونظـر الثَّور، فـإذا دمنة وحده ليس وراءه شـرٌّ، وأدار عينه وقلَّبها في جهات الأرض ورمى بها إلى السَّـماء فلم ير بأسـاً؛ فقال: «أيها المنكوب المطموس» كأنِّي بك –والله– قد ارتبتَ فيَّ أو دخلك الشَّكُّ من قِبَلي أو حدست عليَّ من ظنِّك؛ فقلت في نفسـك الخبيثة: إنَّه ثورٌ من الثِّيران، ونسـيتَ –ويحَكَ– أنِّي جبَّارُها ما أصيح الصَّيحة إلا انخلعت قلوبٌ وانتهكت قلوبٌ، وانشقت مَرَائِر وذابـت مَرَائِر[4]، «يا هذا، عندي ما يَشْـغَلُني»؛ فإنِّي ما أسـرعتُ في وجهي هـذا إلا لأنَّ جبالاً طاغيةً كفرت بالله فسـلَّطني الله عليها لأنطحَها فأُزيلها من الأرض.

---

(1) زائدتان تتدلَّيان تحت حَلْق العَنْزة.

(2) الرَّديء من كلِّ شيء.

(3) الخصب والمَرْعَى.

(4) جمع مَرَارَة.

قالوا: ويصيح دمنة ويلك المدعو (الجزَّار)، فإذا الثَّور قد زاغت عيناه، فما يبصر أنَّه مبصرٌ، وإذا الكلمة كأنَّها قَدَمُ شيطانٍ ماردٍ تدلَّت من وراء الأفق فركلته فما بينه وبينها إلا أنْ صار في الأفق الآخر.

قال كليلة وهو يضحك كما ضحك في أوَّل المَثَل: وسيعود الثَّور من بعد فيقذف بالصَّاعقة، ويمشي بالجبال الأربعة، ويحمل الفلك في ذيله، ويقعقع بالرَّعد من حلقه، فما من غير حكمةٍ لله كان له رأس ثورٍ.

أما بعد، فقد سبَّنا العقَّاد أفحش السَّبِّ في كلمته التي ظهرت بها جريدته اليوم كخرقةِ المطبخ.

وما ندري -والله- كيف يفهم هذا الرجل؟! ولا كيف يعتبر النَّاس الذين يقرأونه؟!، ولا ما هي فلسفته في السَّبِّ والشَّتم؟! وهل هذا جهلٌ منه أمْ تعاقلٌ؟! وهل هو تطاولٌ أم تظارفٌ؟! وهل تلك قدرةٌ أم عجزٌ؟! ومتى كان السَّبُّ يحتج له في غلطِه وسخافاته؟! وعند من يُدافع عنه الشَّتم وسوء الأدب؟! ومتى كان في علم النَّحو أنَّ (المنكوب المطموس) يُجيز رفع المجزوم؟! ومتى كان في العروض أنَّ (العاميَّ من فَرْعِه إلى قدمه) تصلح مسوِّغاً للوزن المختَّل الذي لا ينفع فيه لا جبَّار ذهنٍ ولا (جُبيبير). ومن ذا الذي يحسب أنَّ (البغيض الذي لو خرج من العاميَّة لحظةً واحدةً) تقوم عذراً في اللغة لجهل عبَّاس محمود العقَّاد؟ ثمَّ إذا كان العقَّاد شاعراً لصّاً فاسد الذَّوق متخلِّف الذِّهن عاميَّ الأسلوب كما عرفه الأدباء جميعاً، فهل يخرج له من تلك العبارات السبَّابة محام شرعيٌّ ومحام أهليٌّ، ومحام في المختلط؛ فيجتمعوا فيبحثوا فيأتمروا فيُدافعوا عنه بكُتب الفقه وكتبِ القانون والمعاهدات السياسيَّة للدُّول العظمى؟!

لقد درسنا سبَّ هذا العقَّاد في ردِّه الأول وردِّه الأخير؛ فما خرج لنا من ذلك إلا أنَّه جِلْفٌ مدخولُ الطبيعة، كان قد وقعت فيه معجزة غريبة؛ فوضع الله في جسمه طبيعة أسوان من قدمه إلى عنقه، ثم وضع في وجهه طبيعة القطب الشمالي؛ فالرجل فاسدُ الحسِّ ويحسب ذلك عمقاً في الإحساس يتَّسع به لنقائض الدُّنيا من الجمال إلى الجيف إلى المراحيض، ويتسع حبيبة (لكلِّ موجودٍ موعودٍ تؤام).

وما دام إحساسه بهذا العمق فكلُّ شيءٍ كأنَّه جزءٌ منه، وإذا كان كلُّ شيءٍ جزءاً منه فالقُبح والفساد من بعض ما فيه، وما دامَ له هذا القُبْح وهذا الفساد؛ فلا قبح في غلطه ولا فساد في ذوقه، ولا يُعاب ما هو طبيعيٌّ لأنَّه طبيعيٌّ.

ولكن يا هذا قد تقرَّر في فلسفة الفنِّ أنَّه إنْ كان ذوق الشَّاعر ذوقه وحده، وألفاظه لفهمه وحده، وطريقته لطبعه وحده، كان الشَّاعر شاعر نفسه وحدها، وبمعنى آخر لم يكن له شعرٌ ولا فنٌّ.

وماذا تقول في شاعر يُصوِّر حبيبته الجميلة الفاتنة إحدى عينيها الشَّمس والأخرى القمر، وأنفها سلسلة جبال، وثغرها وادٍ عميقٌ، وقوامها سكَّة حديد (وفيها من كلِّ موجود وموعودٍ تؤام)، ثم يذهب يسمِّي هذا (غزلٌ فلسفيٌّ)؟! أفي شفاعة (فلسفيٍّ) يدخل فساد الذَّوق والخلط، والغثاثة وسقم الخيال وقبح التَّعبير؟ وهل تصلح (فلسفيٌّ) غطاءً كغطاء السَّماء على كل ما تحتها؟ وهل يجيء من (فلسفيٍّ) جيش الدِّفاع يقتل النَّحو واللغة والعَرُوض والبلاغة إذا هاجمتها بالنَّقد؟!

***

نقول: ولمَّا كان ذوق العقَّاد بهذا المَحَق، وكانت طبيعته تلفُّ ما بين أسوان والقطب الشَّمالي، وكان أثر ذلك في شعره ما رأيت، فلا جرم كان لذلك أثر

في تهكُّمه؛ فإنَّ التهكُّم شعرُ الذَّوق الدَّقيق للشَّاعر إذا هو أراد أنْ يؤلم نفساً، ويُرسل لها كلمات في الدَّم.

فيريد العقَّاد أنْ يتهكَّم كما يصنع كبار الأدباء وفحول أهل البيان، فإذا هو قد طمَّ عليه ذوقه الفاسد، ونزعته عاميته الغليظة، فلا يكون تهكُّمه إلا سبّاً محضاً، وقذفاً صُراحاً وعاميَّة متسفِّلة، فإنَّنا لَنَعْرِفُ للعامَّة من ذوق التَّهَكُّم والتَّنادر ما يجيء فيه العقَّاد متخلِّفاً وراء أثقل وأبرد عاميٍّ.

ومكابرة العقَّاد ومباهاته وفخره وبطره وكبرياؤه على ما فيه من الضَّعف والقلَّة والذِّلة – كل ذلك من الأدلَّة القاطعة على ذهنٍ مختلٍ قد انفرد بنفسه في اختلاله انفراد ذوقِ صاحبه في اعوجاجه، ولا يكون القانون لمثل هذا الذِّهن إلا خطأه وغروره، فإذا أخطأ عند النَّاس لم يخطئ عند نفسه، وليس في القوَّة ما يحمله على الإقرار بالخطأ؛ لأنَّه إنَّما يهتدي بطبيعته الزَّائفة، ويعمل بما فيه من انقلاب التَّركيب، واللاعقليَّة هي عقل المجنون، ومن نقص العقل أنواعٌ كثيرةٌ تنطوي كلُّها تحت اللاعقليَّة صاعدةً ونازلةً.

فإذا أنت كنت ناقداً، وأردت أنْ تلائم بين الحقيقة قائمة في نفسها- وبينها مضطربةً أو مشوهةً أو ممسوخةً في هذا العقل، فلست ههنا النَّاقد ولا الباحث ولا النَّاصح، وإنَّما أنت فاضحٌ وأنت متهجِّم وأنت متهوِّر، فإنْ لم تكن أولئك أو بعضهم فأنت حاسدٌ أو مغيظٌ أو (منكوبٌ مطموسٌ) لأنَّك في إرادتك أنْ تذهب بالاختلال الذي تنقده تُحدث اختلالاً لا يعقله هذا العقل، ولو عقل ما هو فاسد لَرَأى أنَّ إصلاحه هو إفساده، ومِن ثَمَّ فليس لك من صاحب هذا العقل في ردِّه عليك إلا السَّبُّ والقذفُ كما يفعل العقَّاد دائماً.

ولعمري كيف يفلح مثل هذا الطَّائش كاتباً سياسيّاً والسِّياسة علم الحذر والدِّقة والميزان والتهكُّم والأساليب البيانيَّة التي تدور في دائرةٍ مفرغةٍ أولها حيث

شئت وآخرها حيث شئت؟ ولا يكفي في الدلالة على غباوة العقَّاد السِّياسيَّة بعد غباوته الأدبيَّة أنَّ كلمةً من كلماته الحمقاء ألقتْ به في السِّجن تسعة أشهر.

***

لقد كنَّا على ثقة أنَّ العقَّاد الجبَّار سينهزم عنَّا أقبح هزيمة، وأنْ ليست له إلا جولة ثم يصرع؛ فإنَّه هو يعرف في ذات نفسه أنَّه لا يملك معنا ما يملكه مع غيرنا، وهذا سببٌ آخر في شتمه إيَّانا؛ لأنَّ صيحةَ مَنْ تأخذه من حلقه لا تجيء كصيحةِ من أخذته من يده أو رجله، وما عندنا يُدَجِّل العقَّاد، ولا علينا يُشَعْوِذ، ولا معنا يستطيع المستطاع.

(وقد أعلنها)[1] في آخر ردِّه اليوم بقوله: «عندي ما يشغلُني؛ اذهب إلى عالم الأشباح الذي ألقيتُ بك فيه منذ سنواتٍ، لن تظفر منَّا بعد هذا اليوم بجوابٍ».

ونحن لا نقرأ الكلام كما يقرأه النَّاس عادةً؛ بل نُترجمه بما وراءه من أثر النَّفس وانفعالها وأحوالها وطبيعتها؛ فإنَّ النَّقد عندنا إنَّما هو كشفُ روح الكاتب أو الشَّاعر ثائرة ومطمئنة ومزخرفة ومطموسة وسامية ومنحطَّة، فإذا ترجمنا كلام العقَّاد هذا من قاموس نفسه عندنا؛ كان هكذا:

«عندي ما يشغلني»!

وترجمتُها: ليس عندي ما أردُّ به!

«اذهب إلى عالم الأشباح الذي ألقيتُ بك فيه منذ سنوات!»

وترجمتُها: دعني الآن من فضلك كما تركتَني مدة سنوات مضت.

«لن تظفر منَّا بعد اليوم بجوابٍ»

وترجمتُها: هأنذا أعلنتُ هزيمتي.

---

(1) غير واضحةٍ في الأصل.

يبـدأ العقَّـاد ردَّه الأخير هكذا: «فلانٌ رجلٌ عاميٌّ من فرعه إلى قدمه، يظنُّ كما يظنُّ كلُّ عاميٍّ أنَّ المناقشة هي أنْ يغلب».

أليس هذا صـريحاً في أنَّ أوَّل كلمة نطقت بها نفس العقَّاد في ردِّه أنَّه شـاعرٌ ملءُ نفسه، بأنَّه مغلوبٌ لا يطيق محاماةً ولا دفعاً، ويريد أنْ يهرب من شعوره فيقلبه في هذه الكلمات حاسباً أنَّ شعوره سيهرب عنه في الألفاظ؟! ولكن ما هو البُرهان على عاميتي أنا العاميُّ الذي لا يخرج من العاميَّة لحظة واحدة كما يقول الرَّجل؟!

أَمِـنَ البراهـين عند العقَّاد قول ذلـك الذي هو أذكى وأبلغ رجل في الشَّـرق وهو المغفور له سعد زغلول في وصف بيان مصطفى صادق الرَّافعيِّ في كتابه إعجـاز القـرآن: «كأنَّه تنزيلٌ من التَّنزيلِ أو قبسٌ مـن نور الذِّكر الحكيم»؟!

أمِنَ تلك البراهين قول صـاحبنا الأديب العظيم الأمير شـكيب أرسـلان في رسالة حديثة له، وقد أراد أنْ ينقل فصلاً من كتابنا (إعجاز القرآن) فقال: «ولقد رأينا أجمع ما كتب في هذا المقام كلام الأستاذ مفخرة العرب، وحُجَّة الأواخر على الأوائل في علوِّ طبقة الإنشاء، ووفرة الأدب».

أمْ مِن البراهين على هذه العاميَّة أن يُهدي إلينا شـاعرُ الشَّرقِ أحمد شوقي بك ديوانه فيكتب عليه هذه العبارة: «إلى الأخ العبقريِّ الكريم».

أمْ من تلك البراهين أنْ يُهدي إلينا شـاعر مصـر حافظ بك إبراهيم كتابه (البؤساء) فيطرزه بهذه العبارة: «إلى رأس الكُتَّاب وإمام الشُّعراء».

أمْ مـن براهين العقَّاد عند العقَّاد قول العقَّاد نفسـه وقد كتب عنَّا قديماً في (المؤيَّـد) وهو ينقد كتـاب (إعجاز القـرآن) «وقد اتّفقَـتْ للرافعيِّ في هذا الكتـاب جُملٌ وعباراتٌ لم يتَّفق مثلها للعرب منذ أن تكلَّموا أو خطبوا إلى أنْ ألَّفوا وكتبوا».

معذرة أيها القراء؛ فإنَّ الخجل لا يُوضع على وجه من لا يخجل كهذا العقَّاد، وليس للخجل دواءٌ يستعمل (من الظَّاهر)، وأنا أعرف الكلام الذي يتحوَّل في دم العقَّاد إلى سُمٍّ يشتغل في روحه اشتعالاً، وما قرَّظني سعد باشا -رحمه الله- بكلمته السَّماوية التي لا يعدوها أبلغ ما في الحقيقة، ولا أبلغ ما في المبالغة؛ بل قرَّظني وقتل العقَّاد بداء الحقد في وقتٍ معاً.

ولقد حدَّثتُكم أيها القرَّاء أنَّ هذا العقَّاد، قال لي مرة في مجلس رئيس تحرير مجلة شهريَّة أنَّه أبلغ من سعد باشا وأذكى من سعد باشا حين لم يجد له مخرجاً من كلمة سعد إلا بهذا الادِّعاء السَّاقط، وأنِّي أشهدتُ على كلمته هذه صاحبنا رئيس التَّحرير. لو أنا حدثتكم في ذلك، واقتصصت القصَّة على نسقها لأدركتم أيَّ معتوهٍ هو؛ بل أيَّ أحمق، ولعرفتم أنَّ عندنا في مصر جبَّارُ ذهنٍ أي مخبولاً كـ«نيرون» الذي صاح وهو يسوق نفسه على فراش الموت: أيُّ فنَّانٍ سيهلكُ بهلاكي؟!

وكلمتي الأخيرة للعقَّاد: أنِّي أُقسم له أنَّه أضحكني اليوم بكتابته ضحكاً لم يتفق لي مثله من قبل إلا في النّدرة؛ حتى لحسبتُ أنَّ الرَّجل يريد أنْ يقتلني ضحكاً، إذ كنتُ أقرأ كلاماً لا يكتبه إلا مغمىً عليه نصفَ إغماءٍ.

فلا يسعني إلا أنْ أشكر للكاتب فصله الهَزْلِيَّ البديع الذي جاءت فيه كلماته لابسةً بنطلون شارلي شابلن وحذاءه وقبَّعته، وفيها نَفَسُ العَقَّاد جبَّار الذِّهن تُمثِّلُ وتُضحك وتقوم وتقع.

***

خطأٌ في إصلاحِ خطأٍ: حولَ نشأةِ فَنِّ المَقَامَاتِ [1]

كتب الأستاذ زكي مبارك في مقتطف شهر مارس فصلاً سمَّاه: «إصلاح خطأ مـرَّت عليه قرون!! » واسـتهلَّه بقوله: «المعروف في جميع الدَّوائـر الأدبيَّة أنَّ بديع الزَّمان الهمذانيَّ هو أوَّل من أنشأ (كذا وهو يريد أبدع) فنَّ المقامات » ، ثـمَّ قال: « وفي رأيي أنَّ الحريريَّ هو الـذي أذاع هذا الغلط ثمَّ آمن النَّاس بقولـه»، ثمَّ قال: « وقد وصلتُ أخيراً إلى أنَّ بديع الزَّمـان ليس مبتكراً فنَّ المقامات؛ وإنَّما ابتكره ابن دريد المُتوفَّى سنة 321».

ثم سـاق النَّصَّ من قول صـاحب كتـاب (زهر الآداب) وهـذه عبارته: «ولما رأى أبا بكر محمد ابن الحسـن بن دريد الأزديَّ أغرب بأربعين حديثاً وذكر أنَّه استنبطها من ينابيع صدره، واستنخبها (كذا والصواب انتخبها) من معادن فكره، وأبداها للأبصـار والبصـائر، وأهداها للأفكار والضَّـمائر، في معارض عجميَّة[2] (كذا والصَّـواب عنجهيَّة)، وألفاظ حُوشيَّة عارضها بأربعمائة مقامة .. إلخ».

قال الكاتب: «وقد دهش (المسيو مارسيه) حين عرضـتُ عليه هذا النَّصَّ في باريـس، وعجـب كيف اتفق مع هذا علـى أنَّ بديع الزَّمان هو مُنشـئُ فنِّ المقامـات، إلى أنْ قـال: وأذكـر أنَّ أسـتاذنا الدُّكتور طه حسـين دهش حين أطلعته على ما أوصلتُهُ إليه.. إلخ»!

(1) المقتطف، مج 76، 2 ذو الحجة 1348 هـ = 1 مايو 1930م، ص 588-590.

(2) لا يقـال معارض عجمية في كلام مثـل ابن دريد الذي كان إمام اللغة في وقتـه وكانت تُقرأ عليه دواوين العرب فيُسابق إلى إتمامها من حفظه. وفي طبعة (زهر الآداب) التي يُباهي الأستاذ المبارك بتصحيحها غلطاتٌ فظيعةٌ وهي أولى

فالكاتب كما ترى ملك (من)[1] هذا النَّص عنصر الدَّهشة، وكذلك دهشتُ أنا؛ ولكن لا من النَّصِّ؛ بل من أنَّ قوماً يُدرِّسون للنَّاس تاريخ الأدب وهم إلى اليوم يجهلون عبارة منشورة في كتاب طُبع مراراً مع (العقد الفريد)، وطُبع نصفه وفيه هذا النَّصُّ على حدة.

إنَّ هذا النَّصَّ أورده العلَّامة الكبير الشَّيخ حمزة فتح الله في محاضرته التي ألقاها في مدرسة دار العلوم منذ أربعين سنة، وكلُّ تلاميذه يعرفونه، وقد ذكرتُه أنا في مقالةٍ نشرتُها من نحو عشرين سنة، وقد نقله الشَّريشيُّ في شرحه على مقاماتِ الحريريِّ، وطُبع هذا الشرح من نحو خمسين سنة وأُعيد طبعه، فما أدري بعد كل هذا ما هي «جميع الدوائر الأدبيَّة» التي أشار الكاتب إليها إذا كان قُرَّاء تلك الكتب قد اطَّلعوا فيها على ذلك النَّصِّ وعرفوه؟! ما أشبه الأمر بمن يصل أخيراً إلى اكتشاف قارة أمريكا في كتابٍ من كتب الجغرافيا!

إنَّ البحث يجب أنْ يكون في الأصل الذي نقل عنهُ صاحب (زهر الآداب) إذْ لم يذكر هذا الخبر أحدٌ غيره، وقد كان في آخر عهد بديع الزَّمان وكان ينقل في كتابه من الكتب وهو من القيروان وليست له روايةٌ ولم يرحل إلى العراق، فمن أين وقع له ذلك الخبر وهو لو كان صحيحاً لذكره الثَّعالبيُّ في اليتيمة أو في غيره من كتبه، ولاستفاض في كلِّ كتب التَّراجم؟!

ولم يذكر أحدٌ في أخبار ابن دريد أنَّ له مقامات أو أحاديث، وكتبه محصورةٌ معروفةٌ، وقد وُلد البديع بعد وفاته بنحو ثلاثين سنة، ولا تكون المعارضة عادةً إلا للمشهور المتداول.

---

(1) ساقط من الأصل.

والأحاديث الموضوعة على الإعراب كثيرةٌ لم ينفرد بها ابن دريد وأشهر وُضّاعها ابن الكلبيِّ، وابن دريد ينتهي إليه في أكثر ما يرويه.

والذي يظهر لنا أنَّ صاحب (زهر الآداب) سمع الخبر من بعض مَنْ رحلوا إلى العراق ونقلوا عن علمائه دسَّه هذا كأنَّه مما انفرد بعلمه فرواه ذاك بلا تحقيقٍ، وهذا كان شائعاً في الأندلس والمغرب؛ فكلٌّ مَنْ رحل إلى العراق طلبوا عنده ما ليس عند غيره فإنْ كان في عُقْدَته وَهْنٌ أنفق من كيس لا ينتهي ما فيه، وقد أشرنا في ذلك في باب الرِّواية من (تاريخ آداب العرب).[1]

وكيف يعارض البديع أربعين حديثاً بأربعمائة مقامة شرَّقت وغرَّبت ثمَّ لا يستفيض ذكر هذه المعارضة في كتب المشرق، ولا تراه منقولاً إلا عن رجلٍ من أهل القيروان لا رحلة له ولا سند ولا رواية؛ وإنَّما يستطرف من كلِّ كتابٍ ومن كلِّ خبر؟!

ولقد نقل الشَّرِيشي أنَّ البديع كان يقول لأصحابه في آخر مجلسه: اقترحوا غرضاً نبني عليه مقامة؛ فيقترحون ما شاءوا فيُملي عليهم المقامة ارتجالاً في الغرض الذي اقترحوه، قال: وفيها مقاماتٌ لا تبلغ عشرة أسطارٍ، قلنا: وهذا هو السَّبب في أنَّه لم ينته إلينا من المقامات إلا ثُمُنُها؛ فيكون الباقي ممَّا أهملوه إذْ كان أشبه بالعبث من القول، ولا يجري إلا مجرى النَّادرة والحديث دون الصَّنعة والكتابة.

ثم يقول الأستاذ مبارك: إنَّ الدُّكتور طه حسين قال له: ارجع إلى كتاب (الأمالي) وانظر الأحاديث التي نقلها عن الأعراب؛ فإنْ رأيته يروي عن ابن دريد فاعلم إذاً أنَّ الأربعين حديثاً التي ذكر صاحب (زهر الآداب) أنَّه اخترعها لم تكن شيئاً آخر غير هذه القصص التي حلّى بها القاليُّ كتابه،

(1) انظر تاريخ آداب العربية 232/1.

قـال: فلمَّا رجعتُ إلى كتـاب القاليِّ وجدتُّ حقّاً أنَّ القصـص التي احتواها مرويَّة عن ابن دريد..إلخ.

إذا كان ابـن دريد شـيخ القاليِّ، وكانت رواية القـاليِّ عنه؛ فهل يكون كلُّ ما يرويه عنه إلا مسنداً إليه؟!

وهـل نسـيتَ أنَّ الرِّوايـة علمٌ دقيـقٌ له آدابٌ وشـروطٌ، وأنَّ صـاحب (زهر الآداب) يقول في أحاديث ابن دريد أنَّه اسـتنبطها من ينابيع صـدره؛ يعني ألَّفها فهي من وضعه وليست من روايته، وأنَّه إذا كان كذلك لم يبق وجه لأن يُدخلها القاليُّ في كتابه ويلبس بها على النَّاس، ويزعمها مرويةً بالسَّـند عن ابن دريد إلى الأصـمعيِّ أو ابن الكلبيِّ، ولـو فعل لكان كذاباً وبطلت الثِّقة به وبكتابه.

هذا مضـحكٌ، وإذا جاز أنْ يقوله مَنْ لا يعرف شـروط الرِّواية فلا يجوز أنْ يقـع فيه من يروي بشـروطها وآدابها كالقاليِّ، وأنت تـرى القاليَّ في أماليه يروي من شعر ابن دريد وينسبه إليه؛ فما الذي يمنعه أن يفعل مثل ذلك في أحاديثه التي ألَّفها «من ينابيع صدره ومعادن فكره»؟!

لا شـكَّ عندي أنَّ البديع قلَّد غيره في صـنعة المقامات، وهذه كانت طريقته، فإنْ أصـاب جُملـةً جعلها جُمَـلاً، وإنْ رأى خـبراً بنى عليه أخبـاراً، وكانت صـنعته الكتابة ويريـد أنْ يُملي منها كما يُملي الـرُّواة، وقد وقفتُ على خبر مصنوع كُتب قبل البديع بنحو مائة سنة، ولو حُذف اسم صاحبه منه لما شكَّ أحدٌ أنَّه من كتابة البديع في مقاماته؛ إذْ النَّسق هو هو والطَّريقةُ واحدةٌ.

ولا يمكـن أنْ يُبنى على هذا الفصـل مقالٌ في تحقيق هـذا التَّقليد إلا ببحث بيانيٍّ مُسْـهِبٍ في الموازنة بين كلامٍ وكلامٍ، وطريقـةٍ وطريقةٍ، ولا أملكُ الآنَ وقتاً لهذا البحث.

حولَ نشأةِ فَنِّ المَقامَاتِ[1]

لم أكتب في هذا المعنى شيئاً أكثر من أنَّ ما زعمه الدُّكتور زكي مبارك اكتشافاً كان أمراً مكشوفاً يعرفه هذا وذاك؛ لأنَّ كتاب (زهر الآداب) مطبوعٌ مقروءٌ، ولأنَّ العبارة التي قال الدكتور إنَّه وصل إليها أخيراً في هذا الكتاب يجدها في شرح الشَّريشيِّ على مقامات الحريريِّ، وهو شرحٌ معروفٌ طُبع مراراً، ومعنى ذلك أنَّه قُرِئَ مراراً.

ثم قلتُ إنَّ ما خلط به الدُّكتور في الكلام عن أحاديث ابن دريد نقلاً عن أستاذه الدكتور طه حسين كلامٌ مضحكٌ، غير أنَّ حضرته على ما يظهر لي لم يُرضه أنْ يرجع بعد البعير بخُفي «المِسْيُو حُنين»؛ فجاء يقول في ردِّه أنَّ كلمتي دون ما كان يظنُّ من العمق.

نشدتك الله أيُّها الفاضل ما حاجتنا إلى العمق والإقيانوس والباخرة ونحن بصدد اكتشاف أميركا في كتاب جغرافيا؟!

أفاهمٌ أنت ما تكتبه بقلمك يا حضرة الدُّكتور حين تقول في ردِّك: الرَّافعيُّ يسأل كيف عارض بديع الزمان ابن دريد ثمَّ لا يستفيض ذكر هذه المعارضة في كتب المشرق ولا نراه منقولاً إلا عن رجلٍ من أهل القيروان، ومع أنَّه يسأل هذا السُّؤال فإنَّه يذكر أنَّ الشَّريشيَّ نقل هذا النَّصَّ في شرحه على مقامات الحريريِّ، ألا يكفي أنْ يُذكر هذا النَّصُّ في ثلاثة مصادر: (زهر الآداب) و(شرح الشَّرِيشيِّ)، و(معجم ياقوت)؟!

ألا ليت شعري إذا كان النَّصُّ قد ذكره صاحب زهر الآداب، ثمَّ نقله ياقوت، ونقله عنه الشَّرِيشيُّ؛ فهل نحن إلا حيث كُنَّا من أنَّ هذا النَّصَّ قد انفرد به

(1) المقتطف، المجلَّد 77، ج2، 5 صفر 1349 هـ = 1 يوليو 1930م، ص 211، راجع رسائله إلى أبي ريَّة التي تحدَّث فيها عن زكي مبارك، رسائل الرَّافعيِّ، ص 172، 182.

صاحب زهر الآداب ولم نره (منقولاً) إلا عن رجلٍ من أهل (القيروان)؟!

لا ريب أنَّ في رأس الدُّكتور وَهْماً يمدُّ له في مزاعمه الخياليَّة، فهو يظنُّ أنَّ «جميع الدَّوائر الأدبيَّة» تقرّر أنَّ بديع الزمان أوَّل من ابتكر فنَّ المقامات ومن هذا الظنِّ يظنُّ أنَّه اكتشف؛ ولكن في أي كتاب من كتب «جميع الدَّوائر الأدبيَّة» وجد النَّصَّ على أنَّ بديع الزَّمان أوَّل من ابتكر هذا الفنَّ؟!

سيبحث الدكتور في كتب المدارس الثانويَّة، وفي كتب الأدباء قديماً وحديثاً؛ فيعرف أنَّه كان وهْماً في هذا الزَّعم، وحينئذ لا أردُّ أنا عليه؛ بل يردُّ زكي مبارك على زكي مبارك.

ويطمع الأديب الفاضل في آخر ردِّه أنْ أُسجِّل «أنَّه أول من اهتدى إلى الصَّواب في نشأة فنِّ المقامات»؛ وبودِّي -والله- أنْ يكون اهتدى، فضلاً عن أنْ يكون أوَّل مَنْ اهْتدَى.

الأدبُ والأديبُ(١)

كتب الأستاذ الفاضل (كِلْدَة)[2] في المقتطف عن لفظي الأديب والأدب، ثمَّ أفتى فتوى مالك في اشتقاقهما ومن أين خرجا وكيف أُقْحمتا على ألسنة العرب، وأومأ إلى أنَّه انفرد بهذه المعرفة واختُص بهذا الفتح، وأنَّ كل النَّاس (لا يُغيِّرون من رأيه ذرَّة) كأنَّ رأيه هذا مما كُتب في الأزل بسواد اللَّيل على بياض النَّهار.

قال هذا الفاضل: إنَّ للأدب والأديب معاني قديمة غير المعاني التي صارا إليها مع تتابع القرون، فمعنى الأديب في عصر الجاهليَّة وأوائل صدر الإسلام: الطيِّب الحديث الحسن الصوت، الذي يُؤنِس السَّامعين بِسِحْر مقاله ويجذبهم إليه برقَّة منطقِهِ ولذِيذِ صوتِهِ.

قال: «ومن الأديب اشتقُّوا الأدب إلخ، ثمَّ قال: فإذا كان كذلك فاللَّفظ اليونانيُّ المُعرَّب عنه اللَّفظ العربيُّ هو èduèpès وهي كلمةٌ مُركَّبةٌ من حرفين èdus أي: طيِّبٌ وعذبٌ ولذيذٌ، ومن èpos أي: كلامٌ ومنطقٌ وخطابٌ؛ فيكون مُحصِّلُ المعنى ما ذكرناه فُويق هذا» اهـ.

وحاصل هذه العبارة أنَّ اللَّفظ اليونانيَّ يؤدِّي معاني طيِّب الحديث وعُذُوبته ولذَّته في جملة مترادفات هي تلك المعاني، فإذا كان كذلك؛ فالأمر في حسابه كحاصل ضرب عددين لا يمكن أنْ يُقسم على أحدهما إلا أخرج العدد الثَّاني في قانون مطَّرد وقاعدة لا تتخلَّف.

---

(1) المقتطف، باب المراسلة والمناظرة، عدد أغسطس 1923، ص 169 وما بعدها، وقد جاء رداً على ما كتبه (كِلْدَة) في بابه (المُعرَّبات) بعدد يونيو من نفس العام. وهناك مقال نشره الرافعي في الجزء الثالث من وحي القلم، وهو مختلف عن هذا المقال.

(2) هو الأب أنستاس ماري الكرمليُّ، واسمه: بطرس جبرائيل يوسف عوَّاد (1866 – 1947)، رجلُ دين مسيحيٌّ، ولغويٌّ عراقيٌّ لبنانيٌّ، وكان من عادته نشر كثير من مقالاته بأسماء مستعارة مثل: (أمكحٌ) و(محقِّق) و(مستفيد) و(مستهل). راجع ما كتبه كوركيس عواد في كتابه)الأب أنستاس ماري الكرمليُّ: حياته ومؤلفاته(، ص 19 وما بعدها.

ولكن يبقى أنَّ الأساس الذي بَنَى عليه الأستاذ أساسٌ مرتفعٌ في الهواء على أعمدة خياليَّة طويلة، والبناء من تحته يتقلقل ويريد أن يصعد إلى أساسه ولو في طيَّارة؛ وإلَّا فمن أين جاء هذا الفاضل بما فسَّر به لفظ الأديب عند عرب الجاهليَّة وفي صدر الإسلام، وبأي سند رواه؟! وعن أي عَالم أَخَذَه؟! وفي أي كتاب وَجَدَه؟! وكيف لم يكن معنى الأديب عندهم إلا كما أَوْرَدَه من كلمة كلمةٍ وجملة جملة بحيث تتجمَّع هذه الفنون من طيِّب الحديث وحسن الصَّوت وإيناس السامعين وجذبهم وسحرهم «برقَّة المنطق ولذيذ الصَّوت»؟!

ولو استقرئ الأدباء كل كتب اللُّغة والأدب والبلاغة في كل أرض لما أصابوا فيها شيئاً من هذا التعريف الذي جاء به الكاتب ووضعه وضعاً لتحقيق المشابهة بين اللفظ العربيِّ واليونانيِّ. ولكنِّي أدلُّهُم من أين آخذه وكيف تأدَّى إليه وكيف صنع هذا واستوى له واطَّرد في تلك المعاني؛ فلينظروا في كتاب (البيان) للجاحظ[1] فقد عقد باباً في ذكر اللِّسان وفصاحته، وفصَّل منه فصلاً «في ذكر ما قالوه في مديح اللِّسان بالشِّعر الموزون»، وساق في هذا الفصل الأبيات التي استشهد بها الأستاذ (كِلْدَة) على المعنى الذي ذهب إليه وأبياتاً أخرى لسويد بن أبي كاهل يصف بها امرأة «تُطرِبُ وتُؤْنِسُ وتَسْحَرُ وتَجْذِبُ»: وهي قوله:

ودَعَتْنِي بِرُقَاهَا، إِنَّهَا
تُنزِلُ الأَعْصَمَ مِن رَأْسِ اليَفَعْ[2]

تُسْمِعُ الحُدَّاثَ قولاً حَسَناً
لو أَرَادُوا غَيرَهُ لم يُسْتَطَعْ

(1) الجزء الأول، صفحة 70، من الطَّبعة المصريَّة الأولى (الرَّافعيُّ).

(2) يريد أن سحرها يجذب الظَّبي النَّافر وينزله من أعلى ما يعتصم به؛ فكيف بالإنسان المحبِّ المتودِّد وهو أليفٌ بالطَّبع (الرَّافعيُّ).

وِلِسـانـاً صَـيـرْفِـيـاً صـارِمـاً
كحُسَامِ السَّيْف ما مَسّ قَطَعْ[1]

فمن ههنا أخذ وألَّف واهتدى إلى «طيِّب الحديث وحسن الصَّوت والإيناس والسِّحر والجذب برقَّة المنطق ولذيذ الصَّوت» وما هكذا يصنع أهل اللُّغة في تعريف ألفاظها ولا هذه اللُّغة تحتمل ذلك.

ولابدَّ من الرِّواية الصَّحيحة أو النصِّ البيِّن الصَّريح، ولقد مات كل العلماء والرُّواة بحسرة انقطاع ما بينهم وبين الجاهليَّة في تفسير لفظ أو رواية بيتٍ أو إسناد خبرٍ أو تحقيق معنىً وكانوا أهل هذا العلم ورجاله. فكيف يقعُ معنى الأديب في الجاهليَّة ويتَّفق بعد الجاهليَّة بأربعة عشر قرناً على أنَّ الفاضل (كِلْدَة) يزعم أنَّ الأبيات التي نقلها عن الجاحظ من الشِّعر القديم، وهو مع ذلك قد أخطأ في تفسير معنى الأديب الوارد فيها، فأمَّا الأبيات الأولى التي منها:

وإنِّي على ما كان مِن عَنْجَهِيَّتي
ولَوْثَةِ أَعْرَابِيَتِي لأَدِيبُ[2]

فإنَّ الجاحظ يقول قبلها: «وفيما مدحوا به ابن الأعرابي إذا كان أديباً أنشدني ابن أبي خزيمة واسمه الأسود» ثمَّ يروي الأبيات، وهذا ليس بالنَّصِّ على أنَّ الشِّعْرَ قديمٌ ولا أنَّ قائله جاهليٌّ؛ بل كُلُّ مَنْ يعرف صنيع الجاحظ في كتبه وروايته عن الأعراب؛ لا يشكُّ أنَّ الشِّعْر لأَسْوَدَ نفسه، وهو رجلٌ أعرابيٌّ، والأعرابُ وإنْ كان فيهم مَنْ يروي، وفيهم مَنْ يقول، وفيهم مَنْ يجمع الاثنين، ولكن مَنْ يروي منهم يُسند إلى مِنْ يُروى عنه؛ فإذا قال العلماء: أنشدنا فلانٌ وأطلقوا وكان المنشد أعرابياً؛ فذلك من قوله على ما أرى.

(1) انظر البيان والتَّبيين (1/166) وما بعدها.

(2) نفسه 1/168.

ومهما يكن في هذا فإنَّ معنى الأديب في البيت ليس المطرب المؤنس السَّاحر إلخ؛ ولكنه رِقَّةُ الخُلُق، وظُرْفُ النَّفس، وحُسْنُ التأدُّب؛ لأنَّ الأعراب يُوصَفون طبيعةً بالجفاء والغلظة والهيج والخفَّة، وهذا هو معنى العنجهيَّة واللَّوْثَة، ويُقابل هذه الأوصاف الرَّصَانة والعقل والظَّرف ورِقَّةُ الحاشية مما يرجع في جملته إلى كرم الخُلُقِ وحُسْنِ الأدبِ وظُرْفِ اللسان، والظَّرف نفسه معنى من المعاني التي فسَّروا بها الأدب، وأمَّا الأبيات الثَّانية التي فيها:

حبيبٌ إلى الزُّوَّارِ غَشَيَانُ بيتِه

جميلُ المُحَيَّا شَبَّ وهو أديبُ[1]

فالقصيدة مشهورةٌ يروونها لكعب بن سعد الغَنَوِيِّ، وبعضهم يرويها لسهم الفقويِّ، وبعضهم يروي أبياتاً منها لهذا وأخرى لذاك، ورواها صاحب (الجمهرة) لمحمد بن كعب؛ فهي إسلاميَّة لا جاهليَّة، ومعنى الأديب في البيت النَّشأة على مكارم الأخلاق وأكثر القصيدة يُفسِّر هذا المعنى وينصُّ عليه نصّاً. فقد حصل ممَّا تقدَّم أنَّ المعنى الذي جاء به الفاضل (كِلْدَة) مصنوعٌ لا رواية فيه ولا أساس له ولا شاهد عليه، ولا مشابهة (البتة)[2] بين معنى اللفظ اليونانيِّ واللفظ العربيِّ. والمادة نفسها مادة (أدب) أصيلة في العربيَّة ولو هم كانوا أخذوها من اليونانيَّة لما جاوزوا بها المعنى الذي أخذوها لأجله ولا صرَّفوها في المعاني التي تروى في كُتب اللُّغة.

وقد بحثنا في تاريخ كلمة الأدب وأفردنا لها فصلاً في الجزء الأول من (تاريخ آداب العربيَّة)؛ فليُنْصِف الفاضل (كِلْدَة) من نفسه، وليُنْصِف الأدب؛ فما أعرف كتابةً يقلِّب صاحبها كفَّيه على ما كتب فيها كذلك التَّعريف الذي يُخرج الحيَّ من الميِّت أو الميِّت من الحيِّ.

---

(1) الموضع السابق.

(2) في الأصل: أبقته.

الأدبُ والأديبُ (٢)[1]

قال كلدة: «إنَّ للأدب والأديب معاني قديمة، وأنَّ معنى الأديب في عصر الجاهليَّة وأوائل صدر الإسلام هو الطَّيِّب الحديث الحسن الصَّوت الذي يُؤنِس السَّامعين بسحر مقاله، ويجذبهم إليه برقَّة منطقه ولذيذ صوته...» ؛ وأنا أطلبُ منه البيِّنة على دعواه؛ ولو شاهداً من كلام العرب يدلُّ عليها، أو رواية تُثبتها، أو أساساً من التَّاريخ يُسوِّغ ما ذهب إليه ويُخرجه من باب الوضع.

إنَّنا نُقرِّر لهذا الفاضل أنَّ عرب الجاهليَّة وصدر الإسلام لم يعرفوا معنى الأديب بمثل ما اصطلح عليه العلماء، لا على الوجه الذي ذهب إليه من الطَّيِّب الحديث إلخ، ولا على قفاءِ هذا الوجه ولا جرت الكلمة في استعمالهم لأيِّ معنىً يدلُّ على العلم أو الشِّعر أو البلاغة أو فنون الغَزَل أو المحاضرة أيهما كان، ولا يجوز أنْ يكونوا قد أخذوا هذا المعنى إلا وقد تكلَّموا به، ولا يُمكن أنْ يعرفه هو إلا وقد وقف على شيءٍ من كلامهم.

بالأمس قام (لورد جسبرو) في مؤتمر إسرائيليٍّ بلندن يزعم أنَّ الإنكليز مِنْ نسل بني إسرائيل، وأنَّهم حقَّقوا النُّبوَّة التي ورد فيها أنَّ هذا النَّسل يملأ الأرض، وأنَّ الدليل على ذلك أنَّ كلمة بريتشBritish التي معناها بريطانيٌّ هي مِن كلمتين عبرانيَّتين: (بريت) أي العهد و(إش) أي الشَّعب، قال: فالشَّعب الإنجليزيُّ هو شعب العهد أي شعب إسرائيل، فلم يُنكَب العرب وحدهم بكلمتين يونانيتين؛ بل نُكب الإنجليز بكلمتين عبرانيَّتين، وإنَّه لمَصْعدٌ سهلٌ يَثبُ إليه مَنْ أصاب مُشابهةً في مقابلة اللُّغات؛ ولكنَّ الانحدار منه تندقُّ فيه العُنُق.

---

(1) نُشر هذا الردُّ في عدد ديسمبر 1923 على تعقيب (كلْدَة) على ردِّ الرَّافعيِّ السَّابق، راجع ما كتبه (كلْدَة) تحت عنوان: أصحيح أنَّ (الأديب) عربيَّة المادَّة؟، العدد الثَّالث، نوفمبر 1923م، وحسب المقتطف فقد جاء هذا الرَّدُّ الأخير مسهباً؛ غير أنَّ المجلة اختزلته واكتفت بهذا الجزء.

جَوَابٌ مُخْتَصَرٌ[1]

قـرأتُ كلمـةَ الفاضـلِ الطَّريفي (أو الظَّريـف) العراقيِّ يدفـع بها عن بيت شوقي:

لـيلـى، مُـنَـاد دَعَـا لَـيْلَـى فَـخَـفَّ لَـه
نَشْوَانُ في جَنَبَاتِ الصَّدرِ عِرْبِيدُ[2]

ويقـول إنَّه أخذ عليَّ في نقـدي هذا البيت مواطن ثلاثة، ثـمَّ يزعم ألَّا غلط في الابتـداء بالمرَّة هنـا؛ لأنَّ «مُنادٍ» فاعـلٌ مُقدَّم للفعل «دعـا» على حدِّ قول الشَّاعر:

وِصَـالٌ عـلـى طُـولِ الـصُّـدُود يَـدُومُ

قال: فقد روى ابن مالك عن الأعلم وابن عصفور أنَّهما قالا في إعرابه: «إنَّ وصـال فاعلٌ يدوم المذكور»، ثمَّ تمَّمَ الكاتب على ذلك بأنَّ بيت شـوقي وحيٌّ من العبقريَّة، وأنَّه أبلغ من حيث العنوان، وأنَّ شـوقي لم يكن يدري من أين أخذه، أي لم يطَّلع على بيت المجنون.

وأنا فلا ينبعث نشاطي للرَّد على مثل هذا النَّقد الذي يُشبه ريشةً قلقةً طائرةً في الجوِّ وإنْ قطعت من العراق إلى مصـر؛ فشـوقي لم يخترع رواية مجنون ليلى؛ بل هو تناول شخصـيَّةً معروفةً لها تاريخها وأسـلوبها، وقد طاف على أخبار المجنون في (الأغاني) وغيره وبنى عليها روايته.

ومن أخبار المجنون أنَّه سمع مرةً منادياً يقول «يا ليلى»؛ فاضطرب ثمَّ قال:

وَداعٍ دَعـا إذْ نَحـنُ بـالخَـيْـف مِـن مِنىً
فَـهَـيَّـجَ أَشْـجَـانَ الـفُـؤادِ وَمـا يَـدري

(1) مجلة أبولُّو، ع 8، 6 ذو الحجة 1351 هـ = 1 أبريل 1933م، ص 942-944.

(2) راجع مسرحية مجنون ليلى لشوقي، ص 45.

دَعــا بِـاسـمِ لَـيلـى غَـيـرَهـا فَـكَـأَنَّمـا
أَطَـارَ بِلَيلـى طـائِـراً كـانَ فِي صَدري[1]

أفـيرى الكاتب أنَّ شـوقي كان جاهلاً لم يطَّلع على أخبـار المجنون ولم يقرأ هذين البيتين؟! والمجنون لا يريد أنَّ فؤاده طيرٌ ولا أنَّه طار، ولكنَّه يُصوِّر ما شـعر به، فإنَّ فؤاده كان ساكناً كالطَّائر الحائم في عُشِّه، ثمَّ اضطرب فجأةً كمـا ينفـر هذا الطَّائـر إذا فزع لصـوت أو حادث، وبهذا المعنـى يكون بيت المجنون أدقَّ وأبلغ من بيت شوقي؛ بل لا يُذكر بيتٌ شوقي إلى جانبه.

وبذلك الخبر تعرف أنَّ شـاعرنا لم يخترع شيئاً ولم يُوحَ إليه شيءٌ، ولم يزد على أنْ قلَّد وتابع تلك السَّـقطة النَّحويَّة؛ فقد قال بعض النُّحاة في مثل هذا المقـال إنَّ النَّكرة فاعلٌ مقدَّم؛ وهو رأي سـخيفٌ ردَّه المحقِّقون؛ لأنَّ هذا وإنْ كان فاعـلاً في المعنـى إلا أنَّـه مبتدأ في الموضـع والإعـراب، والخبر والحال كلاهما نعتٌ في المعنى؛ ولكن لم يقل أحدٌ إنهما في الإعراب من باب النَّعت.

وقد اسـتدلَّ الظَّريفي بقول الشَّاعر «وصـالٌ على طُولِ الصُّدُودِ يَدُومُ» وقال إنَّ ابـن مالك روى عن الأعلم وابن عصـفور إلخ، يريـد أنَّه نقل عنهما؛ فإنَّ ابـن مالك ليس من الرُّواة غير أنَّ ابـن مالك لم ينقل هذا؛ وإنَّما الذي نقله الدَّمامينيُّ، وعن الدَّمامينيِّ نقل الصَّـبَّانُ في حاشـيته على شرح الأشمونيِّ لألفية ابن مالك؛ فانظر كيف أكل الكاتب هذه السِّلسلة.

والأصـل أنَّ الكوفيين يُجيزون تقدُّم الفاعل على فعله ويرون شـاهدهم على ذلك قول «الزبَّاء»: ما للجِمال مشـيُها وئيداً؟!؛ فيقولون: إنَّ «مشـيها» فاعلٌ مقدَّمٌ لوئيد، وهو وصفٌ يعمل عمل الفعل، ويجوز عندهم أنْ تقول: «الرَّجلان قام»، و«الزَّيدون قام».

---

(1) ديوان مجنون ليلى، ص 124.

وهــو خلطٌ من لا يذوق العربيَّــة ولا معرفة له ببلاغتها، وقد ردَّ البصــريون مذهب أولئك؛ فلا يجوز عندهم أنْ تُقدِّم الفاعل، وإنْ كان بعض من اتبعهم كابن عصفور والأعلم قالوا بجوازه لضرورة الوزن، كقول الشاعر:

صَـددَتِ فـأطولـتِ الـصُّـدودَ، وقـلَّـمـا

وِصـالٌ عـلـى طُـولِ الـصُّـدُودِ يَدُومُ[1]

ونحن لســنا من هذا الرأي، وهذا الشَّاعر أخطأ في قوله «أَطْوَلْتَ» وهو يريد أَطَلْتَ، واضـطره الوزن لهذا الخطأ الظَّاهر، فلا بِدْع أنْ يكون أخطأ كذلك في الضَّرورة الثَّانية من ضرورات الوزن، فهو ممن لا يجوز أنْ يُحتَجَّ بقولهم، وعلى الأقلِّ لا قيمة لشعره هذا فلا يُحتَجُّ به.

وعلى التأوُّل البعيد يمكن أنْ يُقال إنَّ الشَّــاعر أراد هذا التَّعبير (قَلَّ وصــالٌ يدومُ على طُولِ الصُّــدُود)؛ فلم يســاعده الوزن فجاء بـ«قلَّما» على صورتها التي كثرت لها في الاستعمال[2] وهو يريد بها معنى (قلَّ) فتكون (م) «زائدةً لضــرورة الوزن و(وصال) فاعل (قلَّ)، وهذا هو الوجه الصَّحيح في إعراب البيت، ولم يتنبَّه له سيبويه ولا غيره ممن تناقلوه شاهداً على اختيار مذهبِ تقدُّم الفاعل في هذا الشِّـعر بخاصـته، والضَّرورة فى اعتبار (م)» زائدةً في هذا الفعل – الذي اختصَّ بها (وقلَّما(اسـتعمل إلا معها– أخف بكثير من ضرورة تقديم الفاعل ومسخ العربيَّة وإفساد بلاغتها.

وعلــى هــذا يُقال في إعـراب البيت: (قَلَّ) فعـلٌ ماض، و(ما) زائـدةٌ ملغاةٌ لضــرورة الوزن، و(وصــال) فاعل (قـلَّ)، وإلغاء الحـروف العاملة يقع في العربيَّة كثيراً فهذا من بابه.

---

(1) ورد البيت مجهَّلاً في (سرِّ الفصاحة) لابن سنان الخفاجيِّ الحلبيِّ، ص 113. وفي (لسان العرب) لابن منظور الإفريقيِّ 412/11. وفي (خزانة الأدب ولبُّ لباب لسان العرب) لابن عمر البغداديِّ 231/10.

(2) من كثرتها قال بعضهم إنَّ (قلَّما) كلها تأتي حرف نفيٍ (الرَّافعيُّ).

ولعل حضرات علماء الأزهر يصحِّحون كتبهم بهذا الوجه الجديد من الإعراب والشَّرح لذلك البيت المشهور، ونصيحتي لمن ينظر في كتب النَّحو أنْ يقرأ هذا العلم على أنَّه منطق العربيَّة؛ فلا بد فيه من الاستيعاب والفلسفة والسليقة العربيَّة الصَّحيحة القائمة على قوانين البلاغة والإعراب؛ لا على قوانين الإعراب وحده.

وبعد، فالغلطة في بيت شوقي لا تزال كما هي، ولا مسوِّغ للابتداء بالنَّكرة في قوله، ولن يجيء هذا المسوِّغ لا من العراق ولا من أنقرة.

قريش والخليفة[1]

نقـل العلَّامة (كلْدَة) الآراء المرويَّة في معنــى (قريش) عن الكتب المتأخِّرة، ونســي الأستاذ أنَّ هذه الكلمات أصبحت في التَّاريخ الإسلاميِّ ميراثاً دينيّاً، فهــي تحمل من المبالغــة والتكلُّف ما لا يحمل غيرها، ويُقــال فيها ما قيل في لســان أهــل الجنَّة، وليس في كل ما نقله ما يُشــير إلى أنَّها مــن (القِرْش) الدابَّة البحريَّة التي وصــفوها إلى الرِّوايــة التي تنتهي إلى ابن عباس، وهي التي اهتدى منها الأستاذ إلى أنَّ الكلمة يونانيَّة، ولكن من أين له أنَّ الرِّواية صــحيحة وهذا إمام المفسِّــرين ابن جرير الطبريُّ (المُتوَفَّى سـنة 310 هـ) قد أســقَطَها من تفســيره الكبير؟! ولو كانت صحيحةً ما فاتته؛ لأنَّه لا يُرسل القــولَ إرســالاً كما يفعل المتأخِّرون بعد انقطاع الأســانيد؛ بل يروي ويُســند ويُحقِّق، وكم كَذَبَ النَّاس على ابن عباس، وكم وضــعوا عليه من شِعْرٍ وخَبَرٍ حتى جعلوه وحدَه (ديوانَ العرب)!

الرِّواية الصَّــحيحة في تســمية قريشــ أنَّها من التِّجــارة، ولم يكن يُعرف في العهد الأوَّل وما تلاه من عصورِ التَّحقيق إلا هذا المعنى، والقرآن نفسه يكاد يكون نصّاً في ذلك؛ فقد وصفهم في سورة قريش بقوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾[2] وما هذه بصــنعة الدابَّــة البحريَّــة التي يُقــال إنَّها تَعبث بالسُّــفن ولا تُطلــق إلا بالنَّار؛ بل هي صــنعةُ قوم تجارٍ ألِفُوا لمعاشــهم رحلتي الشِّتاء والصَّــيف إلى اليمن والشَّام ولا عيش لهم إلا أنْ يمتارُوا ويبيعوا ويشــتروا حتَّى كادت التِّجارة تُلهيهم عن عبــادة ربِّ البيت، وما دام في اللُّغة القِرْش بمعنى الكَسْــب والتِّجارة؛ فلم لا

---

(1) المقتطـف، عـدد مارس 1924، ص 332 وما بعدها، وهـو ردٌّ على مقالة كلدة المُعنـون بـ«بعض المُعرَّبات» المنشور في عدد يناير من نفس العام، ص 20 وما بعدها.

(2) سورة قريش 3-4.

يكون اسمهم مشتقّاً من هذه المادَّة، وخاصةً إذا علمنا أنَّهم كانوا يتحقَّقون في العرب بكل ما يدلُّ على صناعتهم هذه ويتَّسِمون لها بسِمَةٍ خاصة، إذْ كان العرب يُغِيرُ بعضهم على بعض ويتساقطون في الغزوات بكلِّ طريق؛ فلا يأمنهم إلا من فرغ لشأنه وأمَاتَ دَاءَ صدرِهِ فلا ثَارَ ولا منافسة، وعندي أنَّ قريشاً لم يتخذوا هذا الاسم إلا ليكون لهم كجواز السَّفر في هذه الأيام؛ فمتى قيل: قريش وقُرَشِيٌّ؛ قال العرب: هذا هو التَّاجر فكُفُّوا عنه.

والذي يكون كالنَّصِّ القاطع فيما ذهبنا إليه ما نرويه عن الجاحظ وناهيك به إماماً، فقد روى قصيدة (للحَيْقُطَان)[1]، وقال إنَّها قصيدة تَحتجُّ بها اليَمَانِيَّة على قريش ومُضَر، وفيه يقول:

ولا مرتعَ للعينِ أو مُتَقَنَّص؛

ولكن تجراً والتِّجارةُ تحقر[2]

قال الجاحظ: «يقول ليس بها (يعني مكة) متنزَّهات، وصيدُها حرامٌ؛ وإنَّما بها تجَّارٌ والتُّجَّار يحقرون، يقول: هم عند النَّاس في حدِّ الضَّعف، ولا يستجيز ملك أخذ الذي به يتعيَّشون، وهم قومٌ ليس عندهم امتناع؛ ولذلك يقول الشَّاعر معاوية بن أوس وهو جاهليٌّ:

وزقٍّ سَبَأْتُ لذي متْجَر

أسيود كالرَّجلِ الأَسْحَمِ

إلى التَّاجر العربيِّ الشَّحيح

أو خمر ذي النُّطَفِ الطمطمِ

(1) لم أقف له على ترجمة، قال عنه الجاحظ في البيان والتبيين: «والحيقطان: عبدٌ أسود وكان خطيباً لا يُجارى» 130/1، وفي المذاكرة في ألقاب الشعراء للأربلي: «وأما الحَيْقُطَان فكان شاعراً وخطيباً، وكان عبداً أسود. وهجاه جرير» وذكره ضمن شعراء عبيد العرب وما احتضر من أخبارهم، واستحسن من أشعارهم، وانظر: الشُّعراء السُّود وخصائصهم في الشِّعر العربيِّ: د. عبده بدوي، ص 150 وما بعدها.

(2) رسالة (فخر السُّودان على البيضان)، ضمن كتاب رسائل الجاحظ، 182/1-185.

أراد بهـذا كله قريشـاً، يقول هم تجَّارٌ وقد اعتصـموا بالبيـت وإذا خرجوا علّقـوا عليهم المُقَل ولحاء الشَّـجر حتى يُعرفوا فلا يقتلهـم أحدٌ»[1]، فتأمَّل يا سـيدنا العلَّامة (كِلْدَة) أين هذا من choregas رئيس المغنِّين! وهل حرَّم الله على ألسـنة اليونان أنْ تنطق بكلمة فيها قافٌ وراءٌ وشـينٌ أو جيمٌ تُبدَّل شيناً مع ما تمحَّلت في إبدال هذه الجيم، فإنَّ الإبدال شائعٌ في أكثر الحروف وهو لغات لا لغة واحدة ينطق بكلٍّ منها قَبيلٌ من العرب؟!

وإليك نصّـاً آخر: قال الجاحظ في رسـالة التِّجارة يعني قريشاً «وبالتجارة كانوا يُعرفون؛ ولذلك قالت كاهنة اليمن لله درُّ الدِّيار، لقريش التُّجار وليس فوقهم قرشيٌّ كقولهم هاشميٌّ وزهريٌّ وتميميٌّ؛ لأنَّهم لم يكن لهم أبٌ يُسمَّى قريشـاً فيَنسبُون؛ ولكنَّه اسـمٌ اشـتُقَّ لهم من التِّجارة والتقريش فهو أفخم أسمائهم»[2]، ومن صنيع الجاحظ أنَّه يشقُّ من الكلمة الواحدة كلاماً كثيراً فلو علم غير ذلك لأفاض فيه ولتكلَّف له الأسباب.

والعجيـب أنْ يقول الأسـتاذ (كِلْـدَة) حين يذكـر رواية ابن الكلبـيِّ إنَّ ابن الكلبيِّ هذا: «هو المرجوع إليه في هذا الشَّـأن» مع أنَّه مِنْ أكذب مَنْ وضـعوا على العرب، وقد كذَّبه العلماءُ وردُّوا عليه.

الخليفة

أمَّـا ما قاله الأسـتاذ في الخليفة وأصـلها؛ فتلك والله دويهية تصـفرُّ منها الأنامل، وتحمرُّ أيضـاً.. قال: ما كان يخطر ببـالي قط أنَّ الخليفة بمعناها القديم يونانيَّة الأصـل لو لم أقرأ في كتاب الأوائل لأبي منذر هشـام الكلبيِّ: «كان الخليفـة في آنف الدَّهر يتولَّى تدبير العجِّ والثجِّ في الحجِّ، ويُدير حركة

(1) نفسه، ص 188.

(2) راجع رسالته «مدح التِّجارة وذم عمل السُّلطان» ضمن الرَّسائل 4/256.

الرَّقص في أيام أفراحهم ومحافل أعيادهم، ثمَّ نقل الحرف إلى من بيده السُّلطة العليا أو يحاول أنْ تكون له السُّلطة العظمى»[1]

قال الأستاذ -حفظه الله- فما قرأتُ هذا الكلام إلا وقلتُ في نفسي إنَّ اللَّفظة يونانيَّة ومعناها الرَّئيس الذي يتولَّى إدارة الرَّقص والأغاني في المواسم الدينيَّة، ورئيس المغنين في المآسي والأضاحيك.

كل ذلك بناه الأستاذ على النَّصِّ الذي نقله عن هشام الكلبيِّ، ولكنِّي أنا الضَّعيف يا سيدي الأستاذ (كلْدَة) أُقسمُ لك أنَّ النَّسَّابة العظيم لم يقل هذا الكلام، وأنْ ليس له في النَّصِّ إلا هذه الكلمات «كان الخليفة في آنف الدَّهرِ يتولَّى تدبير العجِّ والثَّجِّ» ففهمت أنت من العجِّ والثَّجِّ معنى الحركة؛ فأكملتَ النصَّ من عندك ليلائم معنى الكلمة اليونانيَّة كما فعلت في تعريف كلمة الأديب، وهل يخفى على من يذوق البلاغة العربيَّة ويعرف كيف تُسبك أنَّ أحداً من الرُّواة أو العلماء أو العرب لا يقول أبداً؛ بل لا يطوع لسانه أنْ يقول «يُدير حركة الرَّقص» وأيام أفراحهم ومحافل أعيادهم، ومن بيده السُّلطة العليا، وأنْ تكون له السُّلطة العُظمى، أي كلام هذا؟! لقد ضاع عمري باطلاً إنْ لم أميز بين كتابتين إحداهما كُتبتْ من نيِّفٍ ومائةٍ وألفِ سنةٍ، والثَّانية لم يجف حِبْرُها بعد.

دُلَّنا يا سيدنا العلَّامة على كتاب هشام وائْتنا بالنَّصِّ بحرفه؛ وإلَّا فإنَّ معنى العَجِّ والثَّجِّ ما يَضَجُّ به الحجيج من الدَّعاء لله مكتظِّين مجتمعين؛ فلا رقص ولا أغاني ولا أضاحيك ولا سخافات، وكل ما بنيَّته على هذا النَّصِّ فاسدٌ؛ لأنِّي أقولُ لك بملء فمي إنَّ النَّصَّ موضوعٌ، وألفاظه شاهدة شهادة العُدُول.

---

(1) في الأصل كتاب «الدَّلائل»، والصَّحيح هو «الأوائل» كما ذكره كرملي في مقالته، وحسب ما ذكره الأخير؛ فقد كانت لديه مخطوطةٌ من الكتاب فسُرقت، راجع مقالة كرملي السَّابق ص 22، وقد ذكر ابن النديم كتاب الأوائل ضمن مؤلفات الكلبيِّ، انظر: الفهرست 303/1.

الطَّبْعِيُّ والطَّبِيعِيُّ[1]

سيِّدي الأستاذ الجليل مُنشئُ المقتطف الأغرِّ

سـألكم سائلٌ: لم لا تسـتعملون كلمة الطَّبْعِيِّ في مكان الطَّبيعيِّ كما يأتي بها غيركـم؟ فأجبتـم بأنَّ علماء العرب وفلاسـفة العرب اسـتعملوا «الطَّبيعيَّ» كذلك: وأكثر الكُتَّاب اليوم كما ترون لا يدرون ما هو القياس ولا ما هو المَعدِل عنه، ولا يُفرِّقون بين ما له وجه وما لا وجه له، ولا يُحسـنون أنْ يتخيَّروا على نحو ما كان يصـنع أهل هذه اللغة والقائمون عليها من بعدهم لاستحسـانٍ أو علَّةٍ أو ضـرورةٍ أو وجْهٍ من وجوه الاسـتعمال، إنَّما هو التَّقليد والمتابعة في الخطأ والصَّواب، وأنْ يقول زيدٌ فيقول عمروٌ، ويتأوَّل واحدٌ منهم للكلمة من الكلام؛ فإذا هي مذهبٌ ومِلَّةٌ.

لم تُعـرف كلمة «الطَّبْعِـيِّ» في هذه العربيَّة من يوم خلقها الله إلى أنْ أرسـل معجزتها الخالدة للأحمر والأسـود إلى أنْ تناولها العلماء من كلِّ لسـانٍ في ثلاثة أركانِ الأرضِ: آسـيا وأفريقيا وأوروبا- إلَّا في سـنة 1909م أو حولها، ثمَّ في مصـر وحدها إذْ نَبَغَ نابـغٌ أراد أنْ ينتقد كاتباً من الكُتَّاب؛ فكان مما ميَّـزه من خَطَـأِه كلمة «الطَّبيعيِّ» هذه رجوعـاً إلى القاعدة المعروفة في باب النَّسَب أنَّهم ينسبون إلى «فعيلة» فيحذفون الياء والتَّاء كـ«حنفيٍّ» في النِّسبة إلى بني حنيفة ما لم تكن «فعيلة» مُضَعَّفة أو مُمَثَّلة العين فلا يحذفون باءها؛ بل ينسبون إليها بالتَّصحيح كـ«حقيقيّ» و«طويليٍّ» في النِّسبة إلى «الحقيقة» و«طويلة»، وهكذا.

---

(1) رسـالةٌ نُشرت بباب المراسـلة والمناظرة بالمقتطف، المجلَّد 61، ج 3، 7 ذو الحجة 1340 هـ = 1 أغسطس 1922م، ص 281–284.

وكان ذلك النابغ يومئذ لم يتم ولم ينضج واستعمل هو تلك النِّسبة في كتابته، ولكنَّه لم يجد من يتناولها إلا قليلاً حتَّى أجراها الأستاذ أمين بك الرافعيُّ في كتاباته السياسيَّة التي تكاد تكون عنصراً من عناصر الفكرة الوطنيَّة في مصر، وهو قلَّما يكتب مقالة إلا وَرَدَت فيها، ومن ثمَّ شاعت اللَّفظة حتى ما أراها إلا هلكت من كثرة الاستعمال.

وقد سُئلت فيها مراراً لأنِّي لم أستعملها قطُّ على ذلك الوجه الثَّقيل، ولا أرى وجهاً لاستعمالها، وأنا الآن مُبيِّن الأصل الذي بَنَى عليه علماء العرب فيها.
لعلَّ أقدم ما عُرف من تاريخ النِّسبة إلى الطَّبيعة (كتاب السَّماع الطَّبيعيِّ) الذي نقله سلَّام الأبرش من النَّقَلَة القدماء[1] أيام البرامكة، وإنْ كنتُ أُرجِّح أنَّها استُعملت في أوائل الدَّولة العبَّاسيَّة حين ابتدأوا النَّقل عن اليونانيَّة وغيرها، وقد غيَّر الفلاسفة والعلماء والمتكلِّمون جميعاً وكلٌّ من عانى النَّقل إلى العربيَّة أو صحَّح للنَّقَلَة أو حَرَّر من كلامهم، وكل مَنْ نقل الكلمة عن هؤلاء وأولئك من الكُتَّاب والأدباء والشُّعراء؛ فما منهم إلا مَنْ يقول العلم الطَّبيعيَّ والسَّماع الطَّبيعيَّ والطَّبيعيَّات والعلوم الطَّبيعيِّة، لا يعدلون عن هذه النِّسبة ولا يسعهم غيرها، وخرجت كذلك من (دار الحكمة) التي أرصد فيها المأمون من يُصحِّح لغة النَّقَلَة، وطارت في العراق والشَّام والجزيرة وما وراء النَّهر ومصر والمغرب والأندلس، وتجدها فاشيةً في كلِّ كتب الطَّبقات لم يخالف الجماعة فيها أحدٌ.

وهؤلاء الفلاسفة والمؤرِّخون إذا وُزنوا في علمهم وبحثهم وتحقيقهم واطِّلاعهم؛ لا يبقى أحدٌ في الأرض يُحدِّث نفسه أنَّهم لا يُرجِّحون صاحبنا الطَّبعيَّ إذْ جاء يردُّهم إلى وجه القياس ويدلهُّم على مأخذ الكلمة، وكانت بيضة ديك اللغة مرَّةً واحدةً في الدَّهر كله.

---

(1) يقصد الرافعيُّ بالنَّقَلَة المترجمين الذين كانوا ينقلون عن اللُّغات الأخرى.

وقد يُقال إنَّ كلَّ الذين استعملوها جهلة؛ لأنَّهم فلاسفة ومتكلِّمون، ومنهم الجاحظ والنَّظَّام وغيرهما، وليس فيهم من يقوم باللُّغة وعلمها، فماذا يُقال في ابن جِنِّي صاحب (الخصائص)؟! وهو فيلسوف الاشتقاق والتَّصريف، وحسنة أبي عليٍّ الفارسيِّ الذي ورث علمه وتخرَّج على يديه، وقد أقام أبو عَلي عَلَى علم أسرار اللُّغة سبعين سنة لا يعتاقُهُ[1] عنه ولدٌ، ولا يعارضه فيه مُتَّجِرٌ، ولا يسوم به مطلباً من مطالب الدُّنيا.

وابن جِنِّي فوق ذلك رجلٌ سمع العرب الفصحاء ونقل عنهم، وكان يلقاهم بما أشكل عليه، أفيجوز أنْ يكون هو أيضاً جاهلاً بوجه النِّسبة، ولا يجوز أنْ يكون هو وغيره قد سألوا فصحاء الأعراب عن هذه الكلمة وأخذوا بمنطقهم فيها وقياسهم عليها؟!

قال في الخصائص: «من الأمر الطَّبيعيِّ الذي لا بدَّ منه أنْ يلتقي الحَرْفان الصَّحيحان فيسكن الأول منهما في الإدراج؛ فلا يكون حينئذ بُدٌّ من الإدغام» ولا نطيل بالنَّقل؛ فهذا حسب.

أمَّا وجه تصحيح هذه النِّسبة فهو أنَّ العرب لم يكونوا يعرفون القواعد أو ينزلوا عليها؛ إنَّما ذلك علمٌ منتزعٌ من استقراء اللُّغة، ولا قاعدة للعربيِّ إلا غريزته والاستحسان والاستخفاف والاستثقال، ولهذه العلَّة لا ينسبون إلى (فَعِيلَة) في المُضعَّف والمُعتَل العين إلا بالتَّصحيح إذْ يستثقلون أنْ يقولوا (حَقَقيٌّ) و(طوليٌّ) فيعدلون إلى (حقيقيٍّ) و(طويليٍّ) كما تقدَّم، وقد تطَّرِدُ الكلمة في استعمالهم وهي مع ذلك شاذَّةٌ في القياس فيقولون: «استصوب» و«استحوذ» و«استنوق» ولا يقولون (استصاب) و(استحاذ) و(استناق) على ما هو القياس في مثل: (استقام) و(استخار) إلخ.

---

(1) يعوقُهُ ويمنعُهُ.

وفي نحو (الفتوى) و(التَّقوى) قلبوا الياء واواً من غير علَّة ولا ضرورة إلا علَّة الاستحسان والاستخفاف، وقد نصَّ سيبويه على أنَّهم قالوا «سَلِيقيٌّ» للرَّجل يكون من أهل السَّليقة، ولم يقولوا (سَلقيٌّ) على القاعدة، فإنْ لم يكن العلماء قد استنطقوا العرب في النِّسبة إلى الطَّبيعة؛ فهذا عندنا هو الأصل الذي عملوا عليه والوجه الذي اتبعوه، ولا يُقال إنَّ (السَّليقيّ) « لفظةٌ شاذةٌ لا قياس لها؛ فإنَّ الشُّذوذ ليس بشيء عند العرب أنفسهم ولا يعرفونه؛ بل كلُّ شاذٍّ فله وجه في استعمالهم و(السَّليقة) و(الطَّبيعة(و)الغريزة(و) البديهة(ألفاظٌ متجانسةٌ تتلاقى معانيها على أصل واحد وفي وزنٍ واحد؛ فلا جرم أخذ بعضها في النِّسبة مأخذ بعضها، وصحَّ فيها القياس لتماثلها في الصِّيغة والمعنى وتجانسها في العِلَّة وهي عِلَّة الاستثقال إذا قيل «سلقيٌّ» و«غرزيٌّ» و«بدهيٌّ» و«طبعيٌّ».

نتج من ذلك أنَّ علماءنا ليسوا بجهلة؛ بل لهم أصلٌ بَنَوا عليه وأنَّ لفظ الطَّبعي إنْ لم يكن خطأً في نفسه أو لمخالفته الإجماع فهو خلاف الأفصح.

على أنَّه لو قال قائل إنَّهم ينسبون إلى)الطَّبيعيِّ (بالطَّبيعيِّ فرقاً بينه وبين النِّسبة إلى الطَّبع (العيب والشَّين)؛ فإنَّ النِّسبة إليه (طبعيٌّ)واحتراساً من مشابهة النِّسبة إلى الطَّبع في الكتابة لكان ذلك وجهاً صحيحاً؛ إذْ التَّفرقة واجبةٌ في مثل هذا كما فرَّقوا في النِّسبة إلى مدينة النَّبي صلى الله عليه وسلم وبين النِّسبة إلى مدينة المنصور؛ فقالوا في الأولى «مَدَنيٌّ» على القياس، وفي الثانية «مَدِينيٌّ» على خلافه، وكما ميَّز ابن الأنباريِّ في النِّسبة إلى بني حنيفة وإلى مذهب أبي حنيفة فجعل الأولى على الأصل)حنفيٌّ(والثَّانية)حنيفيٌّ(، ولو كانت النِّسبة إلى بني حنيفة – لا تزال في زمننا؛ لما اتبعوا غير هذا الرَّأي.

والعرب أنفسـهم يُفرِّقون بالإبدال أحيانـاً؛ فيقولون في جمع (ثَوْر) للحيوان «ثِـيَرَة» وفي جمع (ثَـوْر) وهو القطعة مـن الإِقط (الجُبْن) «ثـورة» بالواو لا ينطقون بغيرها.

فمـن أيِّ الأسـباب اعتـبرتَ كلمـة «الطَّبْعـيّ» وجَدْتَهـا خطـأً أو في حُكمه، والصَّواب «طبيعيٌّ» ليس غير.. والله أعلم.

كلمة «فحسْبُ» (استعمالها – أوَّلُ مَنْ استعملها)(1)

سيِّدي الأستاذ الجليل علَّامة المقتطف الأغرِّ

أجبتم عن سـؤال مَنْ سـألكم لماذا لم تستعملوا كلمة (فحسب) في كلِّ ما كتبتموه بأنَّكم لم تروها مُستعملةً بالقطع عن الإضافة في كذا وكذا وما كتب فلانٌ وفلانٌ، ثمَّ نقلتم عن (القاموس) و(اللِّسـان) و(الصِّحاح) و(التَّاج) و(الأسـاس) ما هو ثبت لكم في نُدرة اسـتعمالها، كذلك حتى انتهيتم إلى (الشَّـرتونيِّ) فجعلتم كـ(المسـتدرك) مـا نقلـهُ في كتـاب (أقرب المـوارد) مـن قوله: «ولـك أنْ تنطق (بحَسْـب) غير مضافة فتبنيها على الضَّـمِّ نحو: هذا حسبُ يا أخي، وقد تدخله الفاء تزييناً للفظ؛ يُقال: زيدٌ صديقي فحَسْب، أي يكفيني عن (كذا) غيره.»(2)

ثمَّ قلتم عن الشَّـرتونيِّ إنَّه كثير التَّدقيق، ويبعد أنْ يكون قد ذكر كلمة «فحسـب» من غير أنْ يكون قد رآها في كلام يصـحُّ الاستشهاد به، وتقدَّمتم إلى القرَّاء مَن رآها منهم في كلام يُوثق به أن يدُلَّ عليه. فأمَّا كُتب اللغة العربيَّة التي سميتموها؛ فهي (حسب) في الكلام على قط؛ لأنَّها من معانيها ولم يُغفلها إلا الزمخشريُّ في (الأساس)، على أنَّه ذكرها في كتابه (المُفَصَّل)(3)؛ ولكنَّه لم يأت لها بمَثَل، وأمَّا الشَّرتونيُّ فهو لم يقف عليها في كلام جيِّد وأمثلته التي ساقها في كتابه نصٌّ على ذلك إذْ هي أمثلةٌ من بيروت لا من البادية، كما تدلُّ عليه صنعتها، وإنَّما هو رأي الكلمـة في كتب النُّحاة وكلُّهم يذكرها في باب الظُّروف المبنيَّة فلفَّق لها مَثَلين منْ وضـعه كما ترون في قوله: يا أخي وصـديقي فَحَسْب، وليس لعالمٍ من علماء اللُّغة

(1) المقتطف، باب المراسلة والمناظرة، عدد مايو 1922، ص 487 وما بعدها.

(2) أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد: سعيد الخوريُّ الشَّرتونيُّ 189/1.

(3) المفصَّل في صنعة الإعراب للزَّمخشريِّ، ص 210–211.

العربيَّة أنْ يكتب (يُقال) إلا إذا كان ما يُقال كلاماً مرويّاً على أنَّ المثل الفصيح قولهم: قبضتُ عشرةً فَحَسْب. وفي حواشي (المُغني(عند الكلام على (قط) نقلاً عن حواشي (التَّسهيل) لم يُسمع منهم -أي قط- إلا مقروناً بالفاء، قال: «وهي زائدةٌ لازمةٌ عندي، وكذا أقول في قولهم (فَحَسْب) أنَّ الفاء زائدةٌ، وفي (المُطَوَّل) أنَّ (قَطّ) من أسماء الأفعال بمعنى أنته وكثيراً ما تصدَّر بالفاء تزييناً للَّفظ»، قلنا: وهذه هي العبارة التي أخذها الشَّرتونيُّ ونقلها إلى فاء (حسب) قياساً على (قط) بلا نقلٍ ولا روايةٍ على أنَّهم قد اعترضوا على مَنْ قال بزيادة هذه الفاء، وقالوا: لا ينبغي ارتكاب الزِّيادة ما وجد عنها مندوحةً، وأكثرهم على أنَّها عاطفة، وهي عندي للتَّنبيه والتَّقوية؛ لأنَّها في بعض المواضع تُفيد العبارة ما لا يُفيد حذفها. أمَّا استعمال كلمة (فحسب)؛ فهو كما قلتم لم يَرِدْ في كلام الأدباء والمترسِّلين قديماً ولا حديثاً فيما اطَّلعنا عليه؛ وإنَّما استعملها بعض العلماء كما سيأتي، وقد كنتُ أنا أوَّلَ من استعملها في هذا العصر إلى عصور بعيدة، وأوَّل من اتَّبعها وأجراها في كتابته إذْ أتيتُ بها مراراً في كتابي (تاريخ آداب العرب) الذي صَدَرَ الجزء الأول منه في سنة 1911، واستعملتُها بالفاء تقويةً لمعناها، وتخفيفاً لغرابتها، وليستمر بها الكلام على سَنَنه وينحدر في مجراه؛ فلا تجيء كالمقطوعة منه، ولا تظهر نابيةً في محلِّها، ثمَّ تعلَّقها الكُتَّاب بعد وأكثروا من استعمالها، حتى فَشَتْ في الكتابة، وصارت من مَأنوس الكلام، وعرَّفوها كأنَّها كذا خُلقت بالفاء، وتسمَّح فيها بعضهم فلم يُدقِّقوا في موقعها من الأسلوب، ولم يُراعوا وزنها من العبارة؛ فخرجت في أشياء من الكتابة الضَّعيفة إلى أنْ تكون مُستكرَهةً في معناها مُلزَّقةً[1] بموضعها، حتى انتقدها بعض المتطرِّفين في جريدة الأهرام وعدَّها من الهُجْنَة[2]، وألحقها بالكلام الغريب واللفظ المكروه.

---

(1) مُلْصَقَة.

(2) العيبُ والخطأ.

علـى أنِّي لم أسـتعملها ابتداءً من نفسـي، وإنَّمـا رأيتها في كلام سـيبويه كقوله في كُسِـرَتْ فِيَّ (أي فمي): أنَّهـا أولُّ دليل على أنَّهم لم يُراعوا حديث الاسـتثقال والاستخفاف (حسب)، وأنَّه أمرٌ غيرهما.[1]

ثمَّ رأيتُ فيلسـوف هذه اللغة العربيَّة في الاشـتقاق والتصريف أبا الفتح بن جِنِّي يردِّدُها في كتابه (الخصائص) كقوله: «وليس اعتدال الثُّلاثيِّ لقلَّة حروفه حسب لـو كان كذلك لـكان الثُّنائيُّ أكثر منه»[2] وقوله بعد أسـطر من هذه الصـفحة: «فـإذا ثبـتَ ذلك عرفت منـه وبـه أنَّ ذوات الثَّلاثة لم تمكن في الاسـتعمال لقلَّة عددها حسب».[3]

وقال في موضع آخر: «وليس كذلك قولنا زيد قام؛ لأنَّ هذا لم يرتفع لإسناد الفعل إليه حسب دون أنْ انضم إلى ذلك تعريته من العوامل اللَّفظية».[4]

وفي موضـع رابع في الكلام على مَفعل للمصـدر ومِفعل للآلات «فلمَّا كان الميمان ذواتـيَّ معنًى خشُّـوا إنْ هم ألحقـوا بهما أنْ يتوهَّمـوا أنَّ الغرض فيهما إنَّمـا هو الإلحاق حسبُ»[5] إلخ إلخ...

ولم أرَ هذا الاستعمال لغير سيبويه وأبي الفتح، ولكنَّهما مَنْ هما.

ومما أخذه ابن جِنِّي عن سيبويه وأخذتُهُ أنا عنهما؛ استعمالُ كلمة البتة في معنى دائمـاً ومطلقاً وضـرورة ونحوها، ولكنـي لم أرَ الكُتَّاب قد تناقلوهـا كما تناقلوا حسبُ إلا نفراً من خاصتهم على أنَّها لا محلَّ لها من بلاغة التعبير وجمال اللَّفظ وحسن الدلالة. والله أعلم.

---

(1) انظر: (الكتاب): سيبويه: 3/286، 4/231، 234.

(2) الخصائص: 1/55.

(3) نفسه 1/56.

(4) نفسه 1/196.

(5) نفسه 1/224.

مقالات اجتماعية

الإحسانُ الاجتماعيُّ[1]

أنا أعجبُ أشدَّ العجب من أمرٍ واحد هو في الحقيقة الأمر كله: ذلك هو فشل الجمعيَّات الخيريَّة في بلادنا، ولاً أدلّ على هذا الفشل من قِلَّتها، ولا دليل على هذه القِلَّة كانفراد الجمعيَّة التي نحن اليوم في احتفالها وذهابها بمجد التَّأسيس بين السُّوريِّين، وأنَّ السَّابقة في الخير والاتِّحاد والثَّبات والإحسان وإخلاص النِّيَّة إنَّما هي لها وحدها.

ووجه العجب أنَّنا إمَّا أنْ نكون قد تجرَّدنا من حبِّ الخير فلا نجتمع، وإمَّا أنْ نكون لا نحسن عمل الخير فلا نجتمع عليه.

لا مناص البتة من إحدى الخصلتين أو من كلتيهما، وقد نعلم أنَّ قَوَام كل عمل بنظامه وتصريفه على أصوله الطَّبيعية التي من شأنه أنْ ينصرف فيها، فإذا كان جمع المال يجرى على أصول اقتصاديَّة محضة؛ فإنَّ إنفاقه كذلك يجرى على فعل هذه الأصول، وما يجمع المرء إلا ما يفضل عما ينفقه، والإحسان إنَّما هو وجه من وجوه الإنفاق، وليس كالشرقيِّ رجلٌ مفطور على حبِّ الإحسان؛ لأنَّ تاريخه في كل أرض مملوء بالنَّكَبَات والجوائح التي تعلمه كيف يُحسن، ودينه في كل صبغةٍ مملوءٌ بالعظات والآداب السَّامية التي تُعلِّمه ما هو أسمى وأشرف من الإحسان، وهو كيف يتأدَّب في إحسانه؛ فإذا كان كلُّ ذلك وكان ذلك كلُّه صحيحاً لا ريب فيه كما هو الواقع؛ فما الذي يمنعنا نحن الشَّرقيِّين من أن نكون محسنين بالمعنى الحقِّ، حتى تظهر ثمرة الإحسان، فتُشبع بطونٌ خاويةٌ، وتُكسى أجسادٌ عاريةٌ، وتُصلح عقولٌ باليةٌ، وتُشفى جراحٌ في جسم الإنسانيَّة دامية، ويكون كل شيء عاملاً في تكوين

---

(1) هذه المقالة أصلها كلمةٌ أُلقيت في الحفلة السنويَّة لجمعية (الاتِّحاد والإحسان السُّورية) يوم 26 أبريل 1914م، وقد نشَرَتها مجلة الرِّسالة لأوَّل مرة بعد رحيله بنحو 18 عاماً. راجع: العدد 484، السَّنة العاشرة، الاثنين 2 شوال 1361هـ = 12 أكتوبر 1942م، ص 953-956.

الأمَّة تكويناً صحيحاً، حتى هذا الذي يُقال إنَّه أصل الرَّذائل كلها، ويُقال فيه ما قِيل فيها جميعاً، ويُقال له الفقر!

ليس يذهب بإحساننا ضعفه وقلته؛ فالقليل لو اجتمع لصار كثيراً، ولا يخفى ثمرته أنَّه هو نفسه غير ظاهر، فإنَّ كلَّ شيءٍ يؤتى نتائجه الطَّبيعيَّة ظهر أو خفي، وما الإحسان إلا ضربٌ من ضروب الإصلاح الاجتماعيِّ؛ ولكن الذي جعل الصَّحيح فاسداً، والموجود ضائعاً، والمُثْمر مُنقطعاً، وجعل كل أمر في أيدينا يكاد يكون عبثاً من العبث؛ إنما هو شيءٌ واحدٌ، وهو جهلنا كيفية الإحسان.

لا ريب أننا اليوم أُمَّة، وأننا نتبع الأصول الاجتماعيَّة في كل أمورنا العامة، وأننا نرى بأعيننا تسخير الطبيعة، ونستخدمها لأنفسنا، ولا ريب أننا مجتمع من المجتمعات المتمدنة، ولنا وصف طويل في علم الشعوب، وأنَّ بلادنا ذات لون واضح في خريطة الأرض، ولكن مع هذا كله لا نزال في طريقة إحساننا كأننا في منقطع العالم، أو في رؤوس الجبال، وكأننا لا نزال في معركة الاجتماع الطَّبيعيِّ التي يكون الإنسان فيها جيشاً، والحيوان جيشاً يقابله.

نُحسن إحساناً طبيعيًّاً صِرْفاً، من الفرد للفرد، كيف اتفق وحيث اتفق، نُعطى الدِّرهم بكَسَل لمن يأخذه، لا لكي يعمل به؛ ولكن ليكون ثمرةً من ثمار كسله.

في العصور الطَّبيعية تُخرج الأرض أثمارها بعد أنْ تكون العناصر كلها قد اجتمعت على إنضاجها وعملت فيها أعمالاً كثيرة؛ فيأتي الإنسان ليمدَّ يده، ولا يعمل عملاً أكثر من أنْ يمدها.

وعندنــا تخرج أيدي المحســنين دراهمها؛ فيأتي بعضــ النَّاس ليمدَّ يده، ولا يعمل كذلك عملاً أكثر من أنْ يمدَّها، نحسن مثل هذا الإحسان الذي يذهب بــه وقته؛ فلا ننتفع به في إصــلاح الأُمَّة، ولا ينتفع به الفقير نفســه؛ لأنَّه في الأكثر يُفسدهُ ولا يُصلحه.

ولا يوجد اليوم في أيدي النَّاس درهم من دراهم الخرافات، يصلح أنْ يكون رأس مال، ولا في خبزهم رغيف من رُغْفَان المعجزات التي تُشْــبع الجماعات الكثــيرة، والفقــير متــى أكل بالدِّرهم الذي يُحسَــن به إليه، فقد شــبع من جوعٍ، وتهيَّأ لجوعٍ جديد، فيذهب الإحســان والدِّرهم كما هُما، ويبقى الفقير والجُوع كما هُما أيضاً!

من أجل ذلك وما يتَّصل به، فشلنا وذهبت ريحنا، وركدنا والنَّاس طائرون، ومن أجل ذلك أراني أُحبُّ هــذه الجمعية المباركة، وأُكرم رجالها والقائمين بها، وأمدحهم وأعتدُّهم من العظماء، فالجمعية صندوق أموال، وهي نفسها صــدرٌ يخفق في قلب الإنسانيَّة، والجمعيَّة ســببٌ من أَمْتَنِ أسباب الإحسان، وهي نفســها طريقة أفضــل من طرق التَّربية الاجتماعيَّة، وأكبر فضلها أنَّها من هذه الأمة كالظلِّ في الرَّمْضــاء، والرُّقعة المخصَّــبة في الجدب العريض، وأنَّهــا مجتمعٌ صــحيحٌ في أمة متبدِّدة يمزِّقها كل شــيءٍ، حتــى الأديان التي تُعلِّم أنَّ النَّاس أخوةٌ من أبٍ واحدٍ، وحتى السِّياســة التي تجعل أفراد كل أمَّة أعضاء من أسرةٍ واحدةٍ.

وحتــى الأدب الــذي يضــرب مثــل الإنســان للإنســان، بمثل اليدين تغســل إحداهما الأخرى، مجتمع صــحيح من هذه الأمة العجيبة التي بهرتها الأمم بمعجزات الوطنية والاتحاد والإنســانيَّة والعلم والأدب والاختراع، وأعجزت هــي الأمم كلها في قاعدة حســابيَّة غريبــة، وهي أنَّها أفــرادٌ ولكن ليس لها مجموعٌ في (الحساب)!

ليست العظمة بظهور المرء كما يظهر الممثل أمام المتفرجين في خلقة مزوّرة من رأسه إلى قدمه، ولا في هذه الأخيلة الذهبية التي تملأ رؤوس الأغنياء كأنَّها أرواح الذهب، ولا في نحو ذلك من السَّخَافات (العظيمة) التي ملأت الشَّرق كلَّه؛ ولكن العظمة أحد شيئين: علمٌ منتِجٌ، أو عملٌ مثمِرٌ.

فالعظمة خلقٌ إنسانيٌّ يوجده العلم أو يوجد هو العمل الإنسانيَّ العظيم، فإنْ لم يكن علمٌ صحيحٌ، ولا عملٌ صحيحٌ، فاجمع بين الماء والنَّار قبل أن تجمع بين النَّفس والعظمة، وقد أرى الرجل من عظمائنا وهو من تعاظمه لغناه أو لمنصبه أو لجاهه أو لحسبه، كأنَّ رأسه صندوقٌ من صناديق الموسيقى، وكأنَّ كل حركاته وكلماته إنَّما توقعٍ توقيعاً منتظماً مع (النَّفخة) التي تخرج من هذا الصندوق، ومع ذلك فلا أكرمه ولا أجدُ له في نفسي من المنزلة، ولا أحفلُ بتلك العناصر الأربعة التي أنشأت عظمة من الغنى أو المنصب والجاه والحَسَب، إلا كما يكون في نفسي لبعض قطع من الخشب والحديد والمعدن والنُّحاس، وهي العناصر التي تصنع منها الأدوات الموسيقيَّة.

العظيمُ ذاتٌ مبنيةٌ على مبدأٍ، وما دام كذلك فهو عظيمٌ في خلقه وفي عمله، ولا يسلب هذه العظمة منه إلا الموت، على أن التاريخ يَقْوَى على الموت فيَستَلِبها منه، ويحفظها لصاحبها العظيم، ثمَّ ينفض عليها صبغة الخلود؛ فإذا هي حياةٌ ثانيةٌ لاسم من الأسماء الخالدة التي لا تموت إلا حين يموت الموت! وإذا كانت الذات مبنيَّةً على مبدأٍ، فيستحيل أنْ يسقط الرجل العظيم وذاته قائمة.

وعلى هذه الجهة أتفاءلُ بمستقبل جمعية الاتِّحاد المباركة؛ لأنَّها مظهر من مظاهر الأخلاق الفاضلة في نفوس القائمين بها؛ فهي بناءٌ من الأبنية الرَّاسخة، ولكن انظر إلى أحجارها الخالدة؛ فإنَّ كلَّ حجرٍ إنَّما هو المعنى الإنسانيُّ الذي تنطوي عليه نفس الرجل العظيم.

عندنا رجالٌ كثيرون، ولكنْ ليس عندنا مبادئ ثابتةٌ؛ فالذي ينقصنا إنَّما هو المبدأ، والرجل إذا لم يكنْ على مبدأ؛ فهو من يوم يولد إلى يوم يموت؛ إنَّما يتسكَّع في طريق الأقدار ليقطع مسافة ما بين مهده ولحده، وقد تكون هذه المسافة طويلةً أو قصيرةً، ولكنَّها على كل حال، ليست إلا طريقاً من طرق الموت، ثمَّ يذهبُ من الدنيا وكل ما بقى له فيها حجر من الأحجار، إذا وُجد مَن ينظر فيه؛ وُجد مَن يعرف أنَّه كان في هذه الدنيا رجلٌ اسمه فلانٌ وهذا قبره.

الحياة شيءٌ أسمى من قطع العمر كله في إيجاد قبر من القبور يكون له اسمٌ ولقبٌ وتاريخٌ، كلَّ منا حين يَعْتَزِي[1] يقول عن نفسه كذباً: إنَّه سوريٌّ أو مصريٌّ؛ فما الذي صنع هذا القائل لمصر أو سوريا؟!

ألا إنَّ البلاد لا تعرف النَّاس بأسمائهم، وطبيعة الإقليم لا تميز بين أناسها وحيواناتها؛ فمن الحمير والبغال وصنوف الحيوان ما يُقال فيه سوريٌّ ومصريٌّ أيضاً، ولكن الأوطان تعرف أهلها بأعمالهم؛ وطبقة الفرق بين الإنسان والحيوان إنَّما هي طبقة تاريخه لا غير.

قولوا في الشرقيِّ على العموم إنَّه من بني آدم فقط، ومتى وجدتم رجل المبدأ الذي يظهر مبدأه في عمله والذي لا يعمل إلا ليُتِمَّ تاريخ أُمَّته، وليكون صفحةً من كتاب مستقبلها، والذي لا يخرج من الدنيا حتى يترك من فضائله المنسوبة إليه شخصاً معنويّاً يُسمَّى باسمه، ويُلقَّب بلقبه، ويؤرّخ بتاريخه؛ متى وجدتم هذا الرجل؛ فقولوا فيه حينئذٍ؛ بل دعوا بلاده تقول: إنَّه مصريٌّ أو سوريٌّ.

من أكبر عيوبنا أنَّنا لا نعرف الخلق العام الذي يُجانس بين أفراد كلِّ أمة،

(1) يَنْتَسِب.

ولا نجده إلا في أفراد قليلين منَّا، وهو الذي تقوم عليه الوطنيَّة، ومن أجل ذلك، ليست لنا أمَّة اجتماعيَّة، ومن أجل ذلك لا نتحد.

فَقَدْنا الخُلُق العام أو المبدأ الاجتماعيَّ الذي يرمي لإنشاء المستقبل، وترقية الحاضر، وحفظ الماضي، فصارت الصِّلة بين الفرد والفرد من الأمَّة الواحدة، صلةً لفظيةً لا معنى لها.

أو لستم ترون أنَّنا -كما هو مشهور عنَّا- يُرائي بعضنا بعضًا حتى في الحقِّ، ويُجامل بعضنا بعضًا حتى في الواجب، وليس منَّا من يقدر أنْ يقول دائماً للباطل «لا» وللحق «نعم»؟!

أقولُ «دائماً»، ولا أُريد معناها الصَّحيح؛ لأنَّ قيمة كل شيءٍ تعلو وتنزل عندنا بحسب الأحوال حتى الكلمات التي لا تعلو ولا تنزل، فإنْ شئتم، فاعتبروا معنى قولي «دائماً» غالباً أو بعض الأحيان؛ لأنَّ الشرقيَّ قد فَقَدَ الخُلُق الثابت؛ فلا ثبات له على شيءٍ، ولا ثبات بشيءٍ معه.

ولولا أنَّ أسماء الفضائل من اللغة، وأنَّ هذه اللُّغة ثابتة في كتبها التي تحفظها، لكانت أكثر أسماء الفضائل اليوم عندنا هي نفس أسماء الرَّذائل!

انظروا إلى الرَّجل الإنكليزيِّ الذي هو نتيجة التاريخ الحاضر: إنَّه لا يثق بثلاثة أرباع الأرض التي تملكها دولته، كما يثق بقدر أنملة في باطنه، فالأرض كلها وهي تدور على محورها، وتتقلَّب بالتَّاريخ أجيالاً ودُولاً، ليست في عين الإنكليزيِّ أكبر من قلبه الذي يخفق بين جنبيه، والأرض لا تحفظ له فضيلةً؛ ولكن فضيلته تحفظ له الأرض.

كل إنكليزيٍّ قد يراه النَّاس مصبوباً من معادن بلاده حتى الفحم الأسود؛ ولكنه يرى نفسه إنكليزيّاً، ولا يُبالي ما وراء ذلك، ترونه كالحديد المُصْمت لا ينبعث له صدى؛ لأنَّه للعمل والحِمْل والثَّبات والاستمرار، وإذا كان الشَّرقيُّ

حديداً أيضـاً؛ فهو كالجرس سـواء كان في الأعلى أم في الأسفل، ليس إلا أن يهتز ويصيح بالأصوات الرَّنَّانة من جوفه الفارغ.

يعمـل الواحد منَّا عملاً ضـئيلاً، أو عمـلاً لا قيمة له، فيمـلأ الدُّنيا كلاماً، ويملأ ماضِـغَيْه فخراً، ويملأ رأسـه بهذا النَّوع الذي يُسمُّونه جنون العَظَمَة، ومـا ذلك مـن جهلنا لقيمـة كلِّ عملٍ؛ ولكن مـن عجزنا عن أكـثر الأعمال النَّافعة، ومن مجازفتنا بالأوصاف رياءً ومجاملةً.

وقد ذكر الروَّاد الذين ضـربوا في مجاهل الأرض أنَّهم رأوا قبيلةً من قبائل الزُّنُوج كان أجمل وسـام تسـطع عليه الشَّـمس في صـدر ملكها علبةً فارغةً من علب السَّـرْدين! هي علبة من علب السَّردين الفارغة التي يطرحها أفقر النَّاسـ في الطُّرُقـات، وهي قطعةٌ من الصَّـفيح قد لا تكون لهـا قيمة؛ ولكن ذلـك لا يمنعها أنْ تكون وسـاماً في صـدر الملك الزِّنجي، ومتـى قلنا «المَلك الزِّنجـيَّ»؛ فكأنَّنا قلنا «الزِّنجيَّ» فقط؛ لأنَّ أوصـاف المتوحِّشـين متوحِّشـةٌ أيضـاً، فلفظ الزِّنجيِّ يأكل لفظ الملك، وكذلك أوصـاف الضُّـعفاء، وكذلك أعمال الشَّرقيِّين.

لا تظنـوا أنِّي أنتقص الشَّـرق وأهله وتاريخـه؛ كلا، ولكنِّي أَصِـفُ عيوباً لا يجعلها من المحاسن أنَّها عيوبنا!

ولو سُئلُ أفضل رجلٍ شرقيٍّ عن أحسن فضيلة فيه؛ لقال إنَّها شرقيَّة.

ولو سُـئل أرذل رجلٍ شـرقيٍّ عن أقبح رذيلةٍ فيه؛ لقال أيضـاً: إنَّها شـرقيَّة، فهذا الشَّرق الذي هو مهد التَّاريخ، هو كذلك مهد الأديان ومبعث الفضائل؛ لكنَّ أهله قد أضـاعوا أنفسهم وأضـاعوه؛ فإذا رأوا الفضيلة قالوا: غربيَّة، وإذا رأوا الرَّذيلة قالوا: شـرقيَّة، وأحالوا بكل ذنب على الشَّرق، كأنَّ الأرض تُنبـت الرجال، وتُهيئ لهم العمل، وتُوحـي إليهم المخترعات! وكأننا نريد أنْ

تكـون هذه الأرض مثلنا في التَّقليد، فالبحر يهز أمواجه، ويجب على الأرض أنْ تهزَّ أهلها ليتخبَّطوا على ساحل الحياة.

مـا تقدَّم الغربيُّ وجرى مسـرعاً لأنَّ أرضـه من المطَّاط، ولا تأخَّرَ الشـرقيُّ وجرى متعثراً لأنَّ أرضـه من الصَّـمْغ؛ ولكن أكبر رذائلنا أنَّنا لا نتحد؛ لأنَّنا نجهل التَّربية الاجتماعيَّة، وقد تخلَّقنا بالأخلاق الفرديَّة؛ فصـار الأَلْفُ منَّا وأكثر من الأَلْفِ لا يُحسنون عمل اثنين مُتَّحدَيْن!

الجبل تصـعد عليه مائة قدم شـديدة الوطأة فلا تؤثر فيه ما تؤثر النَّحلة؛ وتتناولـه مائة ألف سـاعدٍ قويَّـة فتزيله عن مكانـه؛ لأنَّ طبيعة الأقدام غير طبيعة الأيدي، فإنْ لم نجتمع، ونأخذ أنفسـنا بأصـول التَّربية الاجتماعية؛ فلا تنتظروا من الشَّرقيِّ أنْ يعمل عملاً.

المَرْأةُ الشَّرْقِيَّةُ[1]

كان للمرأة الشَّـرقيَّة أخـلاقٌ تاريخيَّةٌ تركَتها، فيها عِـزة الملك، فبطلت وبطل معهـا أدبٌ وجِـدٌّ ووقارٌ، وذهـب بها ما لا يسـتخلف، وكان فيها أخـلاقٌ دينيَّةٌ كريمةٌ ففسدت، وحصل من فسادها ما لا ينتهي سخفُهُ، ولا ينتهي العجبُ منه!

وبهذه وتلك مرض باطنها وظاهرها، فهي إلى النَّاس وليست شيئاً، وهي إلى نفسها وليست شيئاً، وصارت مع الرَّجل طبيعة متسلِّطةً على طبيعة أكثر ممَّا هي نوع يُتمِّم نوعاً آخر.

وعندي أنَّه لولا حفاظ الرَّجل الشَّرقيِّ وحميته ديناً وطبيعةً، ولولا حجاب هذه المرأة دهراً طويلاً؛ لانقطعت بها العصْـمة، ولما بقيت لها البقيَّة الصَّـالحة التي لا تزال ترثها وتورِّثها من تصنُّع الحياء وخلق العفَّة وفطرة الدِّين.

فالرَّجل الشَّـرقيُّ هو أوجد هذه الأخلاق، وهو حفظها وأحسن القيام عليها؛ وما كان الحجاب مضـروباً على المرأة نفسها؛ بل على حدود من الأخلاق أنْ تُجاوز مقدارها أو يُخالطها السُّـوء أو يتدسَّـس إليها، فـكلُّ ما أدّى إلى هذه الغايـة فهو حجابٌ، ولن يؤدِّي إليها شـيءٌ إلَّا أنْ تكون المرأةُ امرأةً في دائرة بيتها، ثمَّ إنساناً فقط وراء هذه الدائرة إلى آخر حدود المعاني.

---

(1) مجلـة الهلال، السَّـنة الثَّالثة والثَّلاثون، العـدد 3، 4 جمادى الأولى 1343 هـ = 1 ديسـمبر 1924م، ص 250-252. وأصـل هذه المقالة اسـتفتاء أجرته المجلة بدءاً من السَّـنة الثَّالثة والثَّلاثين، الجزء الأول، 2 ربيـع الأول 1343هـ = أول أكتوبر 1924م، ص 49، حول المرأة الشَّـرقيَّة واسـتكتبت لـه الرَّافعيَّ، وأمين الرَّيحـانيَّ، وعبَّـاس محمود العقَّاد، وجميل صـدقي الزَّهاوي... وغيرهم من النُّخبـة آنذاك، وقد وجَّه المحرِّر إليهم سؤالين، هما:

ماذا يحسن أن تستبقي من أخلاقها التقليديَّة؟

وماذا يحسن أن تقتبس من شقيقتها الغربيَّة؟

ثم إنه فكر في ضـمِّ هذه المقالة بعد سـتِّ سنوات إلى كتابه الشَّهير «وحي القلم» إلا أنه لم يجده؛ فأخذ يلتمسه عند محمود أبوريَّة الذي كان يجمع مقالاته بالمنصـورة؛ فأرسـل إليه رسـالةً مؤرَّخة في 5 يناير 1930م. راجع: رسائل الرَّافعيِّ لمحمود أبوريَّة، رسالة رقم 171، ص 165.

فـإذا تبدَّلت أخلاق الرَّجل الشَّـرقيِّ، وتحوَّلت أخلاق المرأة الشَّـرقيَّة؛ فهو غالبٌ على أمرها؛ وإنَّما تتطرَّق الرِّيبة إلى مذاهبها من مذاهبه، ويرى قومٌ منَّا بعد أنْ فتنتهم المدنيَّة الغربيَّة كيف تصـير نساؤهم؛ وإنِّي لأعرف رجلاً متعلِّماً أديباً أسـلس لامرأته الشَّرقيَّة زِمام أمرها، وجعل يبصِّرُها منذ بنى بهـا أنَّ هذا الحجاب ريبـةٌ وتهمةٌ، ينهاها عن أخلاق نسـائها، ويردُّها عمَّا نشـأت عليه، واختطَّ لها أسـاليب، وزيَّن لها ما شـاء لتخـرج في زعمه على أخلاقها (الشَّرقيَّة التقليديَّة)؛ فلما خرجت من هذه الأخلاق؛ كانت طاعته أوَّل مـا خرجـت منه، ثمَّ تمادت والْتَوَتْ به في كلِّ ناحيةٍ حتى اسـتطارت فيه آخراً كاللَّهب الأحمر.

ولقـد قـال بلسـانه: «واللّه ما شـقي زوجٌ بزوجِهِ ما شـقيتُ بهـا»؛ فقُلتُ له: «ولعلَّـك تـودُّ الآن بجَدْع أنفـك لو أنَّ الحجاب جدارٌ من الطُّوب تلبسـه هذه المـرأة إذا بَـرَزَتْ، وثمانيةُ جدرانٍ من الحَجَر تسـتقرُّ فيها إذا اسـتَتَرَتْ؟»؛ قال: «ليت، وهل ينفعُ شيئاً ليت؟!».

يحسُـنُ بالمرأة الشَّرقيَّة ألا تحاول تبريد الشَّمس في هذا الشَّرق، وأنْ تعرف أوَّل مـا تعـرف فرق ما بينهـا وبين الغربيَّـة فيما جعلته الطبيعـة والأخلاق والأمزجـة فرقـاً، إذْ لا يُفيدها أنْ تبلغ ما تبلغ في علم العالم وتجهل نفسـها وموضع نفسها.

فـإذا هي عرفت ذلـك وحقَّقَتْه لم يُغرِّهـا أنَّ تقليد المرأة الغربيَّة أسـهل في مأتاه ومأخذه، مما تعانيه هي من أخلاق الفضيلة الشَّرقيَّة التي رُكِّبت عليها وسوِّيت لها.

فالـذي يجـب أنْ تحتفـظ به الشَّـرقيَّات ثـلاثٌ: الحيـاء الصَّـادق، والعفَّة الصـحيحة، والخضـوع الجميل الذي هو مظهر الحبِّ لمَـن يجب له الحبُّ،

وهذه الأخلاق لا تقوم إلّا بثلاث أخرى: تصاوُنُ المرأة عن مخالطة الرِّجال إلَّا في ضرورة ماسّة، وحرصُها أشدَّ الحرص على دينها كائناً ما كان، والصَّبر أقوى الصَّبر على (مَكارِه البيت)، فتلك ستَّةٌ إنْ هي أهملَتْها، أو تهاونتْ فيها؛ فإنَّ ذلك يكون من أعظم السَّبب في بوارِ النِّساء الشَّرقيَّات وكسادهنَّ، ثمَّ ما يتولّد من ذلك ويحدث من ورائه، ثمَّ تهوي صخرة الاجتماع الشَّرقيِّ أول ما تهوي على رأس المرأة بنفسها!

***

أمَّا ما يحسن أنْ يقتبسه نساؤنا من المرأة الغربيَّة؛ فالعلم وحده ما هو من نتائجه كالتدبير، والحزم، والبصر بأمور الحياة، وحُسْنِ التصرُّف فيها، وما كانت الشَّرقيَّة في حاجة إلى هذا من قبل؛ بل إنَّ عليها أنْ تقتبس من تاريخها لا من المرأة الغربيَّة.

روى المُبرِّد قال: حدَّثني الجاحظ عن إبراهيم بن السنديِّ أنَّ هاشميَّةً جاريةً حمدونةً كانت تصير إليه في حاجات صاحبتها، وقال: فأجمعُ لها نفسي، وأطرُدُ الخواطر عن فكري، وأُحضِّرُ ذهني وجهدي خوفاً مِن أنْ توردَ عليَّ ما لا أفهمه لبعد غورها واقتدارها على أنْ تُجري على لسانها ما في قلبها. قال المُبرِّد: وكذلك ما يُؤثر عن (خالصة) و(عتبة) جاريتَيْ ريطة بنت أبي العبَّاس -وهذا في الجواري- فأمَّا نساء الأشراف فالقول فيهنَّ متَّسع.[1]

وإبراهيم بن السندي الذي يهاب الجارية هذه الهيبة ويستجمع لها على تلك الحالة، هو الوزير الذي وصفه الجاحظ في بعض رسائله فقال: كان فخم الألفاظ، فخم المعاني، لو قلت إنَّ لسانه أردَّ على الملك من عشرة آلاف سيفٍ شهير وسنانٍ طرير؛ لكان ذلك قولاً ومذهباً.

---

(1) انظر كتاب الكامل في اللغة والأدب للمبرد 4/40، وفي الخبر: «هاشمية جارية حمدونة».

وكلّ فضـيلة المرأة الغربيَّة عندي هي معرفة فنِّ الحياة المنزليَّة على أحسـن أشـكاله، وعلى أرقى ما انتهى إليه من إنشـاء المرأة للبيت، ثمَّ إنشاء البيت للأسـرة، ثمَّ إنشـاء الأسـرة للوطن. فكلٌّ ما كان من هذا المعنـى؛ فلتأخذه نساؤنا علماً، أو عملاً، أو نظاماً، وهو أمرٌ ليس خاصّاً بالغربيَّة؛ بل هو حقيقة الإنسانيَّة في هذه الأنوثة إذا أُريد بها النَّمَط الأعلى من كمالها.

أمَّا ما وراء ذلك من التبرُّج والسَّـفَه والإسـراف وفنون اللهو بين الجنسـين وصناعة الحياة النِّسائيَّة صنعة غير طبيعيَّة واعتبار سلطانة البيت سلطانة الشـارع، أو سـلطانة البيـت حين يكون كالشَّـارع... إلخ؛ فهذا ونحوه لسـتُ أرى فيه رأياً إلّا أنَّ الشَّـرقيَّة يجب أن تبقى شـرقيَّةً خالصةً، فإنَّ الشَّرق في أشـدِّ الحاجة إلى من يردُّ قوَّته عليه، وإلى من يعاني له أسـباب القوَّة، وهي دائماً أسـبابٌ خشـنةٌ في جملتها؛ وإنَّ من الوسـائل التي تبني المرأة الغربيَّة في هذا العصـر؛ ما إذا نقل إلى الشَّرق أبطل أقوى الوسائل التي تبني المرأة الشَّـرقيَّة، فجعلها بذلك لا تَصلح أنْ تُبنى، وجعلها بعد ذلك لا تصلح إلَّا أنْ تُهدم.

الطَّلبة والامتحانات [1]

اشـترَطتْ وزارة المعـارف ألَّا يَجوزَ طالبٌ في امتحان آخر السَّـنة إلا بعد أنْ تُحسب الدَّرجات التي أحرزها في امتحانات نصف السَّنة؛ فإذا تخلَّف طالبٌ في هـذا الامتحان لخمس درجـات (...) [2] في اللُّغة الإنجليزية مثلاً؛ وجب ألا يُعدَّ ناجحاً في الامتحان الأخير إلَّا بشرطِ أنْ يكون قد أحرز عشر درجات فـوق درجة القبول، ودرجـة القبول هذه هي (16) فـلا ينجح ذلك الطَّالب إلا إذا نـال (21)؛ لأنَّـه مديـنٌ لـوزارة المعارف بخمس درجات من نصـف السَّـنة، وهذا على حين يُعدُّ غيره ناجحاً إذا نال في هذه اللُّغة (16) ما دام لم يتخلَّف من قبل.

فتلميـذٌ ينال في اللُّغة الإنجليزية عشـرين درجةً ولا ينجـح، وآخر ينال فيها سـتَّ عشْـرة درجةً ويكون ناجحاً وهمـا في امتحانٍ واحد والأسـئلة واحدةٌ، ولكنَّ أحدهما مَدينٌ؛ فهو في حكم المُفْلِس حتى يوفِّيَ ما عليه.

ومـا ندري في أيِّ شـرعٍ به مثل هذا الدَّين واجـب الأداء قليلاً إنْ كان قليلاً، وكثيراً إنْ كان كثيراً؛ بحيث لا يُترخَّص منه في درجةٍ ولا في نصف درجة.

نحن نُنزِّه الوزارة أشـدَّ التَّنزيه في عهد الأسـتاذ الكبير علي باشـا ماهر أنْ ترمي بمثل هذا العمل إلى إيقاع النَّفرة والبغضاء في نفوس أبنائنا وتُفسدهم علينـا وعليهم؛ فإنَّهم يُصـرِّحون منـذ اليوم أنَّهم مُرهقـون، وأنَّ الوزارة لا تُريد بهم خيراً، وهم يجعلون ذلك عذراً عند آبائهم وأوليائهم، ويقولون إذا كانت الوزارة تعمل على ألَّا ننجح فكيف نعمل نحن على أنْ ننجح؟!

---

(1) الأهرام، العدد (14680) بتاريخ 27 مايو 1925م.

(2) مطموسةٌ في الأصل.

ولستُ أدري –والله- أهو يوم امتحانٍ أم هو الصِّراط والميزان؟! ويومٌ كيوم القيامة لا يكون الحساب فيه إلا على أساسٍ مما مضى مثقال ذرةٍ بمثقال ذرةٍ، وذوقوا ما كنتم تكسبون.

على أنَّ من البديهيِّ أنَّ درجات امتحان نصف السَّنة إنَّما قُدِّرت على قدر علم الطالب بالمواد التي درسها في نصف سنة، فلا يجوز عدلاً أن يكون لهذه الدَّرجات أيُّ شأنٍ في امتحان آخر السَّنة إلا إذا كان امتحان آخر السَّنة مقصوراً على ما درسه الطَّالب في المدة التي بين الامتحانين، وحينئذ تُضمُّ درجات نصف السَّنة الأولى على درجات نصفها الآخر؛ ولكنَّ الوزارة لا تفعل ذلك؛ بل تختبر الطَّلبة في دروس السَّنة كلها، وهذا هو الذي يجعل الرُّجوع إلى درجات الامتحان الأوَّل شرطاً ظاهر التعسُّف لا يُقره إنصافٌ ولا عدلٌ، وبخاصة إذا لم تشترطه الوزارة من أول السَّنة؛ بل فاجأت به الطَّلبة مفاجأةً قبل الامتحان بقليلٍ، وبالأخصِّ إذا أضفنا إلى هذين الاعتبارين أنَّ الوزارة مع هذا كله قرَّرت إلغاء الامتحانات الملحقة التي كانت توسعةً على بعض الطَّلبة المُجدِّين الأذكياء؛ فالأمر من هذه الجهات الثلاث أشبه بالحصار خطاً وراء خطٍ وراء خطٍ.

لقد يئس معظم الطَّلبة من كل وسائلهم إلى الفوز، وبطلت عندهم جميع مقدِّمات النَّجاح، وأصبحوا لا يرقبون يوم الامتحان؛ ولكن يوم الصَّيْحة.

وزارة المعارف أوسع صدراً وأرجح أناةً، وأعظم عدلاً وأكبر إنصافاً من أنْ تريد بهم شرّاً ولا رهقاً ولا ظلماً.

لو أنَّه لم يكن في العدل أملٌ لكان الأملُ في هذا الرَّجل العظيم العادل علي ماهر باشا؛ فنحن في انتظار كلمته التي بها تطمئنُّ القلوب.

إنباءُ الهواتِف[1]

سيِّدي الأستاذ الجليل صاحب المقتطف الأغرِّ

في ليل الخميس 21 من شهر رمضان لهذه السَّنة (19 يونيو) بعد العشاء الآخرة تَوفَّى اللّه الأستاذَ الفقيه الورع سيِّدي الوالد الشَّيخ عبد الرزاق الرَّافعيِّ، وكان من قبلُ رئيسَ القضاة الشَّرعيِّين في أكبر مديريات الوجهيْن القبليِّ والبحريِّ من هذه البلاد، ثمَّ ترك ذلك وأقبل على اللّه، وأرجو أن يكون قد ملأ يديه من زاد الآخرة.

وقد حدثت لوفاته عجيبةٌ من عجائب الدُّنيا نريد رأيكم فيها، فإنَّ لنا أختاً كانت بمدينة الجيزة فلمَّا وقع أمر اللّه أجمعنا أنْ نبعث إليها رسولاً يأتي بها، ثمَّ أنفذناهُ في القِطَار الذي فصل من طنطا في مطلع الفجر، ففي ذلك الوقت بعد أن فرغت السَّيدة من صلاة الفجر، ولم يكن عندها خبرٌ عن أبيها إلا أنَّه في عافيةٍ من اللّه، ولا علمت علماً يهيئ في ذهنها طريقاً إلى الظَّنِّ بما وقع؛ ذهبتْ إلى مضجعها؛ فلم تكد تضع جنبها حتى قرع مسمعها صوتٌ يقول: «أبوكِ مات»، وكانت لم تغفُ بعدُ، ولا أنكرت من نفسها شيئاً؛ ففزعت لذلك ثمَّ غلبتها الثِّقة بما كانت تعرف من عافية أبيها وأنَّهُ لو نزل به شيءٌ لبعَثْنَا إليها على البرق، وهي لا تتخيَّل ولا سلطان للوهم عليها، وكانت قد تعبت من السَّهَر (شهر رمضان)؛ فجاءها كلُّ ذلك بالنَّوم.

فلما قد بلغهم رسولنا وقد امتدَّ الصُّبح؛ أنبأ زوجها وهو من فضلاء الأساتذة؛ فذهب ليوقظها، وعلى أنَّ ذلك ليس أمراً عجيباً فإنَّها ما كادت تنتبه لدعائه حتى سألتهُ: هل مات أبي؟!

(1) المقتطف، باب المراسلة والمناظرة، أغسطس 1919، ص 166 وما بعدها.

فعجب لذلك وأشفق من المفاجأة؛ فذهب يُدافعها عن هذا الخاطر فلم يصنع شيئاً لإقناعها، فأراد أنْ يمشي بالخبر الأليم هَوْناً ما؛ فقال: هو لم يمتْ؛ ولكنَّه مريضٌ؛ قالت: كلاَّ، لم يمرض ولكنَّه مات، ونبَّأتهُ بما هتف بها. ولم يقع لأختنا قبل هذه المرَّة أنْ سمعت هاتفاً أو تخيَّلت أنَّها تسمع، ولا أراها تعلم من أمر الهواتف شيئاً.

ولستُ أُنكر أنَّ بعض ما نقرأ عنه من هذه الهواتف يرجع -إنْ صحَّت الرِّواية- إلى المبالغة في خطأ الحِسِّ أو خطأ الوهْم وخاصة في ما زعموه من أخبار الجاهليَّة كما أشرتُ إلى ذلك في الجزء الأول من (تاريخ آداب العرب)؛ ولكن ما تقولون في ما نحن بصدده وهو واقعٌ لا ريب فيه؟!

وقد ورد أنَّه لما قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعوا قائلاً يقول من جوف البيت يسمعون صوته ولا يرون شخصه: «إنَّ في الله خَلَفاً من كلِّ هالك، وعِوضاً من كلِّ فائت، وإن المُصابَ من حُرِم الثَّوابَ»، إلى أشباه لذلك كثيرة لا محلَّ لنقلها هنا ولا تعليلها بما تؤمن به؛ فإنَّنا تلقاء مذهب كمذهب ذلك الذي قال: «لا أُصدِّق حتى أضع إصبعي...»[1]

---

(1) كتب صاحب المقتطف ردّاً على هذه الرِّسالة: «نرجح أنَّ أختكم سمعت صوت الرَّسول يخبر زوجها بوفاة والدها وهي نائمة بعض النَّوم، أي بعض حواسها نائمٌ وبعضها مستيقظٌ، فكانت تسمع مثلاً وتعي ما تسمعه؛ ولكنَّها لا تدرك أنَّها سمعتهُ سمعاً؛ بل تحسبهُ حلماً حلمت به؛ أما حسبانها أنَّها حلمت ذلك الحلم أو سمعت ذلك الهاتف بُعَيْد صلاة الفجر لا حين وصل النَّاعي فمن خطأ الحكم في الزَّمان؛ لأنَّ النَّائم تتعذَّر عليه معرفة الزَّمن. وهناك تعليلٌ آخر يقول به البعض؛ وهو أنَّ روح الميِّت أو روحاً أخرى انتقلت من طنطا إلى الجيزة وأخبرت ابنة الميِّت بما حدث؛ لكنَّ نواميس هذا الكون تجري على سنن واحد، فإذا كانت الرُّوح تنتقل وتخبر إحدى بنات الميِّت فينتظر أنْ تنتقل وتخبر كلَّ بناته وأبنائه، وأنْ تنتقلَ روح كلِّ ميِّت وتخبر ذوي قرباهُ أو بعضهم؛ ولعلكم أمعنتم النَّظر في التَّعليلين ترون أولهما أقرب إلى العقل التي عرفتها؛ ولكنَّه أقوى منها كلها في هذه الخاصيَّة، فجدير بالدارسين من إخواننا الزِّراعيِّين أن يجروا معارفهم النَّظرية مجرى العمل مع التَّفنُّن والتوسُّع بالتَّجربة والاختبار». راجع نفس المصدر السابق، ص 167 وما بعدها. والعبارة الأخيرة مقتبسةٌ من الكتاب المقدَّس حيث وردت على لسان توما: «إنْ لم أبصر فى يديه أثر المسامير، وأضع أصبعى فى أثر المسامير، وأضع يدى فى جنبه؛ لا أؤمن»(يوحنا 25:20).

حقيقةُ الهاتف[1]

سيِّدي الأستاذ العلَّامة الجليل..

قلتم في ما بيَّنتم من أمر الهاتف الذي سُقْتُ خبره في مقتطف الشَّهر الغابر، وأنَّه هتف بأختنا في مدينة الجيزة يُنبئها موت الأستاذ الوالد -رحمه الله- أنَّكم تُرجِّحون أنَّ أختنا سمعت صوت الرَّسول يُخبر زوجها بوفاة والدها، وكانت في منزلة بين النَّوم واليقظة؛ فاشتبه عليها ما سمعت، وأجرَته مجرى الحلم؛ ومن ثمَّ أخطأت الحكم في تعيين الزَّمن الذي سمعتْ فيه الصَّوت وحسبتهُ كان بعد صلاة الفجر إلخ.. ولقد يكون ذلك وجيهاً لو أنَّ الحادثة تقبل التَّأويل في مساقها، أو تحتمل أنْ يضطرب فيها قولان؛ غير أنَّها نصٌّ يتعيَّن أنْ يمضي على وجههِ ويستقيم على حقيقتهِ؛ فإنَّ السَّيِّدة صلَّت الفجر وميقاته معروفٌ، ثمَّ انتقلت إلى مضجعها ولا يتجاوز ذلك منتصف السَّاعة الرَّابعة صباحاً؛ فلم يكد يطمئن جنبها حتى سمعت الصَّوت يهتف بها «أبوك مات»؛ فانتفضت جالسةً تتأمَّل وتَعِي؛ وإنَّما هو هَمٌّ أَهَمَّها، وخليقٌ بها أنْ تكون قد ضاقت بما ورد عليها منه، وأنْ تفزع فيه إلى وعيها وانتباهها فتؤامر نفسها في مَرَدِّهِ ومأتاهُ حتى يتبيَّن لها حقُّهُ وباطلهُ، وكلَّ ذلك قد فَعَلَت، ثمَّ غلبَتْها الثِّقة، وظاهَرَتْها أدلَّةُ نفسها؛ فحسبت الصَّوت أمرًاً شُبِّه لها، وظنَّتهُ باطلاً من الباطل؛ فاطمأنَّتْ لذلك إلى ذلك، ووجد النَّوم من اطمئنانها سبيلاً. وإنَّ امرأً يعتدل من ضجعته فيستوي جالساً، ثمَّ يفكر ويتدبَّر ويعترض أقاويل نفسه يضرب زعماً بحجَّة، ويدفع ظنًّا بيقين، ويمرُّ في ذلك حتى ينتهي إلى مقطع من الحقِّ، ويقفُ على مطمئِّنٍ من الرَّأي فينام عندئذٍ وقد تعيَّنت السَّاعةُ له بميقاتٍ معروفٍ وهو صلاةُ الفجر، ثمَّ

---

(1) المقتطف، باب المراسلة والمناظرة، سبتمبر 1919، ص 248 وما بعدها.

ينتبه والنَّهار عند سابعته لا يُمكنه أبداً أنْ يخلط هذه وتلك، ولا أنْ يخالجهُ الشَّكُّ في أنْ يكون الفجر فجراً والصُّبح صبحاً إلا إذا أمكن أنْ يكون قد نام في نومه، وحلم أنَّه صلَّى الفجر وسقطت بذلك عنه الفريضة فلم يَقْضها، ومهما ينسَ مثل هذا؛ فلا ينسى قرائن الحادثة وهي شهودٌ يذكر بعضها بعضاً، وما يثبت في الذِّهن شيءٌ كالذي تذكِّر به قرائنه.

وذكرتم تعليلاً آخر قلتم فيه إنَّ بعضهم يذهب إلى أنَّ روحاً ما هي صاحبة الصوت، ثمَّ استدركتم عليه بأنَّ نواميس الكون تجري على سَنَنٍ واحدٍ؛ فينتظر أنْ تذهب روحُ كلِّ ميِّت فتخبر ذوي قرباه أو بعضهم، ولقد كان يلزم ذلك أو ينتظر لو أنَّ كلَّ روحٍ ككلِّ روح وكلَّ ميِّت فإنَّما هو يموت على ما قُبض عليه سواهُ، وكيف ذلكَ والأعمالُ مختلفةٌ والضَّمائر بحسبها والدُّنيا مزرعةُ الآخرة، ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾[2] على أنَّ الأرواح لو أتى لها أنْ تفعل ذلك وأنْ تجتمع على إنشاء مصلحة تلغراف؛ لفعلت غيره وغيره؛ فيوشك أنْ ينكشف الغيب من جهاته فإذا هو شهادةٌ، وإذاً لسقطت الأديان القائمة على الإيمان بالغيب ولبطلت حكمة الوضع الإلهي ولتدافن النَّاس يَقبُرُ بعضهم بعضاً؛ لأنَّ أحداً يومئذ لا يحتمل تكاليف هذه الحياة في خيرِها وشرِّها، ويكون بطنُ الأرض خيراً من بطنِ الأمِّ.

إنَّما يقع مثل هذا الهاتف في النَّدرة والفلتة لأمرٍ من أمر الله ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾[3]، وما تُشير إليه هذه الآية الكريمة هو رأي هذا الضَّعيف وما بنا عن رأي الأستاذ الجليل غِنىً، وقد سُقْتُ الحادثة على وجهها ورأيُهُ الموفَّق إنْ شاء الله.

---

(2) سورة الإسراء/ 21

(3) سورة مريم/ 64

الطَّيْف في الحلم[1]

سيدي الأستاذ الجليل صاحب المقتطف الأَغَرِّ...

نشرتم في جزئَيْ شهر سبتمبر وأكتوبر لسنة 1919م من المقتطف ما بعثتُ به إليكم من نبأ الهاتف الذي هتف بأختنا وهي في مدينة الجيزة ينعي إليها الشَّيخ التَّقيُّ الوَرِعُ سيِّدي الأستاذ الوالد -رحمة الله عليه- في اللَّيلة التي لحق فيها بربِّه إذْ تُوفِّي بمدينتنا هذه طنطا، ولقد وقع في بيتنا بالأمس ما هو أعجب في باب النَّظر من ذلك الهاتف في باب السَّمع؛ بل ما لا يكاد يُصدَّق لولا أنَّه حقٌّ واقعٌ، فإنَّ أصغرَ إخوتي -وهو في الحادية والعشرين من سِنِّهِ ومن المتقدِّمين لامتحان البكالوريا- قد تأرَّق في السَّاعة الثَّانية من صباح يوم السَّبت 20 مارس شهرنا هذا، ووجد في نفسه ضِيقاً، وفي صدره حَرَجاً، وفي جوفه ظمأً مِن حَرِّ الغرفة التي هو فيها؛ فقام إلى الماء فشرب، ثمَّ انقلب إلى مضجعه فاطمأنَّ فيه، وأخرج رأسه من الكِلَّة[2] يستروحُ إلى الهواء، وكانت الغرفة التي أمامه قد تُرِك مصباحها مضيئاً على غير العادة واكفُئَ بابُها إلا فرجةً بين مصراعيه تمجُّ رشاشاً من الضَّوء، فبينما هو ساكنٌ إلى حاله تلك إذْ سمع في جوف اللَّيل قرعاً على البلاط فأنصت مستوفزاً، ولم يكد يستجمع حتى أبصر بعينيْ رأسه أباه مقبلاً على الغرفة وفي يده عصاهُ ينقلها على الأرض كما كان يصنع إذْ يمشي في حياته، فلمَّا صار قريباً من الباب نظر إليه مبتسماً، ثمَّ أخذ ميسرَةً إلى غرفة أخرى.

قال فاقشعر جسمه، وتلجلج لسانهُ، وأخذته رجفةٌ، وجعل يتلو آياً من القرآن، ثمَّ وثب إلى مفتاح الكهرباء فأطلق النُّور ولبث لا يغتمض له جفنٌ حتَّى انطفأت مصابيح اللَّيل في الأرض والسَّماء.

---

(1) المقتطف، باب المراسلة والمناظرة، مايو 1920، ص 447.

(2) سترٌ رقيق مُثَقَّبٌ يُتَوَقَّى به من البعوض وغيرِهِ، والجمع: كِلَلٌ.

ولقد رأى أباه -رحمة الله عليه- في ثياب من ثيابه التي كان يلبسها في حياته، ولم ينكر منه شيئاً؛ إلا أنَّ نوراً خفيفاً يُقبل من وجهه فيلقي على ناظره هيبةً ليست من هذه الدُّنيا، فما رأيُ أستاذنا في هذه المكاشفة؟![1]

(1) جاء ردُّ المقتطف على هذا النَّحو: «لهذه الحادثة أمثال كثيرة يرويها الرُّواة عن أناس تُوفُّوا حديثاً، وعن أناس تُوفُّوا منذ عهدٍ طويلٍ وهي تفسَّر على أسلوب من أسلوبين، الأول: أن يكون الميِّت -ولا سيما البالي- قد جمع عناصر جسمه من التُّراب، والسُّحب التي طار إليها بخار الماء منه، ومن الدُّود الذي أكل لحمه، ومن جذور الأشجار التي وصلت إلى رمَّته، ومن فضلات ثيابه البالية، وإن كان له عصاً وحُرقت بعد موته فمن عناصرها التي تبدَّدت في الخلاء وعاد جسماً سويّاً ليراه النَّائم ولو كان مستيقظاً، هذا هو الأسلوب الأول. والأسلوب الثَّاني أن تكون مخيلة النَّائم لا تزال شديدة الانتباه إلى ما في دماغه من الصُّورة والقوَّة الحاكمة التي تصلح خطأها لا تزال خاملة؛ فيعتقد أنَّ الصُّورة التي تذكرها هي شخص حقيقيٌّ، ولا تصلح القوَّة الحاكمة اعتقاده هذا؛ لأنَّها تكون نائمةً أو خاملةً، ولولا هذه القوَّة لاعتقد الإنسان صحة كلِّ هواجسه، أما نحن فعقلنا لا يُسلِّم إلا بصحَّة التَّفسير الثَّاني». انظر المرجع السَّابق ص 447 وما بعدها.

مِصْبَاحُ الكَهْرُبَاءِ[1]

ما هذا؟!

صرف الله عنك شدَّة البياض في غير الأعراض، أسئمتَ اللَّيلَ فأذريته صُبحاً وأوريتَه قَدْحاً؟! أم زهدتَ في السَّواد، لغير الحِداد؟! وللعيون والأهداب، لا للفنون والآداب، فأطلعت من سقفك الكواكب تتألَّق، كالعيون السَّواكب تتدفَّق، وأعفت تلك المصابيح، وهي كالحظِّ تميل مع الرِّيح، فإنْ كنتَ أشفقتَ أنْ تطول ألسنتها فتسود عرض الحائط، فإنَّ قطع اللِّسان، يكون بالإحسان لا بالهجران، وما الذي جنته -عفا الله عنك- حتَّى تجفِّفَ من الهجر لَهَوَاتِها[2]، وتأخذَها بغير هفواتِها، وتطرَحَها جانباً، وتنأى عنها مغاضباً؛ فلا كلمة مواساة تُطفئ من لوعتها، ولا نفخةً من صدرك لصدرها تخفِّف من حرِّها.

ولا عناية من أمرك بأمرها، تجبُرُ من كسرها، وهل عمي اللَّيل وسألك العلاج، فصنعت له أعيناً من زجاج؟! أم سألَكَ النَّاس آيةً تخرق العادة؛ فمثَّلت لهم بعد الغروب الشُّروق؟!

أم انتجع غيثك بعض المجدبين فخيَّلتَ له البُروق؟! وما أشك أنَّك أمسيت تحاول تجزئة القمر، فتكون منك لكلِ أمَّةٍ فلقةٌ إلى آخر العُمُر!

لا أعجبُ -واللهِ- من فرعون حين قال: هذه الأنهار تجري من تحتي، ولكنِّي أعجب منك حين تقول: هذه النَّارُ أجري من تحتها، وليتني أعلم أهي استعارةٌ أم مجازٌ؟! ومن مناهل الغاز أم من مسائل الألغاز؟!

---

(1) هذه المقالة أصلها رسالةٌ قديمةٌ بعث بها الرَّافعيُّ إلى صديقٍ له كان قد استبدل نور الكهرباء بنور الغاز، راجع الحديقة، ج 6، العدد (6)، 30 رمضان 1340 هـ = 1 مارس 1930م، ص 224-227.

(2) جمع لَهَاة، وهي قطعة اللَّحم التي تكون في أقصى سقف الفم.

وكأنِّي بأصـابعك وقد عرفت أنَّ لها خواتم في الهواء، فهي تلعب كما تشـاء؛ مرة تحبِّب لجليسـك العَمَى، وتتركه لا إلى الأرض ولا إلى السَّما، بأسفه ليل كلما شئت أظلما، ومرةً تُذكِّره بيوم النُّشور، فتبعث عليه النُّور، بعد أنْ يكون في ظلمة القبور!!

هذا على أنَّ كواكبك من الزُّجاج، لا من الأبراج، فكيف لو كُنَّ لا كما تظنَّ؟! أكنتَ تبتلعُ الشَّمس لتقول أنا اليومُ والأمسُ؟!

أم كنـت تلـفُّ الأرضـ بالأرضـ، لتنـزل علينـا آية ﴿ظُلُمـاتٌ بعضُـها فوقَ بعضٍ﴾[1]؟!

وإنِّي لأنتظر لك ليلةً يخفق فيها زفير الكهرباء فينقطع بعض الأسلاك، ويقع وحش الظُّلمة في تلك الشِّـباك، هنالك إذا استوحشت فرفعت رأسك غنَّتك القنـاني لا القيان، وترامـت على قدميك تفديك بدمائهـا المختلفة الألوان، وإذا مـددت رجلك إلى الباب، ليكشـف لك النِّقـاب، ويُميط هذا الجلباب، حسـبك تحييه فحيـاك، وأبى -أدَام الله عليه العافيـة- إلا أنْ يُقبِّل جبينك ويلثم فَاك.

وربما مدَّ ذراعه إلى الطَّوق، والظلمة تدعو إلى شـدة الشَّوق؛ فيظنَّه عناقاً، وتظنّـه خناقـاً، ثمَّ تلتمس المخرج فتحسـب الحيطان أنَّك تسـألها الحنان؛ فتضـمُّك إشفاقاً إلى صدرها، وتأخذ رقبتك لنحرها، وهكذا من حبيبٍ إلى حبيـبٍ، ومن نصـيب في هذا الهوى إلى نصـيبٍ، حتى يوم الكيل، ويكشـف عنك الغطاء فتبصر آية اللَّيل.. والسَّلام.

---

(1) سورة النُّور/ 40.

إلى مُهندسِ مَنْزِلي[1]

تأملتُ رسمك الجميل الذي وضعتَه لمنزلي، وتتبَّعتُ الاتِّصال فيه بين قريحتك المبدعة وبين شكل الطَّبيعة وروحها؛ فأشهدُ لكأنَّ الرَّسم بما فيه من القوَّة يحاول أنْ يحيا في نظر من يتأمَّله.

إنَّك بهذا الذَّوق السَّليم الحيِّ لتُعطينا السُّرور في شكلٍ من الفنِّ حتى لو ملك المالك رقعةً من الأرض، كالبقعة من الظُّلمة لوضعتَ لها من هندستك غُرَّة فجْرٍ يُضيء عليها، وأراك بهذه الدِّقة وهذا العلم؛ كأنَّما ترغم الطَّبيعة أنْ تُقدِّم لك حساباً عن كل مكانٍ تتناوله منها، وأحسبها لو هي صنعتْ بناءً كما تصنع ثمارها وأزهارها؛ لجاءتْ به في موضعه على الرَّسم الذي تتخيَّله أنت لموضعه، كأنَّك أُعطيتَ بالعلم سرَّ إظهار الجمال في أشكاله، كما أُعطِيَتْ هي بالقدرة سِرَّ تكوين الأشكال في جمالها.

ما أبدع ما تمزج أيُّها السَّاحر بين القريحة والمادَّة، وما أدقَّ أنْ تصل بين الجمال والمنفعة، وما أكمل ما تحقق بين المخيِّلة والواقع!!

إنَّ هذه الخطوط التي رسمتَها لتكون ميلاد بيتٍ جميلٍ، هي نفسها ميلادُ فنٍّ بليغٍ يُقيمُ لك بناءً فخماً من إعجاب مُحِبِّكَ.

---

(1) نُشر بالحديقة لصاحبه محب الدين الخطيب، العدد الثامن، أول سبتمبر 1930م، ص 108 – 109.

في عيدِ ميلادِ المسيحِ[1]

أيُّها السادة..

مَلَكٌ من ملائكة الرَّحمة، يهبط من سماء الله آتياً من حدود الأبد، ولجناحيه حفيفٌ طالما أنست به نسمات الجنَّة، وتعلَّقت بأطرافه أرواح أزهارها الخالدة، كأنَّها معاني الوَرْدِ في لفظ عطر الوَرْدِ.

صفَّ جناحيه العظيمين ثمَّ خفق بهما خَفْقةً؛ فانزوت له سماءٌ وسماءٌ، وأسلمه فضاءٌ إلى فضاء؛ فإذا هو في ذؤابة هذا الكوكب الأرضيِّ؛ فوقف هناك عند الحدِّ الذي أقامه الله بين المعنى الخالد والمعنى الفاني، الحدِّ الذي يبتدئ منه ضوء الشَّمس رقيقاً مستشعراً من رحمة الله، فيكون للمخلوقات الأرضيَّة نوراً وحياةً معاً، وهو في أصله لهبٌ ماحِقٌ لو أُلقيت فيه كُرَةُ الأرض لاستحالت في لحظةٍ واحدةٍ شعلةً واحدةً.

هناك حيث تزدحم الأقدار، على مداري الليل والنَّهار، وقف المَلَكُ الكريم ولا تزال على قوادم جناحيه مَسْحَةٌ زاهيةٌ من نعيم الخُلْد، ولا يزال فيها روحٌ من ريحان الجَنَّة، وقف ينظر فإذا الأرواح الإنسانيَّة صاعدةٌ من الأرض في زحام، منهزمةٌ من شرور النَّاس أيَّ انهزام، متقهقرةٌ إلى ربِّها بعد المعركة بلا نظام؛ فصرف وجهه ناحيةً ثانيةً، فإذاً دعوات المظلومين، وأَنَّات المحزونين، وتأوُّهات المساكين، وزفرات الوالدات والوالدين.

فانفتل إلى ناحية غير الناحيتين؛ فإذا الحياة الأرضيَّة كأنَّها خيطٌ وُضع من مِقْراض الفناء بين شَفتين، أو غريقٌ يخبط في لُجَّةٍ بين ساحلين، ولا يدرى

---

(1) نشر هذه المقالة تلميذه الأستاذ سعيد العريان في مجلة الرِّسالة، السَّنة السَّادسة، العدد 281، ص 1902، 29 رمضان 1357 هـ = 21 نوفمبر 1938م، وقد أشار في كتابه «حياة الرَّافعيِّ» إلى أنَّ صديقاً مسيحيّاً للرَّافعيِّ طلب إليه أن يكتب كلمة لطالبة مسيحيَّة تُلقيها في حفل بإحدى المدارس في ذكرى عيد الميلاد؛ فكانت هذه الكلمة. راجع حياة الرَّافعيِّ، ص 322.

قبره في أي السَّاحلين، أو المحكوم عليه بالموت أُوقِف بين سيفيْن، ولكنَّ الموت واحدٌ في السَّيْفَيْن.

فلم يبق من الجهات الأربع إلا جهةٌ واحدةٌ؛ فتحوَّل إليها الملك؛ فإذا هناك في أقصى الأفق معنى الرَّحمة الإنسانيَّة، وقد انكمش وتضاءل وأخذ منه الهزال كأنَّه مريضٌ، أو كأنَّ الحزن على النَّاس قد أذابه فقطع الرجاء منهم، وانزوى في ناحية ينتظر نهاية هذا القَدَرِ المُنْصَبِّ من السَّماء على الأرض!

جزع الملك من ذلك وكاد، وهو قطعة من الخُلد، يُداخله الخوف ويُخالجه الشَّكُّ، وتمسُّه بعض الآثار الفانية؛ فقال: ما بالي قد تبلَّلتْ أجنحتي من رشاش هذه الدُّموع وهذه الدِّماء؟! وما بال هذا العالم الآخر ليس فيه إلا متألِّمٌ لميِّت، أو متألِّمٌ لحيٍّ، أو متألِّمٌ لنفسه؟!

وما بالُ الحياة قد أمست من شدة بؤسها وكَدَرِها وهمومها تطحن أكثر مما يطحن الموت؟!

هل بقي شيءٌ إلا النَّفخةُ في الصُّور، وبعثرةُ مَنْ في القبور، ووقوف الفلك الدَّوَّار فلا يدور، وانطفاءُ نور الأرض فلا ظلامٌ ولا نورٌ؟!

وقف الملك الكريم أربع سنوات وأشهراً وهو ينتظر يوماً يرى فيه السَّماء مُسفرةَ الوجه برضا الله ونعمته، بعد غضبه ونقمته، فلمَّا سطع ذلك اليوم المضيء وأبرقت بفجره أسارير السَّماء؛ هزَّ الملك جناحيه على المشرق والمغرب، وانتفض في جوِّ الأرض انتفاضةً ملائكيَّةً أطفأ بَرْدها غيظَ القلوب المتأجِّج الذي تشاتمت به أفواه المدافع زمناً طويلاً، وهبَّ نسيمها الآتي من الجَنَّة فدافع إلى ناحية الجحيم كُلَّ روائح البارود ودُخَان القنابل ولهب النَّار.

ثم ضحك الملك مسروراً؛ فانتثر من ضحكة الابتسام على كلِّ الشِّفاه، وأصبح جوُّ الأرضِ من مطلع الشَّمس إلى مغربها وهو يتلألأ كأنَّه ثغرُ طفلٍ يضحك في وجه أُمِّه.

وسمع الملك حَمْدَ النَّاس وشكرهم وتهنئة بعضهم بعضاً، ورأى الأرض وقد سكنت بعد غليانها، وأقبل أهلها يُصلحون ما فسد، ويبنون ما تهدَّم، ويُديرون في الأرض حركةً جديدة، ويُسخِّرون العناصر لبناء الطَّبيعة الاجتماعيَّة أو لهدمها كما كانوا يفعلون؛ فقال: الآن أصلحتُ بين النَّاس، وأصلحتُ النَّاس للنَّاس، ثمَّ رمى بطرفه إلى الجهات الأربع؛ فإذا معنى الرَّحمة قد ملأها واستفاض عليها، فهزَّ جناحيه صاعداً في فلك النُّور، وفي أذنيه تهليل النَّاس وصلواتهم، حتى إذا انتهى إلى أُفُقه الأعلى كانت الكلمة الأخيرة التي دَخَلتْ معه إلى سماء الله هي نفس الكلمة الأولى التي خرجت من سماء الله.

وعلى الأرض السَّلام، وفي النَّاس المسَرَّة!

زواج الأدباء[1]

أمَّا احتراف الأدب، والكتابة في الصُّحف، ومعالجة الشِّعر، فهذه في الشَّرق ضُروبٌ من الفقر، كما هي ضروبٌ من الحرفة، غير أنَّه فقرٌ عاقلٌ مميزٌ يذهب بنفسه إلى السُّمو، وينزع إلى الحقِّ، ويستنكف أنْ ينحطَّ إلى منزلة الفقر العاميِّ الجاهل!

فالحوذيُّ، والكنَّاس، والمُتسوِّل، وأمثالهم من هؤلاء الذين يضطربون في معاشهم اضطراب الكرة الأرضيَّة، يقطعون كلَّ أربع وعشرين ساعة دورةً حول أنفسهم.

هؤلاء يتزوجون إذْ لا يتورَّعون أنْ يظلموا المرأة، وأنْ يزيدوها من فقرهم فقراً، ومن قِلَّتهم قلَّةً؛ ثمَّ هم لا يبالون حاجتها من الحياة، ولكنَّ حاجتهم منها هي!

فالمرأة عندهم وظيفةُ حياة طبيعيَّة لا يُشترط فيها إلا شرط الغريزة والعادة الاجتماعيَّة، وفي طبقاتها في النِّساء مَنْ لا يصلحن إلا لهم؛ وقد أعدتهن رحمةُ الله إعداداً طبيعيّاً، وأمدَّتهن بنفوسٍ صابرةٍ قويَّة؛ فلها أنْ تعمل وترضى وتنقاد، إذْ الرجل عندهنَّ هو الجوادُ الأخير في عربة الحياة، ومتى فُرشت دار الفقير بحصير فهذا هو بساطها وسِجَّادها الفاخر!

بيد أنَّ الشَّاعر والأديب وكاتب الصُّحف لا يرون على فقرهم إلا البساط والسجَّاد الفاخر والحشايا؛ فهؤلاء فقرهم هو الفقر ما دام لأنفسهم، فإنْ اتَّصل بالمرأة التي تَصلُح زوجةً لهم -أو تكون قريبةً من أنْ تصلح- لم يكنْ فقراً فحسب؛ بل فقراً وظلماً وبلاءً إنسانيّاً أسود، ومن ثمَّ لا يتزوَّجون، وهذه

---

(1) هذه المقالة نشرها الأستاذ نعمان أحمد عسكريَّة في مجلَّة الرِّسالة، السَّنة العاشرة. العدد 482، بتاريخ 17 رمضان 1361 هـ = سبتمبر 1942م، ص 920، أي بعد نحو خمس سنوات من وفاة الرَّافعيّ.

ناحية من العدل في ذلك الفقر العاقل المميَّز الذي يحترف الأدب والشِّعر والفلسفة والكتابة في الصُّحف، فليس هنا طبيعة عبقريَّة ولا شعر؛ وإنَّما ذاك عمل النَّفس الطَّيِّبة لا غير!

ولكنَّك واجدٌ منهم من ينتحل العبقريَّة، ويُقلِّد الشَّاعر الفحل والعبقريَّ الكريم، وهذا شخصٌ مضحكٌ؛ فإنَّ الملك لا يكون بالتَّمثيل على خشبة المسرح، أمَّا الشَّاعر الحقُّ والعبقريُّ الصحيح، فكلاهما واحدٌ من ثلاثة:

الأول: أنْ يكون من مؤنَّثي الرِّجال، قد خُلق كذلك، أو عَرَضَت له آفةٌ تنقص الفحولة فيه أو تمحقها محقاً؛ وهذا معه عُذْرُهُ البَيِّن.

والثاني: أنْ يكون رجلاً قد طَغَتْ فيه الحياة طغيانها العصبيَّ الشديد المجتاح، ثمَّ يكون الفنُّ طاغياً فيه طغيانه الخياليَّ العنيف المتمرِّد، وهذا لا يصلح زوجاً ولا تصلح الزَّوجة له؛ فإنَّه إنَّما يريد المرأة المُغِلَّة، كأنَّها ضيْعة من الفنِّ الحيِّ تُغِلُّ عليه من رِيعها وثمراتها، وقد أبى الشَّيطان -لعنه الله- أنْ تكون المرأة المغلَّة في الفنِّ إلا امرأةً محرَّمةً، ومتى كان الشَّيطان في الأمر استطاع أنْ يجعل لكلِّ امرأةٍ فنّاً على حدةٍ!

ومن ههنا فسوق الكُتَّاب والكثرة من العباقرة، وهذا سِرُّ تعزُّبِهِم وانصرافهم عن الزَّواج أو انصراف الزواج عنهم، وهؤلاء بركةٌ على الفنِّ، ولكنَّهم بلاءٌ على الدِّين، وعلى الفضيلة، وعلى النَّسل، وعلى الإنسانيَّة كلِّها.

ومن سخرية الحياة بهم أنْ يكون العبقريُّ العظيم فيهم، هو من ناحيةٍ أخرى الحيوانَ العظيمَ!

وليس إبليس مغفَّلاً ولا أحمقَ فيتَّخذ له أدوات من المساجد والكنائس، ويشتغل ببيع السبَح والتعاويذ للمُصلِّين؛ بل هو كما يتخذ المرأةَ من المومسات في موضعها؛ يتَّخذ الرَّجل من أولئك في موضعه أيضاً، وهذا شأنٌ ظاهرٌ.

أمَّا الثَّالث ففي رأيي أنَّه خير الأزواج جميعاً، ولن تجد المرأة خيراً منه، وهو العبقـريُّ إذا كان تامَّ الفحولة، وكان ذا دين يُمسـكه وضـمير يردَعُه، فهذا يكون الحيوان الذي فيه قيدُهُ، ويكون شُـذُوذُهُ كالليل الممتاز في ليالي الشَّـهر يأتي ظلامه وفيه البدر.

نعم إنَّ هذا العبقريَّ قد يخسر أشياء من وسائل الفنِّ ولكنَّه مستعيضٌ عنها بخياله، ويشـعر بها محرومـاً أكثر ممَّا لو نَالَهَا، ثـمَّ إنَّ الفنَّ ليس في جميع أدواره وأغراضه تخنيثاً للحياة ولا تفكُّكاً وخلاعةً ورقاعةً.

هناك ما هو أسمى من كلِّ أعمال العبقريِّ، هو إيجاد فضيلةٍ عبقريَّةٍ!

مع أعلام عصره

إلى الأستاذ فكري أباظة[1]

أشكرُ لك أنِّي خطرتُ ببالك حين أهديتَ مجموعتك لمن أهديتهم، ولا أدري إنْ كنتَ تعرف أنَّ في تاريخ الأدب العربيِّ رجلاً اسمه (أبو العِبَر)، ولا إنْ كانت روح أبي العِبَر هذا تعرف أنَّ في مصر اليوم رجلاً اسمه (فكري أباظة)!

ولكن اعلم -ولا مؤاخذة- أنَّ أسلوبكما واحدٌ (تقريباً)، وأنَّ كليكما جعل نفسه من بعض النَّاس بمنزلة (العربجيِّ) الحكيم من خيله، فتارةً يصبُّ على ظهورها الماء في الإسطبل، وتارةً يصبُّ على ظهورها السَّوط في الطريق.

كان -رحمه الله- فيما جن أعقل ما يكون العاقل فيضحك الواحد بما يؤلم الآخر، وأراك -حفظك الله ورحمك- فيما بعد تداعب أشد ما يكون ذو الجدِّ في الجدِّ؛ فتضرب فتضحك، وتأتي لكلِّ عيب تريد أنْ تستره بمقالة في المِرآة الصافية وتقول: ههنا أختبئ .. أختبئ أمام المِرآة!

وكان أبو العِبَر -بل قل أبو أسلوبك- يقول فيما يصف للنَّاس من أساليب البلاغة: اجعلْ كلامك بارداً بارداً، أو حاراً حاراً، وإيَّاك والعار فإنَّه صفعٌ كله، وبلغتك أنت: فإنَّه (تلطيشٌ كلُّه)، وما أرى أحداً يُنازعك في الحكم على القسم الشَّماليِّ من هذه النَّصيحة مستقلاً به استقلالاً تامّاً.

ولكنَّك على ذلك تجعل من الثَّلج الأبيض جمراً أحمر، ومن الجمر الأحمر ثلجاً أبيض!

لا أحبُّ لك أنْ تظنَّ أو يظنَّ القرَّاء أنْ ليس في العربيَّة شيءٌ من مثل هذا الأسلوب كما تُوهِم مقدمة مجموعتك التي يقول فيها كاتبها الفاضل: «إنَّ طرق البلاغة القديمة قد ظهر فشلها في العهد الحديث»، فلقد بلغ العرب في

---

(1) الأهرام، العدد 14252، السَّبت 6 جمادى الثَّانية 1343 هـ = 12 يناير 1924، ص 7.

هذا الأسلوب غايةً معجزةً لا تستطاع وفي بلاغة كأنَّها منطق الطَّبيعة حين تُبيِّن عن الشَّيء بخلقه وإيجاده، وانظر هذه المقالة الصَّغيرة.

قالوا: كان كلابٌ وكعبٌ وعامرٌ أبناء ربيعة بن عامر بن صعصعة أحمقين جميعاً، فاشترى كلابٌ عجلاً وهو يظنُّ أنه مُهر؛ فركبه فصرعه، وركبه كعبٌ فصرعه، وركبه أخوهما عامرٌ؛ فثبت عليه؛ فسُمِّي الثَّابت؛ فكان كلابٌ لا يزال يحسبه مُهراً حتى نَجَمَ قرناه.

أفلا ترى أنَّ هذه النكتة في أجزائها وإلى هذا العجْل الظَّريف، وإلى قرنيه وكيف كان المحترم كلاب أفندي يُكذِّب جميع النَّاس في أنَّ مُهره عِجْل، ولم يقبل الدُّخول في المفاوضة معهم إلا بعد قيام دليلين على رأس العجل نفسه؟!

***

فكرتُ الآن في رجلٍ يقف على أمواج البحر وبيده مكنسة كمكانس المجلس البلديِّ، يريد أن يكنس بها ذلك البساط الأزرق الذي لا تعلق به ذرةٌ واحدةٌ من الغُبَار!

وفي رجلٍ آخر يقف عند ساحل الدَّواة وفي يده قلمٌ يريد أنْ ينسخ به أسلوب فكري أباظة وهو من طبيعة الروح المصريَّة وكلاهما طامع في...

أعترف لك يا فكري أفندي أنِّي وقفت هنا مدةً لا أرى حرف الجرِّ هذا يجرُّ شيئاً (...) به العبارة؛ فاستوحيت روحك الطريفة وبعد التي واللاتي كان تمام الجملة هكذا: أنَّ كلاً منهما طامعٌ فيما يطمع فيه كلٌّ منهما!

انبعث أشقاها[1]

حضرة المحترم صاحب المجلَّة الجديدة:

كتبتَ عنِّي في عدد شهر فبراير من مَجلَّتك ما هو أشبه بك وبنزعتك وأدبك، وهأنذا أكتبُ إليك لا ردّاً على كلمتك؛ ولكن تصحيحاً لكذبتك، فإنْ يكنْ في نفسك خُلقٌ حُرٌّ وبقيةٌ من خُلُقٍ شريفٍ؛ وجب عليك أنْ تنشر كتابي هذا، وإلا ففي القانون واجبُ مَنْ لا يعرف واجبه.

أنا، مع رأيي الذي تعرفه فيك وفي أمثالك من المُترجمين الذين جعلَتْهم التَّرجمة المعاشيَّة عن غير أُمَّتهم كأنَّهم من غير أُمَّتهم، كنتُ واللهِ أرفعُك عن تَعمُّد الكذب الدَّنيء، والنُّزول على أسلوب العامَّة في مكايدهم كما فعلتَ في كلمتك على ما خيَّل الظَّنُّ الفاسد الذي ظننت.

وإنَّك لتعلم علم عينيْك أنَّك- أنت ومجلتك ومائة من مثلك ومثل مجلتك- لن تنال منِّي، أو تؤثِّر عليَّ لا في مصر ولا في غيرها، إلا إذا أثَّرَ ألفُ مِلِّيم على ورقة بنكٍ صحيحة ذات مائة جنيه.

أيتها الملاليم! إنَّك لا تَحَكَّمين البنك، ولا تَملَّكِين فيه إلا ملاليم!

زعمتَ يا صاحب المجلَّة الجديدة أنَّه ليس في دمي قطرةٌ من الدَّم المصريِّ، وهذا كذبٌ؛ فإنَّ والدتي مصريَّةٌ، وأنا مولودٌ في مصر.

---

(1) نشر هذا الردُّ في مجلة الفتح، السَّنة الرَّابعة، العدد 186، 14 رمضان 1348 هـ = 13 فبراير 1930م، ص9، بعدما كتب سلامة موسى مقالةً له في العدد الثَّاني من مجلته تحت عنوان (أوكار الرَّجعية في مصر) وحمل فيها على الرَّافعيِّ والشَّيخين محمد رشيد رضا ومُحبِّ الدِّين الخطيب. راجع العدد الصَّادر في أول فبراير من نفس العام، ص 432. وحسب محرِّر الفتح؛ فقد رفض موسى نشرها في مجلته، وكان الرَّافعيُّ قد أشار في رسالة إلى أبي ريَّة بتاريخ 4 أبريل 1925م إلى أنه أهمل الرَّد على سلامة في نقده لكتابه (السَّحاب الأحمر)، راجع رسائل الرَّافعيِّ، ص 97-98.

وزعمتَ أنِّي أقولُ: «إنَّ الأزهر لو كان قد أُنشئَ في بلادٍ أخرى (مثل وطنه سوريا) لكان له شأنٌ عظيمٌ غير هذا الشَّأن الصَّغير الذي له؛ لأنَّ القائمين به مصريون فقط»؛ وهذا كذبٌ دنيءٌ؛ فإنَّ كتبي ومقالاتي منشورةٌ مقروءةٌ؛ وليس فيها ذلك ولا ما يشبهه، وما أنت صديقي فتعلم آرائي، وإذا أَحَلْتَ عليَّ غيرَكَ وقلتَ إنَّك سمعتَ منه؛ فسمِّه إنْ كنت جريئاً، وأبعدَ اللّه الكاذب منكما.

عساك ظننتَ أنَّ مثل هذا الهُراء بغَّض منِّي عند أساتذة الأزهر وطَلَبَتِه إذْ أنت مستيقنٌ أنِّي موضع إعجابهم ومحبتهم جميعاً، وأنَّ لي بينهم أصدقاء كثيرين، وفي أوَّلِهم فضيلة شيخ الأزهر الجليل؛ ولكنَّهم أعرفُ بي منك، ثمَّ لعلَّك نسيتَ أنَّهم ليسوا من طِرْزِك.

إنَّ العالم الإسلاميَّ يا صاحب (المجلَّة الجديدة) حريصٌ على رجالِهِ من حُماةِ القرآن والعربيَّة والبيان، وأنت -والحمد للّه- لستَ من كل ذلك في يدٍ ولا رِجْلٍ[1].

وقلتَ إنَّني طبعتُ كتاباً لي مرةً ثانيةً، وخشيتُ ألا يشتريه من اشتروه في المرَّة الأولى؛ فغيرتُ اسمَ الكتاب ولم أُغيِّرْ موضوعه!

أظنُّك لا تفهمُ ما تكتبُ أحياناً، وأنا أتحدَّاك أنْ تجيئني بكتابٍ في الأدب العربيِّ بلغ في رواجه ما بلغ كتابي هذا الذي تُشير إليه وهو (إعجازُ القرآن)، فكيف أخشى عليه وأحتال له!

ثم أتحدَّاك أنْ تجيئَني بكاتبٍ في الشَّرق كلِّه ظفر من إعجاب رجلِ الشَّرق العظيم المغفور له سعد باشا زغلول بمثل كلمته السائرة في كتاب (إعجاز القرآن): كأنَّه تنزيلٌ من التَّنزيل... أفمن يُقرِّظه سعد باشا بهذه الكلمة

(1) راجع تفصيل أزمة الرافعي مع الأزهر في حياة الرافعي للعريان، ص 266.

يتخلّى عنه العالم العربيُّ وطُلّاب البلاغة العربيَّة من أجل كلام جرائد منحطَّة كالذي تقوله في مجلَّتك؟!

ثم قُلتَ: «وأرادَ أنْ يقول كلمة حسنة في سعد باشا فقال عن جثمانه إنَّه رِمَّةٌ من الرِّمَم»؛ وأقول لك مثل هذا إنَّما تكتبه أنت وأمثالك ممن لا يُحسنون بلاغةً ولا ركاكةً، فأحسِنْ إلى قرائك بنشر كلمتي التي رثيتُ بها سعد باشا، وأنت مُقِرٌّ رغم أنفك أنَّه ليس في العالم العربيِّ كله مَنْ يكتب مثلها في أسلوبها وبلاغتها.

إنِّي رأيتُ كلَّ الذين يزعمون أنَّهم مجدِّدون يستطيعون أنْ يُنكروا وجودي، ولكنَّهم لا يُنكرون هذا في كلِّ ما أكتبه.

واعلم أيها الرَّجل أنَّ جبلًا من المِلح لن يستطيع أنْ يُخرج ولا فصّاً صغيراً من الألماس، فعلى رغمك ستظل تقعدُ من عداوتي وتقوم دون أنْ يشعر أحدٌ أنَّك قُمتَ أو قعدتَ.

وَحْيُ النَّعْشِ[1]

حملتُ نعش أمين فيمن حملوه من باب داره إلى باب قبره، وقطعتُ إلى جنبه مسافته الأخيرة وأنا أشعر أنَّ الأرض قد ارتفعت عن منزلتها الأرضيَّة وصارت أوَّل السَّماء إذْ تنتهي بالمحدود إلى غير المحدود.

هي المسافة التي تقع على آخر حدود الكرة الأرضيَّة لواحدٍ من أهلها؛ جعلتني نحواً من ثلاث ساعات في جاذبيَّة أمين لا أنحرف عن جهة نعشه إلى جهة أخرى كأنما يقول لي بنفس القوَّة التي يقول بها المغناطيس للحديد: لا تَدَعْني!

سرنا معاً ولكنْ في زمنين، ومشينا معاً ولكنْ في طريقين، وانتهينا في موضع واحدٍ ولكنْ إلى غايتيْن، ومن قبله حملتُ نعش أبي وأمِّي فكلُّ الثَّلاثة أعلمني أنَّ في الزَّمن ساعاتٌ يكون بها الميِّت الحبيب في شبه من دنيا الحيِّ، والحيُّ الحزين في شبه من آخرة الموت، وكلُّ الثَّلاثة دلَّني على أنَّ في الأرض طريقاً يُسمَّى طريق الملائكة لا يمشي فيه امرؤٌ إلا وراءَ قلبه، ولا يمشي فيه القلب إلا وراءَ نعشٍ، ولا يمشي فيه النَّعش إلا وراء عملٍ كريم، وأوحى إليَّ الثَّلاثة كلهم أنَّ من غفلة الأحياء أنْ يفروا في كلِّ وجهٍ من الدُّنيا بأعمالهم السَّيِّئة جاهلين أنَّ هذا الفرار لا قيمة له إلَّا إذا فرَّ القبر، وهل يفرُّ القبر؟!

***

لا أزال أُحسُّ ضغط النَّعش على فرعيّ المِنْكَبيْن، فوالذي لا ينساه النَّاسي إلا بنوعٍ من ذكره؛ ما أُحبُّ أنَّ لي بهذه الغمزات على كَتِفي أوسمة الدُّول.

إنَّ آلاماً تُذَكِّر بالله خيرٌ من نِعَم لا تُذكِّر إلا بالنَّاس، وما نفس الإنسان إلا مملكة كبرى بحدودها وعظمتها وأوسمتها الكريمة ومناصبها العليا، ومهما

---

(1) نشرت هذه المقالة ضمن كتاب (ذكرى فقيد الوطن المغفور له أمين بك الرَّافعيّ) في ذكراه الأولى، ويضم ترجمة لحياته وما قيل في رثائه نظماً ونثراً، وقد قام على إعداده الأستاذ محمد صادق عنبر.

انفسح العُمُر فلن يكفي إنساناً أنْ يُطيع الله بما يستحق أنْ يسمَّى طاعة، ويؤدِّي الحقَّ بما يكافئُ أسباب الحقِّ، ويقضي الواجب بما يقتضيه الواجب، فيا خسرانَ من حمل الأوسمة إذا جرَّدته الإنسانيَّة من وسام مملكتها!

كذلك أَوْحَى إليَّ نعشُ أمين!

***

ويحك يا مصر!! أفيك نوعٌ من الموت هو أشد الموت؛ فلا ينقذك إلا من أصدقائك خاصةً!

أمن سِحْرِك أنَّك لا تُظهرين للشَّعب عظيماً إلا بموت ميِّتٍ كأمين، أو بناء قبر كالهرم الأكبر؟!

أمن عظمتك أنَّك تُنشئين النَّبيَّ من أنبياء الوطنيَّة ليؤدِّي رسالته ثمَّ تصلبيه؟!

أمن قوتك ألَّا ينتصر فيك الحيُّ إلا بعلامةٍ واحدةٍ هي أنَّه أهلك نفسه بك؟!

أمن جبروتك أنَّك لا تُدركين حقيقة أبنائك إلا حين لا تستطيعين أنْ تُناديهم: يا أبنائي؟!

أمن عجائبك ألَّا يعرف خصومك وأنصارك الذين هم كخصومك رجلاً مثل أمين إلا أنْ يُرغمهم هو على الإقرار حين يجعله الموت جزءاً من ضميرهم الإنسانيِّ؟!

يا إلهي!! كان صوتك في مصر؛ فكان كالرَّعد في حنجرةٍ، وكان كالبرق في قلمٍ!

كان الباطل يرى في ذلك الرجل حقّاً لا يتبدَّل أبداً!

كانت الفتنة ترى فيه سُمُوّاً لا يتنزَّل أبداً!

كان الذُّلُّ يرى فيه عزةً لا تتحوَّل أبداً!

كان الواجب يرى فيه عاملاً لا يتململ أبداً!

كان رجلاً من الأبد قامت بينه وبين مخازي الدُّنيا كلمتان: أبداً أبداً!

كان صوته صاعقاً يشقُّ حجاب القلب؛ لأنَّه من قلبه لا من شهواته!

وهو صوت مدفعك الذي وضعته في أعلى برج من الحصن المصري تُرسل إليه كلَّ يوم شرارةً لتنطلق منه كلَّ يوم قذيفةٌ!

يا له مدفعاً مُلئ باروداً لولا مدافع أخرى يتهزَّأ بها القدر فيحشوها بما يُؤكل وما يُشرب.. بذلك ناجيتُ نعش أمين!

أيها المصريُّ عِشْ في حدود ضميرك لربِّك ووطنك وإخوانك، ولا تكن من قوم يعيشون في حدود أمعائهم!

ولتكنْ بقناعتك توبيخاً لأهل الطَّمع، وبفضيلتك ذمّاً لأهل الرَّذيلة، وبتواضعك زرايةً على أهل الغرور، وبحقِّك هدايةً لأهل الباطل، واعلم أنَّ الموت آتٍ لا ريب فيه وإنْ ذهب النَّعيم هنا وحلَّ الجحيم هناك.

وسينقل الأغنياء المبخلون إلى مكانهم في الآخرة كلَّ مستنقعاتهم ووحُولِهِم الحمراء، ولقد تكون نعوش بعض الموتى كعربات الفحم والنَّاس لا يدرون!

ألا وإنَّ للموت ضربات قبل الضَّربة القاضية؛ فاحذر أن تقع منها ضربةٌ في دينك أو وطنيَّتك أو أخلاقك أو سيرك، وإذا كان لابد أنْ يضرب هذا الموت ضرباته الثقيلة على الحياة فقل له: دعْ لي وطني.. دعْ لي يقيني.. دعْ لي محبة إخواني.. دعْ لي مجد نفسي.. واقطعْ أيُّها الموت في جسمي، واسحقْ أيُّها الموت من عظامي، وامتصْ أيُّها الموت من دمي، واضربْ ضربتك الأخيرة أيُّها الموت في قلبي!

كذلك أَوْحَى إليَّ نعشُ أمين!

وأوحى إليَّ أمين ونحن على كَثَب من قبره: لقد كتبتُ السَّاعةَ مقالتي اليوميَّة الأخيرة، كتبتُها بمرورِ نعشي على أعين أهل وطني، فإنْ يتعظوا فلا وعظتهم حادثةٌ بعدُ! لقد كنتُ أُخرِج المجهول فأجعله من علم الجاهلين ليعلموا وأبقى أنـا من بعض المجهول، فقد كنـتُ أنفخ في نـار الوطنيَّة فلا يخـرج النَّفَس الواحد من شـفتي إلا بأيـام من عمري! ولقد بقيتُ في المعركـة أُقاتلُ عنهم وللأمراض معركةٌ في جسميٍ سأُقتل بها أنا وحدي! لقد رضيتُ في ضجرهم أنْ تكون نفسـي آخر حدود الصَّـبر، وفي جزعتها أنْ يكون عملي آخر حدود القوَّة، وفي جحودها أنْ يكون إيماني آخر حدود الرِّضـا، وفي غنائي أنْ يكون فقـري آخرَ حـدود الاحتمال! رضـيتُ أنْ أكون بينهم الأخير منصِـباً ومالاً وعافيةً وسـعادةً، إذْ لم أجد فيهم مَن يصبر على أنْ يكون الأوَّل في الحرص على مصر، والتَّضحية لمصر، والوفاء بحقِّ مصر، والموت في سبيل مصر!

***

رَحِمَكَ اللهُ يا أمين!

لم تجد مصـرُ المسكينة غير هذه الوسيلة، فيموت أطهرُ أبنائها وأَبَرُّهم بها فقيراً مريضـاً مظلومـاً لتتجلَّى في موتـه الوطنيَّة العظيمـة الثَّابتة النَّزيهة وتقول للنَّاس: آمنوا بي!

المَلكُ فؤادٌ[1]

ماتَ المَلكُ العظيم[2]، فرأى النَّاس من ذهولهم كأنَّما زيدت في الموت زيادةٌ!

وكأنَّ يوماً ليس من الدُّنيا وقع في الدُّنيا فترك الحياة في غير معناها!

وكأنَّ العيونَ انفتحت فجأةً على شكلٍ مُحزنٍ من هذا الوجود!

وكأنَّ حادثاً عظيماً انتهى من التَّاريخ المصريِّ إلى نقطة انقلاب؛ ورأى النَّاس كأنَّ غيمةً فوق مصر تجتمع من حزن ستة عشر مليون قلبٍ[3]!

***

مات فؤاد العظيم؛ فعرَفَت مصرُ أنَّ معجزةً فارقتها، وأنَّه لم يَنْقَصْ رَجلٌ؛ ولكن ذهب قَدَرٌ كان في خدمة حوادثها المضطربة، ولم ينته عُمُرٌ؛ ولكن انتهت سعادةٌ كانت من حظِّ أيَّامها!

ولم ينطو تاريخٌ؛ ولكن انطوت قوةٌ كانت تعمل في حلِّ مشاكلها!

فارقت معجزةٌ، وذهب قدَرٌ، وانتهت سعادةٌ، وانطوت قوَّةٌ!

ما أفدحَ خطبُكِ يا مصر!

***

وكيف لا يكون معجزةً من خُلقت مواهبُه على قدر أُمَّةٍ تنال به التَّاجَ بعد أنْ فقدَتْه ألفي سنة؟!

وكيف لا يكون قَدَراً من بُعثت عزيمتُه لحلِّ الزَّمن السِّياسيِّ المعقَّدِ منذ دهور ودهور؟!

---

(1) الرِّسالة، السَّنة الرَّابعة، العدد 149، 20 صفر 1355 هـ = 11 مايو 1936م، ص 763-764.

(2) هو فؤاد الأوَّل، ابن إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي باشا (1868-1936)، سلطان مصر في الفترة (1917 – 1922م)، وقد غيَّر لقبه إلى «ملك مصر وسيِّد النُّوبة وكردفان ودارفور».

(3) عدد سكَّان مصر يومئذٍ.

وكيف لا يكون سعادةً هذا الذي مرَّت آثاره على فقر التَّاريخ مرورَ الغنى؟!

وكيف لا يكون قوةً وإرادتُه الجبَّارةُ كانت مظهر السِّرِّ الذي يعمل وينتصر؟!

أيتها الحقيقة العظيمة! هل كانت النُّبوَّة في شكل سياسيٍّ؟!

***

مرض الملك -رحمه الله- فكانت أخبارُ مرضه روايةَ أحزانِ الشَّعب!

وعرف كلُّ مصريٍّ أنَّ هذا الملك هو الوطن في صورة رجلٍ، واتَّجهت العاطفة الوطنيَّة في البلاد كلِّها إلى رمزها الحيِّ!

وأثبت الشَّعبُ في سموِّ أخلاقه أنَّ ملكه العظيم هو الذي ارتقى به إلى هذا السُّموِّ، وأُصلحت غلطةٌ كانت السِّياسة الأجنبيَّة تُسمِّيها التفرُّق.

***

ومات الملك -رحمه الله- فأتمَّ موتُه عمَل حياته العظيمة!

جمع الأمة كلها على أسمى أخلاقها من الحبِّ والوفاء والاتِّحاد؛ وأظهرها حوله كأنَّها في صلاةٍ تتدفَّق منها الرُّوحانية العظمى؛ وراع بها العالم السِّياسيَّ كأنَّه يقول للدنيا: هذه مصر كما أنشأتُها، وترك لأمته الدَّرسَ الأخير في هذه الصُّورة كأنَّه يقول: هكذا عيشوا!

***

وبكاه الشَّعبُ من كلِّ عينٍ، حتى لو كان يبكي من نهرٍ لَيَبَسَ!

وأصبحت القلوبُ من الحزن كأنَّ كلَّ قلبٍ اجتمعت فيه أمواتُه ذلك اليوم، وبرزتْ فجأةً من النِّسيان همومٌ وهمومٌ وهمومٌ!

ودَنَتْ الآخرة حتى لا يذكر النَّاس غيرها، كأنَّ الخلد يتسلَّم الرَّاحلَ من أيدي الشَّعب!

وحكم الملكُ يومَ موته حكماً آخر، كما تحكم على النَّاس جميعاً طبيعةُ الخير.

***

«في ذمَّة الله يا فؤاد»!

هذا هو صوتُ الشَّعب يوم وفاة الملك!

صوتُ الفطرة على سجيَّتها مع نفسها؛ لا من سياسةٍ ولا رياءٍ ولا مجاملةٍ!

صوتُ الإيمان على طبيعته مع القلب، لا من غرضٍ ولا تصنُّعٍ ولا خديعةٍ!

صوتُ الوطنيَّة على عقيدتها مع الحبِّ، لا من خوفٍ ولا كذبٍ ولا اضطرارٍ!

وما عسى أنْ يقول مَنْ فقد أباه العزيز، إلا أنْ يقول: في ذمَّة الله يا أبي؟!

***

في ذمَّة الله ذلك الملكُ الذي كان كالأنبياء محصوراً في واجبه ورسالته، ولم يكن بين فكره وعمله أحلامٌ تُفسد الفكر أو تُضعف العمل، وكان يقول: «ليس شيئاً يُذكر أنْ يكون المرءُ أميراً؛ ولكنَّ الشيء الجدير بالذِّكر أنْ يكون نافعاً». ومن أجل ذلك استمرَّ يعمل كأنَّه مؤتمر ملوكٍ لا ملك واحد؛ وتألَّفت مدةَ حكمه اثنتان وعشرون وزارة، فكانت له على مصرَ بركةُ اثنين وعشرين ملكًا!

***

وكان بنشأته واختباره وعلمه ودينه تصحيحاً لأغلاط من سبقوه في الملك، وبذكائه وبصيرته كان يسوس رعيَّتَيْن في مصر: إحداهما الحقائق، وكان موفَّقاً بقدر ما هو قويٌّ؛ فخدم الشَّعبَ عقله وحَظُّه.

تراه دائماً بحكمته وحزمه في عمله للحاضر، ودائماً بصبره وإيمانه في عمله للمستقبل!

هـو ملك الصَّـبر والإيمـان؛ وبهاتين القوَّتـين كم من مرةٍ جعـل ما لا يمكن يمكن.

***

وكان مـن أكبر همِّه أنْ يألف العالم اسـمَ مصـر وأنْ تعـرف ممالكُ الدُّنيا جَدَّتها فحرَّك اسـم مصـر في كل أمَّة لأنَّه وحده الاسـم الـذي يخاطب كلَّ تمدُّنٍ بلغةِ خياله.

إنَّ المجد المصريَّ إذا انبعث كان قوةً من قوى الجلال في الدُّنيا!

إنَّ السِّحر المصريَّ إذا عُرف كان قوةً من قُوى الحبِّ في العالم!

إنَّ فنَّ الإعجاب بمصـر ليخرجُ من درس آثارها، كما يخرج علم الفلك من درس النُّجوم!

***

في ذمَّة الله يا فؤاد، وعزاءً يا مصر!

قد أعطاكِ من الفاروق المحبوب أكبر حسـناته، أعطاكِ فيه أسـرار عظمته تتجلَّى بادئة بنشاطها.

غابت الشَّمس ليبدأ الفجر الجديد.

مات الملك؛ يحيا الملك!

إلى مِصْرَ[1]

إلى مصـرَ التي بَنَـت الأهرام لتُري الأجيال الآتية أهـي أبقى من الزمن أم الزمـن أبقى منهـا؛ ورفعتها لتُؤرِّخ الدُّهور بأحجارهـا؛ فكان كلُّ حجر منها تاريخَ دهرٍ، ونصـبتها صـخورٌ قائمـةٌ في محيط العمر الإنسـانيِّ؛ وأقامتها تحت الفلكِ الدَّائر كأنَّها فلكٌ ثابتٌ لا يتزحزح؛ وأظهرتها على الأرض لتنبئَ الخالفين أنَّ مصـر إنْ لم تكن أكبر ما في الأرض وأوسـع فهي أرفع ما فيها وأقوى وأشدُّ.

***

إلى مصـر التي شـادت هياكلها فحسـبها العالم أثقالاً علـى ظهرها، وهي حصـونٌ حول دهرها؛ وظنَّها مقابر أكبر من الموت والفناء، وهي كأنَّها على التَّاريخ مهد يُولد فيه البقاء!

***

إلى مصـر التي غلبت الدَّهر بهذه الآثار، حتـى قتلت أربعين قرناً في معركة اللَّيـل والنَّهار، وبقيت كأنَّما تقول للسَّـماء: إنْ كانت نجومك الخالدة لهيباً؛ فإنَّ نجومي أحجار!

***

إلى مصـر التي يجري فيها النِّيل كأنَّه جانبٌ من السَّـماء اندفق فسـال، أو ذهـبٌ تحوَّل ماءً فهو ماءُ المال؛ أو رسـالةٌ من رحمة الله إلى هذا التُّراب، أو تحيةٌ من الله جلَّ جلاله يُرسلها كلَّ سَنةٍ إلى أهل مصر مع السَّحاب.

---

(1) عثرنـا علـى هـذه المقالة –التي هي مقدمة لنشـيد الرَّافعـيِّ– وبعض المقالات التي تليه في صـدر كتاب (ملاحظـاتٌ علـى القانون النِّظاميِّ) تأليف سـعد زغلول بعد إعادة نشـره، وقد سـبق طبعه في فبراير 1919م في مطبعـة الصَّـباح بالقاهرة، ثمَّ بدا للقائمين على أمره أنْ يُصـدِّروه بمقالات للرَّافعيِّ وأحمد زكي باشا.

***

إلى مصر التي هي روضة الدُّنيا بخصبها، وتبرُ هذه الأرض بتُرْبها، والوادي الأغنُّ الذي لو أطلق الله طائراً من جنَّته لَمَا نزل إلا فيه، ولو سُئِلَ الكوثر عن نَسَبِ نيله السَّعيد؛ لقال إنَّه ابن أخيه.

***

إلى مصر التي قيل إنَّها أرض السِّحر لأنَّها ضعيفةٌ ولا تزال بضعفها غالبةٌ وباقيةٌ، والأمم في الأمم ذاهبةٌ، وكلُّ أرضٍ لها في إعراب الدَّهر حركةٌ واحدةٌ ومصرُ وحدها رافعةٌ خافضةٌ ناصبةٌ.

***

إلى مصر التي أنجبت (سعدها)؛ فأنجزت للتَّاريخ وعْدَها، ورأت النَّاس يتجاهلون أهلها؛ فجاءتهم من بطلها بِعِلْم، وأنكروا معجزاتها فرَمَتهم منه بحربٍ في سِلْم، وأَرَتْهم بـ(سعد) أنَّها متى شاءت بَنَت الرِّجالَ على طريقة الهرم، وأخرجت من روح نيلها جمراً ذا ضَرَم، وصوَّرت التَّاريخ حيّاً، ولكنْ في جسدٍ من لحمٍ ودمٍ.

***

إلى مصر التي ينطق باسمها سعد باشا،

أُهدي هذا النَّشيد الذي وضعتُهُ باسمِ سعد باشا.

زَهرةُ الاستقلالِ[1]

يكون الشِّتاء كما هو ويَعتصر السَّحاب لأنَّه يغسل الأرض للرَّبيع، فكأنَّ الأرض تظلُّ في حمَّام الشِّتاء بضعة أشهر، وقد كان في شتاء نهضتنا المصريَّة عواصفُ وبروقٌ ورعودٌ وأمطارٌ، وكان (سعد) فوق غيومها وهو اليوم كأشعة الشَّمس في الربيع تفتَّحت به القلوب كلُّها.

وهناك على غصن التَّاريخ في هذا الربيع النَّاضر نبتت زهرةٌ غضَّةٌ لا تزال في كِمِّها، اللهم فلتكن زهرة الاستقلال.

(1) ملاحظاتٌ على القانون النِّظاميّ، مرجع سابق، ص 10.

كتاب صاحب النشيد إلى معالي الرئيس(1)

مولاي الرئيس الجليل..

لقد وضعتُ نشيداً مصريّاً تيمَّنتُ له بالسَّعد من اسمك الكريم، واستوحيتُه من روحك فكَبُر عن شعر الشَّاعر بحكمة الحكيم، وأخرجتُهُ لُمْعَةً اقتبستُها من نورك، وقطعةً نظمتُها من سطورك، فكنتَ كلَّ معانيه، وكان بعضَ معانيك، وجاء كالكوكب السيَّار إلا أنَّه تلألأ في سماء معاليك.

ولا أقولُ إنِّي استوعبتُ في ألفاظه ووفَّيتُ؛ وإنَّما بنيتُه لتمثيل الحقيقة الوطنيَّة حين بنيت؛ فإن قصَّرتُ في هذه الأبيات فلتمثيل الحقيقة العُظمى كان يرفع إبراهيمُ القواعد من البيت، وإذا مثَّلتُكَ بالكلام؛ فما أطمعُ أنْ أجيء بالنَّجم على سِنِّ القلم، وإذا حكيتُ صفير النَّسْرِ بشعري فهيهات هيهات، والنَّسْر بين السحائب والقمم، ولئن ارتفعتْ صفاتُك عن كلامنا؛ فإنَّ انخفاض الكلام يشرِّفُه ارتفاعها، وإذا كنتَ كالشمس؛ فما نقول إنَّنا بلغناها؛ ولكنْ هبط إلينا شعاعها.

وما أردتُ بإظهار نشيدك إلا أنْ تظهر في كلِّ فرد من الأمة على قدر استعداده، ويبقى اسمُك الجليل مع كلِّ مصريٍّ على الدَّهر ليكون مصدراً من مصادر إمداده.

ويقولون إنَّه نشيد يُقربُك من الأجيال الآتية، وأنا أقول إنَّهم هم يتقرَّبون به إليك، ويجدون منه الوسيلة لتقبيل اسمك المحبوب إذْ لا يستطيعون مثلنا تقبيل يديك، ويعلمون في كلِّ زمنٍ من شرح هذا الاسم الكبير أنَّه الرَّجل

(1) المرجع السابق ص 11، وقد أرسل سعد باشا زغلول إلى الرَّافعيِّ خطاباً جاء فيه:

«حضرة الأديب الفاضل مصطفى الرافعيِّ. قرأتُ هذا النَّشيد الذي ألَّفته، والخطاب الذي أرسلته؛ فرأيتهما جديرين بأدبك، ولكنَّهما فوق ما يستحق. فلك مني وافر الشكر، ومن الله حسن الجزاء. (سعد زغلول – جبل طارق في 13 يناير 1923م)»(انظر صورةً ضوئيةً للخطاب، المرجع السابق ص 15).

الذي خطَّ قلم الأزل كتاب نهضـتهم بيده الكريمـة، واختاره الله للأمَّة كما اختار الأنبياء؛ إلا أنَّه نبيُّ الفكر والعزيمة.

وقـد انبعثـتْ في البلاد دعوةٌ لجعل صـوتك في هذا النَّشـيد صـوتَ البلاد، واتخاذ ما فيه من معاني المجد شعاراً لمن فيها من الأمجاد، وهم يبتغون من وراء ذلك ألَّا يزال اسـم (سعد) مع كلِّ مصريٍّ كالكلمة الأزليَّة في فمه، وأنْ تظلَّ أحرفه الثلاثُ «السِّين والعين والدَّال» كأنَّها من سريرتِه وعينِه ودمه.

وأكـبر فخـري أنْ يكـون نوركم سـطعَ في قلمـي، وعزيمتكم خاطبـت الأُمَّة بكلِمي، وأنْ ترى مصـر نشيدي كطلعتكم سـعداً، وإذا غامت الحوادثُ صار فيها كصوتكم رعداً.

لا زال اسـمك يا مولاي الرئيس يكتبه في حسنات الألسنة ملكٌ بعد ملكٍ، ولا زال في عنوان نشيدك على الدَّهر كأنَّه نجمٌ في قبةِ فَلَكٍ .. والسلام.

سعدُ باشَا زَغْلُول[1]

سعدٌ وما سعدٌ إلا توقيعٌ من يد الله على صحيفة هي حكمٌ من أحكام السَّماء، ولا يزالُ من آيات الله في الخلق أنْ يجعل كبارَ الأفعالِ لكبار الأسماء، وإذا أرسلت السَّماء أحكامها العظمى إلى الأرض خَلَق الله لحَمْل كل واحدٍ منها واحداً من العظماء.

سعدٌ وما سعدٌ إلا مبدأُ هذه الأمة، وتاريخٌ مُتجسِّمٌ في رجلٍ ورجلٌ مُتجسِّم في همَّة؛ ولو أنشئتْ محطات كهربائيةً لِبَرْقِ القضاء والقدر لكان فؤاد سعد إحداها، وهو بهذه الخاصيَّة أينما وُجد لا تتخطَّى جهته أفكار الأمة ولا تتعدَّاها.

***

ليس يُحْصِي أساليب الله في نظام الكون إلا الله؛ وكما أنَّ من أساليبه تَغَيُّر الفصول فمن أساليبه تَطَوُّر الرِّجال، وكما أنَّ منها العاصفة التي يلدها النَّسيم؛ فمنها الفكر الذي يكبُرُ في قلب الرَّجل العظيم، وكما أنَّ منها الأنبياء والحكماء؛ فمنها اليوم لمصر سعد باشا زغلول.

وإذا كان عظماء الخلق يُمثِّلون في بعض حوادث الشُّعوب أنواعاً من نظام الخالق؛ فما يُمثِّل سعد باشا في جسم الأمَّة المصريَّة إلا نظام القلب.

***

آيةُ الرَّجل العظيم أنْ تُشرق روحه أمامه إلى مسافة بعيدة بنورها الإلهي؛ فلا تكاد تُبصره أو تُدانيه حتى يأخذك بأخذه، ويمتلكك منه شيءٌ لا تدري ما هو، وتُحسُّ كأنَّ في نفسك شيئاً من نفسه.

---

(1) ملاحظاتٌ على القانون النِّظاميّ، مرجع سابق، ص 7.

وما أُحيط هذا العظيم بإشراقِ روحهِ إلا ليتَّصل بأرواح النَّاس؛ إذْ هو مخلوقٌ لها أكثر مما هو مخلوقٌ لنفسه، وإذْ هو أسلوبٌ من سعادتها التي تقدر لها. فالرُّوح العظيمة التي يحملها (سعد) تُشرق أمامه على مدِّ ما تنفسح خريطة مصر، حتى كل مصريٍّ في نوره، وحتى كأنَّ في نفس كلِّ مصريٍّ شيئاً من عظمةِ نفسه.

***

لا ترى الأمة في (سعد) إلَّا مظهر أفكارها، وإلَّا صور الرُّسوم التي في فؤادها يُلوِّنها الضَّوء من ألفاظه ومعانيه؛ ولا يرى سعد كذلك في الأُمَّة إلا مظاهر فكره ورسوم عواطفه، فالأُمَّة مجتمعةٌ في سعد، وسعدٌ متفرِّقٌ في الأُمَّة، وشخص سعد نفسه ليس إلا حجاباً إنسانيّاً بين ما وراء قلبه وما أمام قلبه، وهو في الأُمَّة قريبٌ مما يكون النَّبيُّ من الأنبياء حدّاً قائماً بين قطعةٍ من هذه الدُّنيا وبين اللانهاية.

***

الفجر ينبثق عن نهارٍ، والبذرة تتفطر عن شجرة، والنَّبع ينساق بالنَّهر، وكلُّ شيءٍ هو كامنٌ في شيءٍ، والآخر في أوله، والغايةُ مهما بعدت فسبيلها الخطوة الأولى، ولقد كانت نهضة (سعد) فجر آمالنا، وكان عمله بذرة أعمالنا، وكانت عزيمته منبع استقلالنا؛ وكان هو الأول لما نرجوه من الآخر، وكذلك كان في غاية الغايات هو الخطوة الأولى، فمصر كلها تسأل الله أن يحفظه لها إلى ما بعد الخطوة الأخيرة.

مثالٌ صغيرٌ من عَظَمةِ سعدٍ[1]

غابَ سعدٌ عن مصر سنتين يعمل في تاريخها ثمَّ آب إليها؛ فاستقبله من تاريخها بيومين كان في كلٍّ منهما روح الدَّهر كلِّه، وغدت مصر في يوميها ما يجتمع اثنان من أهلها إلَّا كان سعدٌ لهما ثالثاً.

يومان أحسَّ فيهما الشعب المصريُّ أنَّ له رجلاً عظيماً؛ فدخل على قلبه من العظمة دولة جعلته دولةً كبرى، وأحاط به من نبوغ رجله معنى الخلود، وتمثَّل له في قوَّة البطل معنى النَّصر، وأراه ابن مصر كيف ينبغي أنْ يكون ابن مصر، وانبعثت في نفسه حركةٌ هي بعض ميراثه التَّاريخيِّ عن أسلافه العظماء؛ فخرج الشَّعب كلُّه للقاء سعد، واندفع بعاطفةٍ طبيعيَّةٍ يطلب لظلام حريته مظهر النُّور، كما تتحرَّك كلُّ نفسٍ لرؤية شمس الشِّتاء إذا طلعت والتعرُّض لها والاستشراق في نورها بعد فجرٍ لفَّه الضَّباب في ذيل الليل.

رأيتُ الشَّعب ورأيتُ سعداً؛ فأمَّا الشَّعب فلاحَ لعينيَّ رجُله العظيم كأنَّه في مقدار أكبر أمَّة في الأرض، وظننتُ وأنا أراه وأُعجبُ به أنَّ الدَّهر وضع شيئاً جديداً في أرض السِّحر، وأنَّ التَّاريخ كان نائماً فاستيقظ، وأمَّا سعدٌ فرأيتُهُ شخصاً تاريخيّاً من العِظَم والقوَّة والمجد في مقدار يومه الذي أبطأ على مصر في دورة الفلك أربعة آلاف سنة.

وأحسبُ أنَّه لا يعرف شخصَ سعدٍ وماهيَّتَه في هذا اليوم العظيم ولا سعدٌ نفسه، ولو هو وقف أمام المرآة وفي نفسه الكبيرة ما فيها لرأى عليها يومه لا شخصه.

وبالأمس رأيتُ منه ومن الشَّعب صورةً بديعةً في رَجُلين أقصُّ حكايتهما بإيجازٍ لا أعدو فيه نقل صورتيهما إلى القُرَّاء:

---

(1) ملاحظاتٌ على القانون النِّظاميِّ، مرجع سابق، ص 60.

كان أحدهما راجعاً من الإسكندريَّة، وقد رأى البطل هنا وسمعه وحيَّاه، وملأ منه عينيه وأذنيه، وأفاضه على نفسه من كلِّ جهاته، وكان الآخر قد انقطعتْ به الأسباب في بلده فلم يبرحها، ونبَّأه سوءُ حظِّه في ذلك اليوم على غير أساس، وجلس إليه صاحبه يُحدِّثه ويصف له، ويحاول أنْ ينقل البحر بالقلم الأزرق. المحدِّث قصيرٌ قميءٌ يُرى بين الرِّجال الواقفين كأنَّما بقيت منه بقيةٌ لم تُولد، وأحسب لو نُشر عليه عددٌ من جريدة الأهرام لتركه رجلاً ثلاثة أرباعه من الورق، ومع ذلك فإنَّه ليجلس مزهوّاً ينتفخ ويربو في ثيابه؛ لأنَّه يُحدث عن سعد، كأنْ قد رأى مائة ألف أو يزيدون؛ فهو يجهد أنْ يكون لسانهم جميعاً في حديثه، وأنْ يأخذ نَجِيَّه بأفقٍ من الكلام ذي برقٍ ورعد، ويروي من وجهه ههنا وههنا، ويصبُّ عينيه عن الرَّجل صبّاً، والرَّجل في كلِّ ذلك ينتفض، ويمدُّ بصره كالذي يريد أنْ يرى ما في الغد، ويُميل أذُنه كالذي يحاول أنْ يسمع ما في الأمس.

ورأيتُ المحدِّث بعد أنْ فرغ من صفات النَّاس، وانتهى إلى الكلام عن سعدٍ؛ قد عظم وأشرق وانبسط من نواحيه، كأنما استفاض سعدٌ من خياله وانسدل عليه فلبسه لبساً، ونسي قِصَرَه فهو يَسْتَوفِز[1] ويطول، وإذا هو يتحدَّث على هذا الاعتبار ويُلقي على صاحبه الذي يجمع في شخصه خضوع الأمة كلها، وكأنَّه يُلقي خطبةً على المُصلِّين من ذؤابة المنبر.

وجدَّ به الجَدُّ حين مثَّل سعداً يخطب في أبنائه من الطَّلبة؛ فنفخ شدقيه، وتهدَّلت شفته، وقعَّب فمه، وأخرج أكثر روحه في وجهه، وطفق يرعد مرَّةً، ويستكين مرَّةً، وخُيِّل إليَّ ساعتئذ أنَّ للمُلك صناعة، وأنَّ هذا نوع منها يجعل به الرَّجل نفسه ملكاً في رأي نفسه، أو تجعله نفسه كذلك.

---

(1) وَفَزَ واستَوْفَزَ في قِعْدَتِه إذا قَعَدَ قُعُوداً منتصباً غير مطمئنٍّ.

ورأيتُــه يُحاول أنْ يفهم صــاحبه أنَّه الآن ليس فلاناً ابن فلان الذي يتَّصــل نســبُ بيتيهما بالحائط والجدار؛ بل هو من ســعد زغلول، ولا يدخل الكلامَ عن سعدٍ في هذا الرَّأس إلا من هذا اللِّسان.

أما المســتمعُ فذهب مع الحديث كلَّ مذهب، وطال خشــوعه واســتكانته، وما راعنــي إلا انقلابه يريد أنْ يأخذ هو أيضــاً قِسْــطَه من تمثيل ســعد؛ فابتدأ يصــف حماســة الأُمَّة وكيف تكون، ثمَّ تطاير عن نفســه وكدَّها كدّاً شديداً، وضــرب الضَّربة الفاصلة؛ فإذا هو قد جعل صــاحبه يُصغي إصغاءَ المأموم للإمام، وانبعث فصار في لحظةٍ سعداً أو كسعدٍ.

غــير أنَّ هذا الانقلاب شــقَّ على نفس الآخــر، وهو الذي رأى وســمع؛ فأبى أنْ تخمد العاصــفة في بضــعة أنفاس، وراغ فأَنْبَط للحديث مجرى دفع فيه، واشــتقَّ فرعاً من الوصــف ظهر كأنَّما أُنســيه من قبل، ورجع فصــار سعداً، وأكره المسكين على أنْ يكون الشَّعب مرةً أخرى!

***

تنافس الرَّجلان في ســعد، وفي اســتعداد العظمة منه، وفي اتصال روحيهما بروحه، وصــار كلاهما سياســيّاً وبليغاً وحرّاً؛ لأنَّ سعداً سياسيٌّ وبليغٌ وحُرٌّ، وهكــذا يُخلق التَّاريخ من قلوب النَّاس، فمتى انبعــث التَّيار جرى النَّهر ملءَ شــاطئيه، ومتى وجد بطل الشَّعب أوجد التَّاريخ معركة الأسباب والمسبِّبات، ومتــى ظهر الرَّجل العظيــم الذي تتنافس فيــه الأُمَّة ظهرت الأُمَّة بنفســها الواحد ينتهي بالعدد إلى ما لا يُعدُّ ولا يُحصى لكثرته، والرَّجل العظيم الذي يجعله التَّاريخ أولاً أُمَّة هو واحد العدد كلّه فيها، فجئْ به يُعطِك ما شئتَ.

إنَّ الأُمَّة متى قالت: واحد؛ قال التَّاريخ: اثنان ثلاثة .. إلى أنْ يعدَّها كلَّها أو أكثرها رجالاً.

جُنُودُ سَعدٍ[1]

استفاض بين النَّاس أنَّ معالي سعد باشا ذو جنود، وأنَّه هو وقَبيلُهُ يُطلقون اسم (جنود سعد) على فئة أمدَّه الله بها، تنصره بالرُّعب، وتبتلي خصومه بالأذى، وتتدسَّس إلى مكروههم بأنواع البلاء، وهم طائفة الشرِّ في خيرِه، وجنود الحرب في سياسته، على أنَّهم لا ينشرون دعوة الإسلام، ولا هو بالجهاد في سبيل الله، ولا هو بحرب الرَّأي والعقيدة تحت لواء من جناحيْ جبريل يبسطه على المشرق والمغرب.

ونحن وإنْ كنا نَكْبُر سعد باشا ونُكبِّر ونُهلِّل لجنوده؛ غير أنَّنا لا نرضى له أنْ يُسمِّي طائفة من قومنا بـ(جنود سعد)، ونحن من أهل هذه اللغة العربيَّة، ومن السَّاعين في نشرها وإثارة دفائنها، فإنَّ المطَّلع على اللَّغة يعلم أنَّ تلك التَّسمية من أقبح ما يُسبُّ به، وكأنَّ الله تعالى إذْ علم أنَّه سيُجريها على لسان سعد باشا؛ خلق الردَّ عليها، وقذف به في أفواه العرب قبل أنْ يولد معالي الرئيس بأربعمائة وألف سنة، وكانت الكلمة في عالم الخلق يوم كان معاليه في عالم الذَّر.

فلقد كان العرب من جاهليتهم إلى إسلامهم إلى عجمتهم يُطلقون لفظة (جنود سعد) - التي يفخر بها اليوم معالي الرئيس- على الحشرات والهوامِّ المؤذية التي يجيء بها الصَّيف، وينشر بها اللَّذعات واللَّسعات والمؤذيات، إلى ما يجلب الأمراض ويُدني العلل، وما عسى أن يكون سبباً في وباءٍ مجتاحٍ، أو بلاءٍ يحلق النَّاس حَلْقَ الشَّعر.

---

(1) حسب ما أورده أبو ريَّة، فقد كتب الرَّافعيُّ هذه المقالة بصحيفة الأخبار في العام 1921م تقريباً لمناسبة اتخاذ سعد زغلول مجموعة أطلق عليها (جنود سعد) لإرهاب خصومه، وقد تعرَّضت لابن عمه أمين الرَّافعيِّ بك بنوع إيذاء؛ فكتب الرَّافعيُّ هذه المقالة بدون توقيعٍ، ثمَّ اعترف بكتابتها في رسالته لأبي ريَّة. راجع: رسائل الرَّافعيِّ ص 77-78.

نقل الجُرْجاني في كتاب (الكنايات) المطبوع بمصر مع كنايات الثَّعالبيِّ صفحة 130، قال: العرب تُكنِّي عن الحشرات بجنود سعد، ثمَّ علَّل ذلك بقولهم: إنَّهم يُريدون سعد الأخبية (وهو من منازل القمر)، قال: لأنَّه إذا طلع انتشرت الهوامُّ!!

قال الشَّاعر:

قد جاءَ سعدٌ مُؤْذِناً بشَرِّهِ
مُؤذِنَةٌ جنودُهُ بضُرِّهِ[1]

وفي رواية «: بحرِّه»، ولا وجه لها، وإنَّما هو تحريف.

فلنتقدَّم إلى معالي الرئيس أنْ يعفي قومنا من هذه التَّسمية، ويختارَ لهم غيرَها، إلا أنَّ يكون معاليه من كبار علماء اللُّغة وأهل الاطِّلاع والتَّحصيل وقد عثَر على هذه التَّسمية فابتعثها ليعلم النَّاس أنَّ القَدَر كما ينزل من السَّماء على النَّاس يدبُّ إليهم بهؤلاء الجنود من بيت الأُمَّة (بيت سعد باشا).

وأرجو ألا أكون قد جنيت على اللُّغة بهذه الكلمة فيقابلها القوم بقولهم: لا لغة إلا سعد!!

---

(1) راجع: كنايات الأدباء وإشارات البلغاء للقاضي أبي العباس أحمد بن محمد الجُرْجاني، ص ٤٠١ والرِّواية هناك: مؤذنة جنوده بحرِّه.

سَعْدٌ[1]

مات الرَّجل الذي كان مخلوقاً لأحلام السِّياسة المصريَّة، حتى كأنَّه كتابٌ يقرأ فيه التَّاريخ الذي لم يُخلق بعد، وكأنه رُسم بيد الله على طريقة المصوَّرات الجغرافيَّة في قياس وتدقيق؛ لترى فيه مصرُ الحاضرة أين تذهبُ بها خطوط الغيب، وإلى أيِّ النَّواحي يدفعها القَدَر.

مات الرَّجل الذي كان يفرح النَّاس به فرح أهل المشكلة أعضَلَت حتى استيأسوا منها، وتناولت كلَّ قلبٍ بعقدة همٍّ، ومَدَّت على كلِّ وجهٍ خيطاً من كآبة، ثمَّ يُصيبون قدرة الله في رجلٍ عظيم مرسلٍ منه سبحانه لقدره في الحادثة العظيمة، فإذا الرَّجل أسمى منهم ومن نفسه؛ لأنَّه أملٌ وتيسيرٌ، ولأنَّهم في حاجةٍ وشدَّة.

مات سعد، فيا رحمة الله لسعدٍ!

أكانت مصر في حلم من أحلامها انفرج فيه ستار الغيب فإذا سعدٌ قد اطَّلع عليها، وإذا هي قد ظَفرت مما فوق المادة برجلٍ في إحدى يديه السِّحر وفي الأخرى المعجزة، ثمَّ انسحب الحلم، فإذا للرَّجل مواقف يندمج عندها في قوَّة الكون، فلا يزال يمضي في الحوادث ويعزم حتى نقول إنَّه رجلٌ من أقدار، ويُضيء للسِّياسة ويُظلم حتى نقول إنَّه رجلٌ من ليلٍ ونهارٍ، ثمَّ تنفَّس الحلم؛ فإذا البطل جبَّارٌ من هذه الأعاصير، وإذا هو يطير فيكاد كلُّ ما يلمسه على الأرض يطير.

---

(1) الحديقة، ج5، العدد الخامس، 15 جمادى الأولى 1346 هـ = 1 يناير 1930م، ص 173–178. وقد أخبر أبا ريَّة في رسالة مؤرَّخة في أول أكتوبر 1932م أنه يعمل جاهداً على إصدار كتاب (الأدبيَّات) ليشمل كلَّ ما كتبه في الأدب كمقالته عن حافظ إبراهيم ومقالته (سر النُّبوغ)، وسيستبعد المقالات التي لا صلة لها بالأدب كرثاء سعد زغلول، انظر: رسائل الرَّافعيِّ، ص 240–241.

ثـم يتضـرَّم الحلم فـإذا عبقريٌّ كالجمـرة الملتهبـة لا يُقال إنَّـه يعيش؛ بل يحـترق، ولا يجتمع في النُّور إلا ليتبـدَّد ويفترق، ثمَّ يتندَّى الحلم؛ فإذا رجلٌ من الرِّقة كالروض فأنت منه في نسـائم عطـوره، وإذا كتابٌ من الفكاهة لو تُرجـم إلى الطَّبيعة لكانت الأزاهر من سـطوره، ثمَّ تهافـت الحلم؛ فإذا ما جاء من النُّور قد غاب في النُّور، ثمَّ اضمحل وتلاشى؛ فإذا الغطاء على هذه الدُّنيا كلها قبرٌ من القبور!

يا رحمة الله لسعد!

كان رجـلًا مـا نظر إليه إنسـانٌ إلا بعينٍ فيها دلائل أحلامها، كأنَّه شـخص فكرة لا شـخص إنسـان، فإذا رأيتَه كانَ في فكرك قبل أنْ يكون في نظرك، فأنت تشهده بنظرين: أحدهما هذا الذي تُبصر به، والآخر ذاك الذي تُؤمن به!

رجل كأنَّما كان يمسـك في جسـمه زلزلة فهـو أبداً يرتجُّ، وهو أبـداً يَرُجُّ ما حوْلَـه، فلمَّـا مات انطلقتْ فتركـت الأُمَّة على هزةٍ عنيفةٍ تشـعر كأنَّ معاني الحياة يرجع أعلاها على أسفلها، أو يوشك أنْ يرجع.

كان قـوةً عامَّـةً لا بدَّ من فعلها في كلِّ حيٍّ تحت هـذا الأفق، حتى كأنَّ معاني نفسـه تنتشر في الهواء، أو كأنَّه محطٌّ لبرقيات إلهيَّة يخاطب بها قَدَرٌ قَدَراً، وتدعو منها حادثةٌ حادثةً، قوةٌ مرسـلةٌ لا تُمسـك، ماضيةٌ لا تُرد، مقدورةٌ لا يُحتال لها بحيلة، فلا يُقال في مثله إنَّ له محاسـن وعيوباً؛ بل محاسـنُهُ هي محاسـنه من أنَّه قوةٌ لا بدَّ له من ضـعف الإنسـان؛ لأنَّه خلقٌ إنسانيٌّ، وتكاد معايب الرَّجل العظيم تكون ظلال حسناته، فهي منها ولن تكون إلا بها.

فإذا كان لسـعدٍ هنَّاتٌ فليسـت من خطـأه؛ ولكنَّها طبيعةٌ مـن ناموس النُّور الذي كان فيه.

يا رحمة الله لسعد!

إنَّما كان رَجُلَ الشَّعب؛ فكان كلُّ مصريٍّ يُحسُّ أنَّه يملك فيه ملكاً، فيَشعر من ذلك أنَّ له كبرياء وعظمة وطنيَّة.

كان الذَّات المتَّسعة التي لا يعرف لها معاصروه حدوداً؛ لأنَّها ذات التَّاريخ المتشبِّعة في الماضي، والمستوعبة للحاضر، والمترامية إلى المستقبل، فيها ذكرى المجد الوطنيِّ والعمل له والأمل فيه.

وكان من قومه في إكبارهم وإعظامهم، كأنَّه وإيَّاهم رجلٌ خُلِق وصُنعوا، أو رجلٌ صُنع وخُلقوا، لابدَّ من أنَّ يباينهم حتَّى في وجوه الشَّبَه بينهم وبينه، وبذلك بلغ ما لم يتمنَّاه إليه الأمل، وكانت قاعدة تمثاله الشَّخصيِّ قلوب أُمَّة كاملة.

يا رحمة الله لسعد، إذْ يجود بنفسه وتزمزم شفتاه «أنا انتهيتُ، أنا انتهيتُ!»

أُقسِمُ ما تكلَّم سعدٌ بأبلغ ولا أبدع ولا أدقَّ من هذه الكلمة، على إقراري أنَّ خطيب الشَّرق ولسان العربيَّة انتهى منه ما يُسمى «أنا»؛ ليبتدئ فيه ما يُسمَّى هو، انتهى الذي آخر حدوده الذَّات الفانية، ليبتدئ الذي أوَّل حدوده الفكرة الخالدة.

انتهى ما كان ابتدأ في التَّاريخ؛ ليعمل بالتَّاريخ فيما لا ينتهي!

إنَّها بلاغةٌ خرجت فيها روحٌ عظيمةٌ، فهي منطويةٌ على سِرٍّ دقيقٍ، حتَّى كأنَّه جملة وقعت من السَّماء، فعليها روعة الوحي، وفيها دقائق الإعجاز، أو هو اقتبسها من لغة الخلود ليُرسلها في آخر حركة من حركة لسانه!

يقول: أنا انتهيتُ، أمَّا أنتِ يا أُمتي العزيزة فباقيةٌ؛ فاعملي ولا تيأسي.. أنا انتهيتُ؛ أمَّا أنت يا أمتي العظيمة؛ ففكِّري كل يوم أنْ تبدأي في الحياة بدءاً جديداً!

أنا انتهيتُ، أقولهُا يا أُمَّتي، لتعلمي أنَّ وصــايتي الأخيرة إليك ألَّا تقولي أبداً «أنا انتهيتُ»؛ لأنَّ هذه كلمة الموت!

يا رحمة الله لسعد!

وسلامُ الأمَّة في سلامِ اللهِ عليه

في صَاحِبِ صحيفةِ النَّاسِ[1]

الأسـتاذ حسين شفيق المصريُّ[2] الذي يُمتع الأمة بهذه الصَّحيفة (جريدة النَّاس) ماجِنٌ[3] ظريفٌ، ولو تقدَّم به الزَّمن لتهاداه الملوك والأمراء؛ فقام على بسـاطٍ مُنشـداً، وجلس على آخـر نديماً، وتقلَّب على الثَّالث مضـحكاً، وعربَدَ على رابعٍ، وجُلِدَ على خامس -ولعلَّ الله أخَّره إلى دهرنا رحمةً به أنْ يأمـر أحـد الملوك فيملأوا فَاهُ دُرّاً بعد أنْ فرغ من إنشـاده المُعجِب المُطرِب- ويشـره هو إلى الـثَّروة والغِنَى فيفتح فمه إلى أقصـى الحلق فتدخل اللآلئ وتخرج الحياة.

وهذا الأديب في عصـرنا إنَّما هو بقيَّـة فنٍّ من أبدع فنون الأدب، كما كان لا ينبغُ فيه إلا عقولٌ معدودةٌ لا تقصـر في حكمة الـكلام عن غاية، ولا تتخلَّفُ في ظـرف البلاغة عن شـأو، ولا تجيء بما تأتي إلا على الأسـلوب الذي يهزُّ النَّفس من طرفيها، كأنَّ الله قد وهبها سـرَّ القدرة على ما يعسـر وما يُؤلم؛ فـلا تتنـاول معنـىً إلا انشـقَّ لها عن فنـون غريبَّـة تُهديها إلى مـا فيه من الضـحك الذي لا ينكشـف إلا للنَّفس الشَّـاعرة، والتهكُّم الـذي لا يظهر إلا للنَّفس الحكيمة، والمزاج الذي لا يبدو لغير النَّفس الظَّريفة.

وما الشِّـعر والحكمة والظُّرف إلا أسـرار ذلك الأسلوب النَّادر الذي لا ينقاد إلا لأعقل العقول متى أُريد به استخراج المعاني المجنونة من الطَّرب.

---

(1) نشـر هذه المقالة محمود أبوريَّة بعد نحو 25 عاماً من نشـره بجريدة (النَّاس)، انظر: الرِّسـالة، السَّنة السَّادسة عشرة، العدد 800، 29 ذو الحجة 1367 هـ = 1 نوفمبر 1948م، ص 1250-1251.

(2) حسـين شـفيق المصـريُّ (1882 - 1948): كاتبٌ وشـاعرٌ سـاخرٌ، ولد بالقاهرة لأبوين تركيَّين، ترأَّس جمعيات الزَّجل، عمل في عدة صحف ومجلات، كما أصدر أخرى، منها: (السَّيف)، و(الأيام)، وترأس تحرير مجلة (الفُكَاهة) و(كلِّ شيءٍ) و(العالم). انظر: معجم البابطين 716/6.

(3) يقصد ظريف كثير الهزْل وليس المعنى المتعارف عليه وهو الخلاعة.

فالبلاغة الظَّريفة الماضية التي بعضها من سياسة وَخْزِ الإبر، وبعضها من سياسة الظَّهر والعصا؛ قلَّما تستجيب إلا للعقول المبتكرة التي خُلقت متسلِّطة على النُّفوس من أقرب جهاتها، وهذه العقول لا تسرف القوَّة الأزليَّة في خلقها؛ بل هي حين ترحم النَّاس بها؛ فتجعلها قليلةً نادرةً.

وإنَّك لتجد أهنأ الضَّحك ذلك الذي ينفجر من القلب، ولكنَّه إنْ طال انفجر القلب، ولستُ أعرف تلك العقول إلا في كبار رجال السِّياسة الذين يُدبِّرون أمر الممالك، وفي كبار رجال الأدب الذين يُدبِّرون أمر العواطف، وفي كبار رجال الفلسفة الذين يدبِّرون كلَّ شيءٍ ولا يُدبِّرون شيئاً!

فمن أي أولئك نعدُّ (حسين شفيق) هذا الذي لو تألَّفت من رؤوس الأدباء صيدليَّةٌ لطبِّ الكلام لكان هو (دولاب السُّموم) فيها!

لا نعرف من أمثال كاتبنا هذا في تاريخ الأدب على تقادم الزَّمن إلا قليلين يُسمُّونهم أصحاب النَّوادر، وقالوا إنَّ المشهورين منهم: ابن أبي عتيق، وأشْعَب، وأبوالغُصْن، وجُحا، وأبو العِبَر، وأبو العَنْبَس، وابن الجصَّاص، ومزيد المدنيُّ، وهم ثمانية.

فإذا توسَّعنا وأضفنا إليهم الشُّعراء الماجنين: أبا الرَّقعْمَق، وصريع الدِّلاء، وأبا الحكم الجاهليَّ، والإسطرلابيَّ، وابن حجاج؛ فلا نكون قد زدنا في القليل إلا قليلًا، فإذا استقصينا بغاية الاستقصاء، وتمَّمنا عليهم بأصحاب الأجوبة المُسكتة كأبي العيناء ونظرائه؛ فلا نزال حيث كنَّا.

ولا يذهبَنَّ عنَّك أنَّنا لا نعد إلا المشهورين الذين أُوتوا مُلك النَّادرة، لا بالرقاعة والحمق؛ ولكن بالأدب والبلاغة والشِّعر والحكمة، وتوجيه كل ذلك إلى الجهة الضَّاحكة المسفرة من الحياة.

ثم إنَّ لهذا الأديب بعد ذلك فضلاً كثيراً على العربيَّة، إذ يُمكِّن لها بين قرائه

من العامة وهم ألوفٌ كثيرةٌ، وينشر الفكاهة بمقالاته القصيرة في أذواقهم وألسنتهم، ولا سبيل إلى إحياء العربيَّة في هذا العصر إلا أن نجعل العامَّة أشبه بالعرب المُلَوَّحين[1]، لا يُنكرون الفصيح ولا يأبونه لمكان طباعهم، وإنْ كانوا لا يستطيعونه على وجهه لمكان ألسنتهم.

فجريدة (النَّاس) صحيفةٌ من الصُّحف؛ ولكنَّها مع ذلك ناموسٌ اجتماعيٌّ عظيمٌ دائبٌ في ترقية الطِّباع والأذواق، ولو أنَّ لها من القُرَّاء عددَ مَنْ عندنا من العامَّة؛ لكان ذلك من فضل الله علينا وعلى (النَّاس).

(1) هم العرب الذين لوَّحتهم الشَّمس أي سفعتهم وأثَّرت في بشرتهم لمكان إقامتهم في البادية، لا يُنكرون الفصيح ولا يأبونه، ولا يستطيعون لعدم تعلُّمهم.

مع الكُتُبِ والكُتَّابِ

أَعْجَبُ العَجَبِ[1]

الحمد لله الذي اختار العرب ليختار منهم أفضل أنبيائه، واصطفاهم بما شاء من مواهبه ليخرج منهم أكرم أصفيائه، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّد الذي نشأ في قومه أُمِّيّاً، وجلست الأُمم بين يديه تتعلَّم، وجاء بكتاب الله عربيّاً؛ فلا يزال لسان العرب إلى آخر الدَّهر يتكلَّم، وسنَّ للدُّنيا مكارم الأخلاق فلا تزال الدُّنيا تقول:

أمَّا بعدُ فهذا قريضٌ من الشِّعر في هذه الرِّسالة نفثتهُ الغيرة الإسلاميَّة والأريحيَّة العربيَّة على لسان قائله الفاضل فثارَ به ثوران البركان، واندفع اندفاع الزِّلازل يهزُّ الشَّرق الإسلاميَّ من الأركان؛ وقد تناول فيه مجدَ العرب فبكى ما وَسِعتهُ الدُّموع، وزفر ما استطاعت له الضُّلوع، وأرسل كلاماً لو أبصرتَ الدَّهر لرأيته مُتَحَفزاً يُصغي إليه، ولو نطق المجد نفسه لما زاد في وصف نفسه عليه.

إنَّ في تاريخ الأرض صيحات إنسانيَّةً بالغة هي من جملة نظام الخَلق كسائر السُّنَن الإلهيَّة التي تدير هذا العالم؛ فتراها تُقْذَفُ في أسماع الأمم دهراً بعد دهرٍ وجيلاً إلى جيلٍ للعبرة أو الموعظة أو الزَّجر أو التَّأديب أو العناية أو الهداية أو ما شاء الله؛ وكانت من قبل تنبعث من أفواه الرُّسل والأنبياء صلوات الله عليهم، ثمَّ بقيت بقيتها يصدع بها في جوانب الأرض أفرادٌ قلائل من أئمة العلماء وأفذاذ الحكماء ونوابغ الشّعراء، وما أرى صيحة

---

(1) هو كتاب (أعجب العجب من أحوال العرب في ماضيهم المنيف وحاضرهم المخيف أو مظاهر رضا الجبار عنهم وغضب القهار عليهم، في عظيم سيرتهم الغابرة وأليم حالتهم الحاضرة) نظم السيد عبدالحقّ حقّي الأعظميّ البغداديّ. وقدّم له الرَّافعيُّ، ولم أجد على النُّسخة تاريخ النَّشر ولا اسم الدَّار، ولكن ذُكر في (معجم البابطين) أنَّها نُشرت في القاهرة سنة ١٩٢٢م، وبلغت القصيدة مائتين وستة عشر بيتاً.

الأستاذ الجليل السيد عبدالحقِّ الأعظمي[1] في هذه الرِّسالة إلا منها؛ إذْ خرجت من قلبٍ عَمَرَه الإخلاص، وملأه اليقين حتى كأنَّ هذا القلب قد ذاب فيها، وهذا اليقين قد استمسك بقوافيها، وحتى كأنَّه لم يقلها قولاً؛ بل نفثت على لسانه نفثاً من الرُّوح الأسمى لغرضٍ يُراد بها، وغاية في المجد بعينها، ممَّا تنبعث له تلك الصَّيحات الكبرى، إذْ يقف بها فَلَكٌ ويدور فَلَكٌ، وتُقلب صفحةٌ في التَّاريخ، وتبدأ صفحة أخرى.

ثمَّ هي فوق ذلك ليست كسائر الشِّعر الذي يقصد به إلى مناقلة الكلام، وزخرف صناعة الأقلام، ويدور دوره على كذبٍ يُلفَّق، ونفاقٍ يُوفَّق، ومعنى يسخر ممن عناه، ولفظٍ يتبرَّأ من معناه؛ بل هي لله خاصَّةٌ، وللإسلام خالصةٌ، ثمَّ للعرب الكرام وفي سبيل مجدهم وعزِّهم تصف ماضياً كاد يُنسى، وحاضراً يكاد ينقلب أمساً، وتهتف من جوانب أفئدتهم، وتمتزج بأحاديث أنفسهم، وتتنبع من خواطرهم، وتنساق بهم إلى حيث يدفعهم كرم العُنْصُر، وطيب الأصل، وخلوص المنشأ، وذلك العرق القويُّ المتينُ يصل بينهم وبين أسلافهم بميراث الدَّم العربيِّ، الذي نبتت من قطراته الزَّكيَّة في بقاع الأرض أرواحٌ لا كالأرواح، طارت بمجدها في العالم أجنحة الرِّياح، وبلغت بها أشعة الشَّمس من الآفاق مبلغ ما ينفجر الصَّباح.

التَّاريخ كلُّه دليلٌ على أنَّ العرب مادَّة كريمة في عنصر الإنسانيَّة، وقد خصَّهم الله بإقليم وطبيعة لم يخص غيرهم بهما؛ فخرجوا من أثر هذا الإقليم وهذه الطَّبيعة وهُم أكرم الخلق غريزة وطبعاً في النَّفس والخلق

---

(1) عبدالحقّ حقّي بن عبد الله بن عثمان الأعظمي (1290-1343 هـ = 1873 – 1924م) (وقيل: تُوفي في 1354 هـ = 1935م): كاتبٌ وشاعرٌ ولد في بغداد، وقدم مصر فقابل كثيراً من أعلامها، ثمَّ قصد الهند فعمل أستاذاً بكلية عليكرة عام 1908، والتقى هناك الشَّيخ محمد رشيد رضا وترجم له، كما ترجم للشَّاعر محمد إقبال. راجع: تأريخ علماء بغداد في القرن الرَّابع عشر الهجريِّ ليونس السَّامرائي، ص 338، وانظر: أعلام الأدب في العراق الحديث لمير بصري، ص 92-93.

والعقـل والـرُّوح، لا يحتاجون من التَّهذيب والتَّدريـب إلى أكثر مما يحتاجه الألماس الكريم في الصَّـقل والرَّونق؛ فإذا هو مشـرقٌ يتـلألأ من كل جهاته، وإذا هو ينبئُ عن صفاء معدنه بنوره، ويُبِينُ عن كرم أصله بفضيلته.

ولمَّا أراد الله أن يبعث في الأرض خلقاً جديداً، ويُنشئ للدُّنيا أمماً مستحدثة فتيَّة؛ بثَّ فيها العرب تحت ظلال سيوفهم وأروقة أخلاقهم وطباعهم؛ فكانوا مادةً قويةً في دماء الشُّعوب انبعثت بها تلك الأجيال المتحضِّرة التي أنشأت التَّاريخ الإسـلاميَّ العظيم، وأدارت كرة الأرض دورةً جديدةً بما دفعت فيها من القوَّة والنَّشاط والحركة.

وقـد يقولـون إنَّ العـرب في حاجـة إلى المدنيَّة الحديثـة؛ فأمَّا هـذه المدنيَّة الحديثة فما أغنى أهل الشَّـرق جميعاً عما تجرُّه وما تجرُّ إليه! إذْ هي أصـل البـلاء على الشَّـرق وأهله، وإذْ هـي داعية الأوروبيين إليـه وإلى التَّحكُّم في أمـره، وهـي بعينهـا حُجَّتهم في مـا يحاولون منه، فـلا حجَّة لهـم إلا أنَّهم يريدون تمدينه؛ على أنَّنا لم نرَ من مَدنيتهم تلك إلا أنَّ مفاسـد أوروبا كلها تَنصَـبُّ في أخلاق الشَّـرقيِّين السَّـمحة، كما تَنصَـبُّ أقذار مدينة كبيرة في نهر صـغير عذب قد رقَّ وصـفا حتى ما يطيق غبار الأرض، فلا الدِّين بقيَ فينا أخلاقًا، ولا الأخلاق بقيت فينا ديناً، وأصـبحت المِيْزَة الشَّرقيَّة فاسدةً من كلِّ وجوهها، ولم يعدْ لنا شيءٌ مع المدنيَّة الغربيَّة يمكن أن يُسمَّى المدنيَّة الشَّرقيَّة.

وهذا الشَّـرق روحـانيٌّ بطبيعته، إذْ كان مبعث الأديان كلها، فلا يفسـده ولا يأتي على أخصِّ فضـائله إلا هذه الرَّذائل التـي تقذف بها المدنيَّة الحديثة، مما يُوهن القلب الشَّـديد، ويُضـعف النَّفس القويَّة، ويُزعزع الخُلُق الرَّاسخ المتين، وقد علم الأوروبيُّون ذلك فأفرطوا علينا من زخرف مدنيَّتهم يريدون محـق أرواحنـا، وإفسـاد طباعنا، ثمَّ تحويلنـا إلى نوعٍ من الخلْق لا يصـلح

شـرقيّاً ولا غربيّاً، ولا يكون منه إلا أن يضـرب الذِّلَّة على نفسـه بنفسه؛ إذْ يراها روحاً شرقيَّة جامدةً بلا أخلاقٍ، وأخلاقاً غربيَّةً هامدةً بلا روحٍ.

ولا يحسـبَنَّ أحدٌ أنَّـا نريد بالمدنيَّة العلـومَ والمخترعات، فهـذه نتاج العقل الإنسـانيِّ يأخذ النَّاس بعضـهم عن بعض فيها؛ فلا يسـتغني عنها ذو عقلٍ في جهة من جهات الأرض، ثمَّ هي أسـلحة الحياة لا كِفاح بدونها، وليس في تركها إلا الاسـتعباد والاستسـلام ثمَّ الموت، إنَّما نريد بالمدنيَّة الحديثة هذه الأزيـاء وهذه الزَّخارف وهذه الفتنة وهذه الأخـلاق المؤنَّثة، وهذه الرَّفاهيَّة المقوتة، وهذا التَّرف المهلك، وهذا الإعراض عن الدَّين، وهذا الخروج على مبادئـه، والتحلُّـل من أوامره ونواهيه، فكلٌّ هذا في اعتبار القوم من أصـول المدنيَّة الحديثة، وكلٌّ هذا من أسباب شقائنا وبلائنا، وما نحن في حاجة إلى شـيءٍ أكثر من المبادئ والأخلاق، وهي كامنةٌ فينا، ومسـتقبلنا كامنٌ فيها؛ ولسـنا نراها في جنس من الشَّـرقيِّين كما نراها في العرب؛ فإنَّ لهؤلاء أَنَفَةً لم يُفسـدها الـذُّل، وإباءً لم يأت عليه الرِّقُّ، وقـوةً مرَّة لا تزال على طبيعتها وفطرتهـا، وإنَّ فيهـم الإرادة القويَّـة، والخلق العزيز، والاسـتهانة بالحياة والصِّبغة الخاصَّة بهم، وهذه الأربعة هي الأركان التي تقوم عليها كلُّ نهضةٍ صـحيحةٍ في أمم الأرض، فليس ينقصهم إلا الأصل الذي يتَّبعونه، والغرضُ الذي يجتمعون عليه، وهذا كله في دينهم الإسـلاميِّ الحنيف؛ بل ليست روح الإسلام إلَّا هذا كله.

والعـرب على أنَّهم أهلُ هذا الدِّين، وعلى أنَّهم كانوا مادته وعماده؛ فهم مع ذلك كأنَّهم أبعد النَّاس عن روحه وأغراضه، لما أصابهم من دهاء السِّياسة الأوروبيَّـة، وما عبـث بهم من أسـاليبها وحيلها التي جعلت بأسـهم بينهم، وصـارت تضـرب المُقبل منهم بالمُدبـر، والمُدبر بالمُقبـل، وتركتهم يُخربون بيوتهـم بأيديهـم، وجرَّت معهم على طريقة فَلِّ الحديـد بالحديد، وإهلاك

القديم بالجديد، وكان مثلها وإيَّاهم ﴿كمثل الشَّيطان إذْ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إنِّي بريءٌ منك﴾[1].

لم ينهض العرب في ماضيهم إلا بالدِّين الإسلاميِّ وائتلاف أخلاقهم بأخلاقه ونفاذهم في أغراضه وغاياته، ولا ينهضون ولن ينهضوا إلا بذلك الدِّين عينه، وعلى هذا الوجه من ائتلاف الخلُق بالعقيدة الصَّحيحة، والدِّين وحده هو الأصل الرَّاسخ في الدِّماء والأعصاب، وهو المصدر الثَّابت الذي تستمدُّ منه الوراثة؛ فرجوع الأمة إليه وفهمه حقَّ الفهم والعمل به حقَّ العمل هو كل ما تحتاج إليه الأمَّة العربيَّة، والدَّين وحده كفيلٌ أنْ يواخي بينهم، ويجمع بعضهم على بعض، ويجعل من أحزابهم وقبائلهم وأمصارهم مادةً متماسكةً تماسك الجسم على اختلاف أعضائه، وعلى تباين ما بينها في أعمالها المتمدِّدة، فإنَّ الأصل الذي تعمل له كل الأعضاء هو حفظ الحياة، فمن ثمَّ ترمي كلها إلى غاية واحدة؛ فلا يضرُّها أنْ يختلف بعضها عن بعض، ولا أنْ يكون هذا دقيقاً وذلك جليلاً، وهذا في الأعلى وذاك في الأسفل.

وقد كان أسلافنا -رحمهم الله- يقولون: «من أعان ظالماً وشدّ عَضُده؛ فقد خلع رِبْقة الإسلام من عنقه»[2]؛ وإنَّما يريدون أنَّ مبنى الإسلام على أنَّ المؤمن أخو المؤمن، وإنَّ مثل أحدهما من الآخر كمثل اليد من اليد تخلق كلتاهما لمعونة الثَّانية، وتتعاون اثنتاهما لفائدة الجسم كله، فأيُّما مؤمنٍ

(1) سورة الحشر/ 16.

(2) أخرجه: الطبراني في (المعجم الأوسط 21/2)»، وفي (المعجم الصغير 14/1)، وفي)مسند الشاميين((61/1)، وابن حبان في (المجروحين 328/1)، وأبو نعيم في (الحلية 248/5)، من رواية عكرمة، عن ابن عباس، ولفظه: «مَنْ أعان ظالماً بباطل ليدحض بباطله حقاً فقد برئ من ذمة الله، وذمة رسوله»، وإسناده ضعيف لضعف سعيد بن رحمة المصيصي. قال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به لمخالفته الأثبات في الروايات. (المجروحين 328/1).

أعان ظالماً على أخيه في ظلم شخصيٍّ أو سياسيٍّ أو اجتماعيٍّ؛ فهو شرٌّ على هذه الأمَّة من الظَّالم نفسه؛ لأنَّه في الأولى ظلم أخاه بإعانة الظَّالم عليه، ثمَّ ظلم نفسه بما طوَّع لها من ظلم أخيه، ثمَّ ظلم ذلك الذي أعانه بتهوين بغيه وتزيين فِسْقه، وإتيانه من جانب العون والمُسَاعَفَة، فهذا هو الظُّلم ثلاث مرات، والإفساد من ثلاثِ جهات، وعصيان الله في ثلاثة لا رخصةَ للمسلم في واحدة منها؛ ثمَّ هو خروج من قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[1]، وتأمَّل أنت هذا الأمر في الآية الشريفة ثمَّ هذا النَّهي عن ضدِّه فكأنَّ الله يأمرنا فيها مرتين بشيءٍ واحدٍ لمساس الحاجة إليه؛ ولكونه أصلاً يقوم عليه الاجتماع الإسلاميُّ حيث وجد المسلمون.

ولعمري إنَّ من لم يُقم إسلامه على هذا الأصل؛ فلا خير في إسلامه لأحدٍ البتة، إذْ لا يُعد إسلامه هذا شيئاً في ما بينه وبين الله، ولا في ما بينه وبين النَّاس، فهو إنْ كفَّ أذاه عن قومه ولم يفهم ولا أعان عليهم؛ كان كقطعةٍ ملقاة من جسم ميِّت؛ وإنْ اتصل بهم شرُّه ومَالأَ الظَّالمين عليهم؛ كانَ كالمرض في الجسم الحيِّ السَّليم، وفقد المسلمون منفعته في الحالتين وقطع هو ما بينه وبينهم؛ فكأنَّما خلع إسلامه من عنقه؛ وإنَّما هو مُتَّهمٌ بإسلامه.

فذلك لعَمْر الله هو الإسلام، وأولئك والله هم الأقوام، وتلك هي الأيام لا ما نحن فيه من شؤم هذه الأيام، وهكذا فلتكن السِّياسة الإسلاميَّة التي يقوم بها الاتحاد، وتعتزُّ البلاد، وينقاد من الأمور ما لا ينقاد، فلا يُعان الظَّالم على أحد وفي ذلك محوه؛ لأنَّه لا يظلم إلا بأعوانه، ولا يضعف المسلم مهما قلَّ شانه؛ لأنه يرى نفسه على قِلَّته كثيراً بإخوانه.

---

(1) سورة المائدة/ 2.

فاتقـوا اللّه أيها العرب الأمجاد أنَّكم لا تزالون مادة هذا الدِّين الكريم، وما أحسـب الإسـلام يرتقي بأهله في هذه العصـور حتى تنهضـوا به، وتَحْدِبُوا عليـه[1]، وتعودوا إلى سياسـته، وتُجمعوا أمركم على مناصـرته بمناصـرة أنفسـكم، وتأخذوا الأمور من جهة هذا الدِّين لا من جهة تلك السِّياسة التي ابتلـت العامَّة بالخاصَّـة؛ فأطاعوا سـادتهم وكبراءهم فأضـلُّوهم، وابتلت الخاصَّة بالنِّعم واللَّذَّات والعهود والمواثيق على مطالب الدُّنيا.

ورحم اللّه عمر بن الخطاب؛ لقد كان أعلم بالطَّبع العربيِّ وما يصلح له وما يصلح به؛ إذْ قال لسعيد ابن حاتم: «احذر النِّعمة كحذرك من المعصية ولَهِيَ أخوفهما عليك عندي».

على أنَّ الزَّمن قد اسـتدار، والشَّـرق قد استضاء فاسـتنار، والعرب خاصَّة قـد عرفـوا بعد الحرب الكبرى عـمَّ انجلى الغُبار؛ فعسـى أنْ تذكِّرهم هذه الرِّسـالة؛ والذِّكرى تنفعُ المؤمنين، ولعلهم يتدبَّرون الأمر قبل أنْ يُقال: ولاتَ حين، وعسى أولئِك أنْ يكونوا من المهتدين.

(1) تتعلَّقوا به.

الفاروق عمر بن الخطاب [1]

روى البخاريُّ بسنده عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: سمعتُ رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، أُتيتُ بقَدَحِ لَبَنٍ فَشَرِبْتُ حَتَّى إِنِّي لَأَرَى الرِّيَّ يَخْرُجُ فِي أَظْفَارِي، ثُمَّ أَعْطَيْتُ فَضْلِي عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، قَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَهُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: الْعِلْمَ» [2].

وروى بسنده عن أبي سعيد الخدريِّ عن النَّبيِّ عليه الصلاة والسلام قال: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، رأيتُ النَّاس يُعرضون عليَّ وعليهم قُمُصٌ منها ما يبلغُ الثُّدي، ومنها ما يبلُغُ دون ذلك، ومرَّ عليَّ عمرُ بن الخطابِ وعليه قميصٌ يجُرُّهُ، قالوا: ما أوَّلتَه يا رسولَ الله؟ قال: الدِّين» [3].

هذان حديثان في عمر بن الخطَّاب، هما وصفه بلسان النُّبوة، ولن يأتي بمثلهما الواصف بالغاً ما بلغ شعره، وذاهباً ما ذهب خياله، ومحققاً ما كان تحقيقه؛ فعمر كان بعد النَّبي عليه الصلاة والسلام بقيةً من مواهبه كما يكون فضل القدح من القدح، وبقيةً مما وُكِّل إليه حتى كأنَّما خلفه ليستمر فيه عمل النُّبوَّة بمعجزاتها، وليلحق آخر منها بأول، وينبسط به هذا النَّهار المشرق على الأرض كما ينبسط اليوم من فجره وضحاه.

---

(1) كتب الرَّافعيُّ هذا التَّقريظ لكتاب (الفاروق عمر بن الخطَّاب) للأستاذ دياب عثمان الغُرابي، المتخرِّج في دار العلوم سنة 1933، وقد طُبع الكتاب سنة 1934م بالمطبعة اليُوسُفية بطنطا، على نفقة جمعية الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر بطنطا. راجع تقويم دار العلوم ص 753 و 754.

(2) صحيح البخاري باب فضل العلم (82)، وفي كتاب أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام باب مناقب عمر بن الخطاب (3681)، وفي كتاب التعبير، باب اللبن (7006)، وباب إذا جرى اللبن في أطرافه أو أظافيره (7007)، وباب إذا أعطى فضلة غيره في النوم (7027)، وباب القدح في النوم (7032)، ومسلم (2391) كتاب فضائل الصحابة -رضي الله تعالى عنهم- باب من فضائل عمر رضي الله تعالى عنه.

(3) صحيح: أخرجه البخاري (23) كتاب الإيمان باب: تفاضل أهل الإيمان في الأعمال في كتاب التعبير، باب القميص في المنام (7008).

وهو رجلٌ لبس الدِّين سابغاً عليه سبوغ القميص على الجسم يكسوه ضافياً، ويسترسل عنه حتى يجرَّ من ذَلاذِلِه[1] جرّاً، والنَّاس منه بمقصر يفضُل بعضُهم بعضاً في الدِّين ولا يفضلونه، ويتفاوتون فيما بينهم ويفوتهم جميعاً، لا نقص فيهم إلا بالتَّمام فيه، ولا تقصير لهم إلا بالقياس إلى قدرته وما أطاق مما ضعفوا عنه، فهو كمالٌ لكمالهم لا دليل على نقصٍ ولا تقصيرٍ.

والذي يقرأ ما جمع هذا الكتاب من تاريخ (عمر) ويتدبَّر أعماله وأقواله ويشرحها بألف وثلاثمائة سنةٍ من تاريخ الفكر الإنسانيِّ في تقدُّمه إلى عهدنا هذا، عهد الفلسفة والعلم والقانون والتَّحقيق في أمور النَّفس ومذاهبها؛ يرى عمر كالمئذنة العالية منتصبةً في الجوِّ، والطِّباع الإنسانيَّة من دونه كالدور القائمة تستشرف إليه ولا تبلغه، وفيها الحياة وفيه هو جلال هذه الحياة.

تُضاء المدينة الكبيرة في اللَّيل بمصابيح لا عدد لها يترشَّرَش[2] منها النُّور، كأنَّ كوكباً عظيماً حُطِّم وبُعثرت شظاياه في أرجائها وطرقها ومغانيها، ويكون على هذا النُّور جمال اللَّيل كأنَّه فيه شعر الظُّلمة تتلمَّح معانيه الجميلة لمن يفهمها أو يحسُّها، ثمَّ ينبثق الفجر وتطلع الشَّمس؛ فإذا نورٌ آخر من خاصته أنَّه يُطفئ كلَّ نورٍ غيره، ويدع المصباح العظيم الذي كان يسطع في اللَّيل فيُبِينُ عن كلِّ شيءٍ حوله- وهو لا يكاد يُبين عن نفسه، وليس فيه إلا الشُّعلة التي عادت بعد قوَّتها لا قوَّة لها على أنْ تُثبت شيئاً، إلا أنَّ بينها وبين هذا النُّور الغامر مشابهة من بعض الوجوه، كذلك عمر.

وهو هِبةٌ من أخلاق نبيِّنا صلى الله عليه وسلم إذا مثلت بينه وبين عظماء الملوك، ودهاقين الحكم، وأساطين الفلسفة، وعلماء الأخلاق، ورجال الحياة العمليَّة، فقد يزيدون عليه من فنون الحياة بخيال كشعر الظُّلمة إذا كانوا في

---

(1) الذُّلْذُل، والذُّلْذِل: أسفل القميص الطَّويل، والجمع :ذلاذِل.

(2) سَالَ وقَطَرَ.

مواضعهم من التَّاريخ وكان هو في موضعه، فأمَّا إذا جئتَ بهم إليه، أو جئتَ به إليهم فوازنت خلقاً بخلق، وفضيلةً بفضيلة، وعملاً بعمل، وقوةً بقوة، وغايةً بغاية، فسترى شيئاً إلهياً لا طاقة به للصِّناعة، قد وسعه وأعجزهم، وترى ثمة أقداراً مُمثَّلةً في التَّاريخ على ما قدرها الله تؤكِّد لك تأكيداً أنَّه يستحيل على غير عمر أنْ يكون عمر.

بَذَّ الملوك وهو زاهدٌ، وبَذَّ الزُّهاد وهو ملك، وفات العلماء ولم يتعلَّم، ووقف من الأخلاق على غاية بعيدة انقطع الفلاسفة دونها، وكان في أعماله وأحواله تفسيراً واضحاً صريحاً لقانون الإنسانيَّة الذي جاء به الدِّين الإسلاميُّ، وجمع المتناقضات في وحدة نفسه العظيمة؛ فبطل تناقضها، وائتلفت فيه وآتته بحقائقها؛ فاحتمل كلَّ شيءٍ منها بحقه الذي هو له، لا بخياله الذي يتخيَّله النَّاس كذباً وصدقاً.

وكيف يجتمع ملك النَّفس وعبوديتها، وتأتلف القوَّة واللِّين، وتتَّصل الرَّهبة والرَّجاء، وتنتظم البطولة والحكمة، ويجيء الدِّين والدُّنيا معاً، ويقوم العدل والقدرة على سُنَّة واحدة، فيتساوق هذا الكلّ المتناقض، فيعتدل، فيتَّزن، فيطَّرد كله نسقاً واحداً في نفس وثيقة صافية مؤمنة رحيمة لا سبيل عليها إلى طوارق الشَّهوات وبغتات الطَّبيعة ونزوات الحياة، فلا تبلغ من نكايتها مبلغاً ولا ما دونه، كأنَّ هذه النَّفس لا تتعرف من الدُّنيا قريباً ولا بعيداً، على حين ليس في الدُّنيا قريبٌ ولا بعيدٌ لم تتعرفه؟!

أهذه نفسٌ إنسانيَّةٌ؛ أم هي طبيعةٌ محكومةٌ بنواميسها تأتي منها الكلمة كما يأتي الفكر، ويجيء الفكر كما يجيء العمل، وفي كلِّها إبداعٌ واحدٌ، كأنَّها كلها من كهرباء يتضرَّب بعضها في بعض، ويتحوَّل بعضها إلى بعض، وليس فيها على شتى فنونها ومظاهرها إلا عنصرٌ واحدٌ؛ هو عنصرها الإلهيُّ؟!

كان عمر بأخلاقه وأعماله كأنَّه التِّكرار الثَّالث لكلمة إلهية واحدة، مرسلة في التَّاريخ، صارخة في الدُّنيا، مؤذنة بين النَّاس أذان الملائكة: فكانت سيرة النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم التي أعجزت الخلق هي العظة الأولى؛ ثمَّ تكرَّرت على قدر الطَّاقة في سيرة أبي بكر الصِّديق الذي جهد أن يلزم سنَّة صاحبه ولا يتحوَّل عنها، ثمَّ تكرَّرت في عمر الذي بلغ جهده في تحقيق تلك السُّنَّة، لم يأل وسعاً ولم يدخر طاقة؛ وبهذا كان الإسلام يتسع ولا يزال مُتَّسعاً، ويغلب ولا يبرح غالباً، وتقبل عليه الإنسانيَّة محكومةً أسرع مما يذهب إليها حاكماً، ومذعنةً أسرع مما يزحف عليها فاتحاً، وطالبةً أكثر مما كانت مطلوبة؛ إذْ لم يكن إلا الخلق العظيم هو الذي يحكم، والعدل القائم هو الذي يغزو، والحق المبين هو الذي يجاهد، فتكرَّرت العظة تنبِّه المسلمين أنَّه لا يصلح أمر آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وأَنَّ الإسلام في حقيقته ليس كلاماً ولا جدلاً، والإيمان في طبيعته ليس أوهاماً ولا أماني؛ فلن يكون القانون الإسلاميُّ في الآراء والشُّروح والتَّعاليق، والجدل والكلام؛ بل قانون الإسلام هو هذه النَّفس المشرقة بنور ربها التي ظهرت للإنسانيَّة أدقَّ وأحكم وأجرأ ما ظهرتْ في النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، ثمَّ كانت بعد ذلك على ما تبلغ الطَّاقة من هذه السُّنة في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

***

ولو سئلتُ بعد قراءة هذا الكتاب أنْ أجمع عمر العظيم بكل مزاياه في جملة واحدة يتَّخذها رجال الإسلام دستورهم الذي يعملون عليه؛ لقلت: إنَّه رجلٌ أرصدَ عقله سجلاً لهفواته المعدودة التي لا تخلو الطَّبيعة منها، فلا يغادر الهفوة ولا شبه الهفوة، ولا ظلاً من الهفوة إلا أثبتها ليعمل ما يمحوها، ويخرج إلى الله والنَّاس من تبعاتها، وبذلك وحده صار التَّاريخ سِجلاً عظيماً لحسناته التي لا تُعدُّ.

تاريخُ الأستاذِ الإمامِ الشَّيخِ محمد عبده[1]

الأستاذ الإمام هو الذي كُتبتُ في وصفِهِ هذه العبارة:

«لستُ أدري على أيِّ رُوح نَبَتَ هذا الرّجل، ولكنّ الذي أعرفه أنّه حين أثمرَ؛ فنَضِجَ فَحَلَا؛ أذاق النَّاسَ من ثمره طعمَ معجزة الفكر العربيِّ» (السحاب الأحمر)[2]

ولقد كانت نفسي ممتلئةً بهذا الرجل العظيم، وكنتُ أراه وحده يمثِّل معاني القُوّة في الحياة الإسلاميَّة كلّها، وما جمعها أحدٌ جمعهُ، ولا توافتْ لغيره ثمَّ استمرَّت له على الزَّمن متوافرةً متتابعةً لا تنقص بل تزيد كأنَّها يلد بعضها بعضاً، وكأنّه ناموسٌ من نواميس الكون قد خُلق في صورةٍ بشريَّةٍ، فالحياة فيه دائماً أكثر ممَّا هي، والقوّة فيه أسمى مما تعرف.

وهذا تاريخه كتبه تلميذه وخليفته ووارث علمه الأستاذ الجليل السيِّد محمد رشيد رضا؛ فما أدري أهو يكتب التَّاريخ أم يصبُّه صبًّا؟! وهل هو يجمعه عن الشَّيخ أم يُلَقَّاهُ من روح الشَّيخ؟! فلقد -والله- اتّسع ثمَّ اتّسع، وأحاط ثمَّ أحاط، كأنَّما يضرب الحصار على أربعين سنة من نهضة مصر لا يريد أنْ يهرب من يوم.

وقد استوعب الحوادث فلاءَمَ بين جماعتها أحسن ملاءَمَةً، ثمَّ جنَّسها أجناساً، ثمَّ فصَّلها أنواعاً، ثمَّ مضى بكلِّ حادثة من حيثُ تنشأ إلى حيث تنقطع، وأُوتيَ من القوَّة على ذلك ما لا يقوم فيه أحد مقامه، ولا يجري غيرُهُ مجراه؛ إذْ جمعت له مادَّتا التَّاريخ من البيان والخبر، فهو يشهد بما

---

(1) مجلة المقتطف، المجلد 79، العدد الرابع، 21 رجب 1350هـ = 1 ديسمبر 1931م، ص 495-496، وقد نُشرت هذه المقالة ضمن باب مكتبة المقتطف.

(2) راجع ما كتبه الرَّافعيُّ في الفصل التَّاسع من كتاب (السَّحاب الأحمر). انظر (السَّحاب الأحمر ورسائل الأحزان وأوراق الورد)، طبعة خاصة جمعت الكتب الثَّلاثة، تقديم أ.د عبد القادر القط.

عَايَنَ، وينبئُ بما سَمِعَ، وإذْ هو يكتب بقلميه: قلمهِ وقلم الإمام، فترى في هذا البحر من الورق كلّ ما كتبه الشَّيخ عن نفسه وعن الثَّورة العُرَابية، وما دوَّن عن مقاصده وأغراضه، وما جهر به للنَّاس، وما أسرَّ به للسيِّد رشيد وحده.

وتالله إنَّ الشيخ الإمام ليُطالعنا من هذا الكتاب تاريخاً وأعمالاً بأروع مما يُطالعنا صورةً وهيئةً.

***

من سبع وعشرين سنة، زرتُ الصَّديق الأستاذ رشيد في داره بعد وفاة الإمام بشهر؛ فإذا هو يكتب، وبعد قليل تبسّم وناوَلَني الصحيفة فإذا فيها: إنَّ في هذا لعبرةً لأولي الألباب: صاحب عمامة أزهرية يدخل في حكومة مطلقة بعيدة في أعمالها عن رجال العلم والدّين؛ فيُشرف من نافذة غرفةٍ تحريرِ الجريدة الرسميَّة على نظارات الحكومة ومجالسها ومحاكمها ومصالحها؛ فيصلح لعُمَّالها ما يكتبون، ويُرشدهم إلى إصلاح العمل فيما يعملون، ثمَّ يُشرف من نافذة أخرى على الأمَّة فيقوِّم من أخلاقها، ويُصلح ما فسد من عاداتها.

ثمَّ يُشرف من نافذة ثالثة على الجرائد العربيَّة فيعلِّمها حسن التَّحرير، ويربِّيها على الصِّدق في القول، ويجعل للصَّادق منها سلطاناً نصيراً، وتأثيراً مأثوراً.

يا لها من عمامة شرفت برأس صاحبها حتَّى حَسَدَتها الطرابيش، وهابتها التِّيجان، وعظَّمتها البرانيط!

ثمّ قال: «وهذه عبارة شعريَّة حلَّت عليها رُوحُك»، ولقد بقيتُ طول هذا الدَّهر أعجبُ من انطواء هذا التَّاريخ، فإذا علَّة ذلك قد بيَّنها السَّيِّد في كتابه؛ وهي تعذُّر حريِّة الكتابة عن الشَّيخ في عهد الخديوي عبَّاس، لِمَا كان بينهما، ثمَّ اختلال الأحوال من بعد ذلك.

ولكنَّ هذا الذي أطلق يدَ السيِّد في الجانب السِّياسيِّ من كتابهِ لعلَّه هو الذي لا تجد للكتاب عيباً غيره، فإنَّ التَّاريخ السِّياسيَّ كالتَّاريخ الحربيِّ لا بدَّ للتَّمحيص في كليهما من أقوالٍ ثلاثة: أمّا اثنان فمن الجهتين المتقاذفتين، وأمَّا الثَّالث فمن معتزلٍ مُنْحازٍ عنهما يكتب بنفسٍ لم تُدبر ولم تُقبل، فإنَّ في النَّصر والهزيمة تنهزم الأخبار وتنتصر.

وقد جاءَ كتاب السيِّد رشيد والميدانُ خالٍ، فلعلّ ما كتبه عن أُناسٍ هلكوا لا يقع بالموافقة منهم لو كانوا أحياءً، ولعلَّهم كانوا يَنْقُضُون عليه بعضَ ما جاء بهِ، أو يجدون مساغاً لقولٍ غيرِ القول ورأيٍ غيرِ الرأي، وإذا وقعت (لعلّ) في مثل هذا كانت -ولا جَرَمَ- اختلالاً في حرارة «إنَّ وأنَّ».

السَّحَابُ الأَحْمَرُ[1]

سيِّدي الأستاذ الجليل مُنشئُ المُقتَطَف

أومأتم في المقتطف الأغرِّ إلى كتابي هذا، وأوليتموه شرف المقابلة بينه وبين كتاب (كارليل)، وإنْ كانت كمقابلةِ الخطِّ بصورته المقلوبة في المِرْآة؛ ثمَّ تمنيتم لو أجريتُ إنشائي كلَّه مجرى أسلوبي في (تاريخ آداب العرب) ومقالاتي الأخرى.

ولودِدت -والله- أنْ أُرَفِّهَ عن نفسي وأَطْرَح عنِّي الكَدَّ فيما عالجتُهُ من أسلوب (حديث القمر) و(المساكين) و(رسائل الأحزان) و(السَّحاب الأحمر)؛ ولكنِّي أجدُني كالمُسَخَّرِ في ذلك لقوة تُساوِرُني في أوقاتها وتهبُّ عليَّ كالرِّيح من سكونٍ وركودٍ؛ فلم أُفكِّر قطُّ في كتابٍ من هذه الكتب؛ ولكنْ تقع الحادثةُ فيجيء بها الكتاب، ثمَّ أرى من بعد صوته وتعلُّق المتأدِّبين به ما لم أكنْ أُقَدِّر بعضَه، وتنتهي إليَّ آراءُ مشيخة الأدب وطُلَّابه؛ فإذا هم لا يعدِلون بهذا الأسلوب شيئاً في نَسَقه وألفاظه ومعانيه، ثمَّ لا يعيبه إلا من قَصر عنه وشقَّ عليه النُّزُوع فيه وكابَرَ في الإقرار بعجْزِه؛ فذهب يلتمس المعاذيرَ والمعايبَ وأخذَ في ذلك مأخذَ فرعون إذْ جاءته امرأةٌ فقيرةٌ كانت هي وأطفالها يعيشون على دَرِّ (عنزة) لهم فماتت؛ فأقبلت المسكينة بها على هذا الذي يدَّعي الألوهية ويقول: أنا ربُّكم الأعلى، وسألته أنْ يحيِّيها؛ فاعتذر بأنَّ في السَّماوات أعمالاً كثيرة أكبر من العَنْزَة.

أرى المتأدِّبين يعرفون لهذا الأسلوب ما يعرفه رجال التَّربية والتَّعليم من أساليب إنشاء التَّصور وإرهاف الذِّهن وتدقيق الخيال وقوة الطَّبع اللُّغويِّ وصقله وإدارة الحسِّ عليه، ثمَّ هم يقولون إنَّ موضعه من هذا الكلام الخَنِث

(1) المقتطف، باب المراسلة والمناظرة، عدد أبريل 1925، ص 443 وما بعدها.

المتهالك الذي ترمي به الأقلام المريضة في هذا العصر موضع الفحولة التي لابدَّ منها في الخليقة لإيجاد القوَّةِ التي لا تكون إلَّا بالفحولة وإشعار الهيبة التي لا تكون إلا بالقوَّة، فنحن في زمن كلُّ كاتب فيه قادرٌ على أنْ يُرسل مدَادَه يُمطر وحلاً لغويّاً، حتَّى كلُّ من يعرف القراءة هو كاتب إنْ صحَّح أو أفسَدَ، وإنْ أصاب أو أخطأ، وإنْ أخذ اللُّغة والكتابة عن معجماتها ودواوينها ومدارسها، أو أخذها من الرِّوايات والجرائد والأسواق.

يقولون هذا ويُضيفون إليه أنَّ الفصاحة العربيَّة كادت تنقطع أمثلتها العليا، وأنَّه لم يعد يكمل أحد في صناعة الكلام، وأنَّ زمننا هذا حين ينقلب إلى مرآة التَّاريخ فينظر فيها سيرى وجهه متورِّماً مُخدَّشاً مُضمَّداً مَلفوفاً بالجرائد، ليس عليه سِمَةُ جمالٍ، ولا فيه من الأدب منظر قوَّة، وأنَّ اللُّغة أصبحت أشبه بالبيت المتداعي الذي يُريد أنْ ينقضَّ، لا تسمع من أهله ولا من جيرانه ولا من السَّابلة في طريقه إلا «هدُّوا هدُّوا إلى الأساس».

علم الله يا سيدي الشَّيخ أنِّي ما كنتُ أصبرُ على مصيبة البلاغة، لولا ثقتي بأجرها، ولولا استئناسي إلى المُعَزِّين فيها، وهم جمهور أهل الأدب إلا قليلاً يُعزِّيني بأسلوبٍ آخر يُضحكني أحياناً.

أمَّا هذا الذي يُسمُّونه غموضاً وتدقيقاً؛ فما أنا بصاحبه ولا العامل فيه؛ ولكنَّه طورٌ من أطوار الزَّمن لابد أنْ يسبق نهضة التَّجديد كما سبقها من قبل، فلقد كانوا يصفون به سيديْ شعراء العربيَّة قاطبةً أبا تمَّام والمتنبِّي، حتَّى قالوا في أبي تمَّام إنَّه أفسَدَ الكلامَ وأَحَالَه وعقَّده بتعمُّله وصناعته، وأنَّه أتعب النَّاس حتى صار استخراج معانيه باباً مفرداً في الأدب ينتسب إليه طائفةٌ من العلماء، وأنَّ أعرابيّاً سمع قصيدته التي مطلعها: طَلَل الجميع، فقال إنَّ في هذه القصيدة أشياء أفهمها وأشياء لا أفهمها، فإمَّا أنْ يكون قائلها أشعرَ من جميع النَّاس، وإمَّا أنْ يكون جميعُ النَّاس أشعرَ

منه، وهذه شهادة بأنَّه أشعَرَ من جميع النَّاس، ولا ريب إذْ يستحيلُ أنْ يصحَّ الشقُّ الآخر، ثمَّ كان جمعٌ من كبار الرُّواة يتعصَّبون عليه كابن الأعرابيِّ والرياشيِّ وغيرهما؛ بل قد بلغ من تعصب الرِّياشيِّ عليه وعلى البحتريِّ أنْ قلَّت نُسَخ ديوانيهما بالبصرة في زمنه لزهد النَّاس فيهما، ولقي المتنبِّيُّ شرّاً مما لقي أستاذه ومثله الأعلى الذي يُقلِّده ويحتذي عليه، ومع ذلك انحدر الشعر العربيُّ كله في طريقتهما إلى عصرنا هذا.

ولقد كان المتنبِّيُّ خَمُلَ اسمهُ ومُحِي من لوح الزَّمن لو كان يعيب البلاغة عيب يكون معها، فقد قال فيه الإمام العسكريُّ: لا أعرف أحداً كان يتتبعُ العيوب فيأتيها غير مكترثٍ إلا المتنبِّيُّ، فإنَّه ضمَّن شعره جميع عيوب الكلام ما أعدمه شيئاً منها، قلنا: ولكنَّ جميع عيوب الكلام (بهذا الحصر) لم تزد على أنْ كانت من أقوى الأسباب في تخليد حسنات الرَّجل.

إنَّ أرفع منازل البلاغة العربيَّة كما قالوا أنْ يكون في قوة صائغ الكلام أنْ يأتي مرةً بالجزل وأخرى بالسَّهل؛ فيلين إذا شاء ويشتدُّ إذا أراد، ولا يبلغ هذه المنزلة أحدٌ فيحكمها ويُعطيها حقَّها من التَّمييز إلا جعلته الأقدار وسيلةً من وسائل حفظ البلاغة يتسلَّم الزَّمن ويسلم؛ بل قل بالألفاظ الصَّريحة المكشوفة يتسلَّم لغة القرآن ويسلمها.

فأمَّا أسلوبٌ واحدٌ وطريقةٌ واحدةٌ فهذا في قوَّة كل كاتب على تفاوت فيه، ولن يكون الرجل حقَّ رجل إلا إذا كان له مع الظَّرْف واللِّين والدَّماثة حديداً من العضلات وفولاذاً من العظام، فإنْ لم يكن إلا اللين محضاً والاسترسال خالصاً؛ فهذا -أصلحك الله- شيءٌ سَمِّه ما شئت إلا أنْ تقول إنَّه رجولةٌ، فإذا لم يبلغ كلُّ النَّاس ولا أكثرهم هذه المنزلة فذلك أحرى أنْ يُعدَّ في محاسن مَنْ يبلغها لا في معايبه.

ألا لا يحسبنَّ أحدٌ أنَّ الفصاحة العربيَّة هالكةٌ بحياة طائفةٍ من مَرْضَى القلوب كهؤلاء الكُتَّاب الذين يعملون جهدهم في إفسادها، فهم مهما كثروا تنتظرهم قبورٌ بعددهم، وفي هذه البلاغة العربيَّة خاصةً ينبغ الكاتب الواحد في عصر من عصور الضَّعف، فإذا أَلفُ كتابٍ يتساقطنَ حولهُ، وإذا الكاتبُ كأنَّه سُنَّةٌ من سُنَن الكون تضرب ضرباتِها بالقضاء والقَدَر.

نهجُ البلاغةِ[1]

هذا الكتاب هو جملة ما جمعه الشَّريف الرَّضيُّ من كلام أبلغ العرب بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم سيِّدنا عليِّ بن أبي طالب[2]، وفيه من بارع الخُطَب وبديع الرَّسائل والكتب وبالغات الحِكَم ما لو اقتصر عليه طالب الفصيح من الكلام؛ لكان به في عُليا مراتب الكُتَّاب البُلغاء؛ فقد جمع إلى سموِّ المعنى الذي تكسوه المسحة النَّبويَّة فصاحةَ اللَّفظ الآخذة بمجامع القلوب، وهذا ما لا يوجد وغيره[3] من كلام فطاحل العرب وبلغاء الكُتَّاب؛ ولذلك كان لا يستغنى عنه من المتبارين في حلبة الأدب سابقٌ ولا لاحقٌ.

ولقد طُبع الكتاب بشرحه لفضيلة حضرة مولانا الأستاذ الحكيم الشيخ محمد عبده مفتي الدِّيار المصريَّة لهذا العهد غيرَ مرة؛ ولكنْ بقيت فيه حاجة للأدباء وطلبة الإنشاء، وهي خلوه من ضبط مفرداته ليكون أدعى إلى تثبيت المَلَكةِ العربيَّة الصحيحة، وما زالت هذه الحاجة في الأنفس حتى قضاها حضرة الأستاذ الفاضل الشيخ محمد سعيد الرَّافعيُّ صاحب المكتبة الأزهرية؛ فاشتغل بشكل ألفاظ الكتاب كلها مع طائفة من الأفاضل، وأعاد طبعه بزيادة في الشَّرح على ما في الطَّبعة الأولى لفضيلة حضرة الشَّارح حفظه الله تعالى (وسيُطبع)[4] قريباً ويُباع في مكتبته المذكورة.

---

(1) وجدنا هذه المقالة الصَّغيرة بتوقيع الرَّافعيِّ في آخر الطَّبعة الثَّالثة من رواية (حسام الدِّين الأندلسيِّ) التي طُبعت بالمطبعة العموميَّة بمصر، ونُشرت سنة 1321 هـ، وقد وجَّهني إليها الصَّديق وائل حافظ، وهو ممن خدموا تراث الرافعيِّ في مواطن كثيرة، ولا يزال معنياً به، فله الشُّكر الجزيل.

(2) اختُلف في نسبة هذا الكتاب فمنهم مَنْ نَسَبَه إلى الإمام عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه ومنهم مَنْ نَسَبَه إلى الشَّريف الرَّضيِّ وقال إنه زوَّره للإمام ودلَّل على ذلك بعدم وجود سند للكتاب إذْ يفصل بين الإمام علي والرَّضيِّ نحو أربعة قرون، وثمة رأي يرى أنَّ الكتاب من كلام علي بن أبي طالب زاد عليه الشَّريف ما ليس منه مثل سَبِّ بعض الصَّحابة الكِرام كأبي بكر وعمر رضي الله عنهم.

(3) كذا في الأصل، ولعلَّ الصَّواب: في غيره.

(4) مطموسة في الأصل.

فنحن بلسان الأدب نشكر لحضرته هذه العناية؛ فإنَّ هذا الكتاب البليغ من أهم الكتب التي يجب أنْ تكون مشكولةً بعد كتاب الله تعالى وكلام الرسول صلى الله عليه وسلم، ونُبشِّر الأدباء لينتهزوا هذه الفرصة ويُبادروا إلى اقتناء هذه الذَّخيرة التي جاءت في طبعها أجمل من كل طبعةٍ غيرها بعناية حضرة الملتزم الفاضل جزاه الله عن الأدب خيراً.

الإنشاءُ العصريُّ البليغُ[1]

هذا كتابٌ وضعه صديقي الفاضل في بيان السُّنَنِ الإلهية التي يُنشَّأ بها ملائكة العالم الصِّغار على نحو ما كان يلطف بهم الله وهم أجنَّة في بطون أمهاتهم.

كتبه للأمِّ لأنَّها مهد الأمّة، فهي حين تهزُّ الطِّفل إنّما تهزُّ المستقبل النَّائم في مهده مطبق العينين على نورٍ يلمع في الغيوب البعيدة، مفترَّ الشّفتين لآمالٍ ستُخلق في هذه القلوب الجديدة.

هُزِّيه أيتها الأمُّ صغيراً، ولكن ربّيه على أنْ يهُزّ الحوادث كبيراً؛ فقد يسقط الآن عن صدرك إلى يدك بهزَّة تضحكين لها، ولكنَّ هزَّة الكبير زلزلة تسقط بالأركان، وقد يستحيل بعدها ما يكون في الإمكان.

يسرُّك هذا الطِّفل الآن لأنَّه ضعيفٌ، ولأنَّ ضعفه قوّة لإحساسِك؛ ولكنَّه إذا كبر على ضعفه؛ كان هذا الضَّعف قوّةً في أذاك وإساءةً على أساك؛ لأنَّك تحسبينه رجلاً وهو في نفسه طفلٌ كبيرٌ، وتظنِّينه عظيماً ولكنَّه كما عَظُمَ البعير.

تنظرين أيتها الأمُّ ما شئتِ من ظاهر طفلك، ولكنَّ باطنه لا ينظر إلَّا في مرآة من مثل هذا الكتاب، فإنْ لم تقرئيه فليقرأ لكِ، فإنَّ ابنك لم ينبت من التُّراب ولا هو حيوانٌ سائمٌ فتكفله الطَّبيعة.

---

(1) هذا تقريظٌ كتبه الرَّافعيُّ لكتاب (العنايةُ بالأطفال والأَحْدَاث) للدُّكتور إسكندر بك جريديني، مطبعة الأخبار 1909، وقد تعذَّر الحصول على الكتاب فنقلناه هنا عن مجلة سركيس، العدد الثَّاني، السَّنة الخامسة، 2 شوال 1327، ص 45.

فإذا كنتِ لا تعلمين ولا تســألين لتعلمي؛ فإنّ مَهْدَك لَحْدٌ، وصدرَك قبرٌ، وما تدرجين ابنك من ثيابه إلَّا في كفن، ولا يكون هذا الطِّفل إلّا حيّاً من الأموات إلى زمنٍ.

أتمنَّى أنْ يكون في كلِّ بيتٍ طفلٌ ونسخةٌ منٍ هذا الكتاب، وأنْ يكون أكثر لعب الطفل أنْ يأخذ الكتاب، ويرميه في حجر أمِّه وأبيه.

ديوانُ الأميرِ شَكِيب أرسلان[1]

الأمير شكيب أرسلان كوكبٌ سيَّارٌ إنْ غاب عن أرض فالعلم به في كلِّ أرض، وهو إمامٌ في كلِّ فنونه من الأدب واللُّغة والترسُّل والشِّعر والتَّاريخ والسِّياسة، مقدَّمٌ في جميعها منظورٌ إليه نظرة أهلِ المسجد لإمام المسجد، ولو أوجزتُ في شرح حقيقته العظيمة لقلتُ: إنَّه رجلٌ بَعْثَرَتْه القدرة الإلهيَّة في أقطار الدُّنيا لتخرج منه هذا المجموعَ الذي لا يجمعهُ فَرْدٌ، ثمَّ لتخرج من هذا المجموع قوة، ثمَّ لتعملَ بهذه القوَّة عملها في نهضة العالم العربيِّ: فروحُه للثورة، وقلبُه للإيمان، وعقلهُ للسياسة، ولسانُه للبيان، وهو في جملته جملةٌ متميِّزة تعارض عليها الأفراد ولا يعارض هو بفرد.

وهذا ديوانه نشره كما يقول في مقدمته، لخصال ثلاث: إحداها ألا يُنسب إليه غيرُ شعره ولا ينسب شعره إلى غيره، والثَّانية أنَّ بعضَ قصائده تتعلَّق بوقائع تاريخيَّة مشهورة فنشرها حصَّةٌ من التَّاريخ، والأخرى توفيةُ الذين رثاهم في ديوانه من أعلام العصر بعضِ حقوق الوفاء، قال: فلم يكن غرضي من نشر هذا الدِّيوان إظهار فصاحة أُفاخِرُ بها، ولا إثبات براعة أتعلَّقُ بأسبابها، ولا حشد كلمات أتوخَّى إرسَالهَا، ولا تسيير شوارد يُقال مَنْ ذا قالها.

وهذا من تواضع الأمير وسموِّ أدبه؛ وإلا فكلُّ ما نفاه عن نفسه أثبته شعره لنفسه، فهو شعرٌ مفاخرٌ بفصاحته وبراعته، ينزل من شعر العصر منزلة فصحاء الأعراب من المولَّدين في صدر تاريخ اللُّغة العربيَّة والبلاغة، ففيه السَّليقة على أصحِّها والموهبة على أتمِّها، وهو آيةٌ في الجزالة وقوةِ السَّبك وإشراق البيان وحسن المعرض وكمال الصَّنعة، يتحدَّر من طبعٍ متينٍ رزينٍ، ويتفجَّر من ينبوعٍ هدَّارٍ فوَّارٍ.

---

(1) المقتطف، باب مكتبة المقتطف، عدد 5، ديسمبر 1936م.

ولا عيبَ في شعر الأمير شكيب، فالشّاعر هنا تامٌّ بكلِّ أسبابه؛ ولكنَّه مصروفٌ عن الشِّعر برسالةٍ عظيمةٍ يؤدِّيها في غير مملكة الخيال، فهو في الميادين لا في الرِّياض، وفي الخنادق لا في القصور، وفي الحقائق لا في الأخيلة، ومع الأسود لا مع الظِّبيات، وهو لتأليف أمَّةٍ لا لتأليف ديوانٍ، فكأنَّ الشِّعر دلالةٌ على ناحيةٍ واحدةٍ من نواحي كماله فهو بقدر هذه الدلالة في قلَّته وعظمته وانحصار أغراضه، وهذا فرقٌ ما بين الأمير وبين رجلٍ كشوقي عاش مدةَ عمرِه كلها ليكون لساناً للَّذةِ والألم.

وقد كان الأمير يقول الشِّعر وهو في الرَّابعة عشرة من سِنيِّه، ولما بلغ السَّابعة عشرة طبع ديواناً سمّاه (الباكورة) وقد اختار منه طائفةً من القصائد والمقاطيع ألحقها بديوانه الأخير وهي عجيبة الدلالة على قائلها، فما علمنا أنَّ شاعراً ينظم القصيدة فيجاوز بها مائة بيت وهو في الخامسة عشرة كما صنع الأمير في حداثته، فلا ريب أنَّه شاعرٌ قبيلةٍ من قبائل العرب مجتمعة بخصائصها في دمه العربيِّ الحرِّ، ولا ريب أنَّ هذا هو الذي صرفه عن الشِّعر من بعد؛ إذْ كانت هذه القبيلة مجتمعة كذلك في دمه بقُوَاها وأسلحتها.

ومن الرَّائع النَّادر في ديوان الأمير قصيدته الأندلسيَّة التي نظمها بعد أنْ شاهد مسجد قرطبة في سياحته إلى الأندلس سنة 1930م وهي نيف ومائة بيتٍ يقول في آخرها:

وَلَم يَبقَ في هَذي الدِّيارِ لَنا سِوى
مَمالِكَ فِكرٍ مِن حُروفٍ وَأَسطُرِ
مَمالِكُ لا تَقوى عَلَيها كَتائِبٌ
وَلا سالِبُ تاريخُها زَحفَ عَسكَرِ

إذا حَضَرتَ ثارَ قَومي وَإنْ خَلَوا

فَإِنّي مِنها فِي قَبيلٍ وَمَعشَرِ

وَأَشعُرُ أَنّي فِي بِلادي كَأَنَّما

تُخاطِبُني الأَرواحُ مِن كُلِّ مقبر

ولا أبدع ولا أجمل من وصفه لشوقي فيما رَثَاه به إذْ يقول:

جَلَّ الإِلَهُ لَهُ الأُمورُ كَأَنَّما

يُلقى عَلَيها الشَمسُ مِن نَظَراتِهِ

فَتَرى الطَّبيعَةَ قَبلَ نَظرَتِهِ لَها

غَيرَ الطَّبيعَةِ وَهيَ فِي مِرْآتِهِ

وَالحُسنُ يُشرِقُ فِي العُيونِ بِذاتِهِ

وهُنا يُضيءُ بِذاتِهِ وَصِفاتِهِ

ما فِي الهيامِ كَوَجدِهِ وَحَنينِهِ

أَو فِي النَّسيبِ كَظَبيِهِ وَمَهاتِهِ

ولا نطيلُ بإيراد الأمثلة من هذا الشعر السِّريِّ؛ فالوردة الجميلة عنوانُ الوَرْد.

مقالٌ أخيرٌ

بعدَ الموتِ، ماذا أُريدُ أنْ يُقال عَنِّي؟![1]

مـا هـي الكلمات التي تُقال عن الحيِّ بعد موته إلا ترجمة أعماله في كلمات؟ فمن عرف حقيقة الحياة عرف أنَّه فيها ليهيئ لنفســه ما يحسن أنْ يأخذه، ويعدُّ للنَّاس ما يحســن أنْ يتركه؛ فإنَّ الأعمال أشـياء حقيقيَّة لها صـورها الموجودة وإنْ كانت لا تُرى.

وبعد الموت يقول النَّاس أقوال ضـمائرهم لا أقوال ألسـنتهم، إذْ تنقطع مادة العـداوة بذهـاب مَنْ كان عـدواً، وتَخْلُص معاني الصَّـداقة بفقد الصَّـديق، ويرتفع الحسـد بموت المحسود، وتَبطُلُ المجاملة باختفاء مَنْ يجاملونه، وتبقى الأعمـال تُنبِّه إلى قيمـة عاملها، ويَفْرُغ المـكان فيدلُّ على قَـدْر مَنْ كان فيه، وينتـزع من الزَّمن ليل الميِّت ونهاره فيذهب اسـمه عن شخصـه؛ ويبقى على أعماله.

ومن هنا كان الموت أصدق وأتمَّ ما يُعرِّفُ النَّاس بالنَّاس، وكانت الكلمة بعده عن الميِّت خالصـةً مُصـفَّاةً لا يشـوبها كذب الدُّنيا على إنسـانها، ولا كذب الإنسـان على دنياه، وهي الكلمة التي لا تُقـال إلا في النِّهاية، ومن أجل ذلك تجيء وفيها نهاية ما تُضمر النَّفس للنَّفس.

وماذا يقولون اليوم عن هذا الضَّعيف؟! وماذا تكتب الصُّحف؟!

هــذه كلمات من أقوالهـم: حجَّة العـرب، مؤيِّد الدِّين، حارسـ لغة القرآن، صـدر البيان العربيِّ، الأديـب الإمام، معجـزة الأدب، إلى آخر ما يَطَّرِد في هــذا النَّسَـق، وينطوي في هــذه الجملة، فسيُقال هذا كله ولكـن باللَّهفة لا بالإعجاب، وللتَّاريخ لا للتقرِّيظ، ولمنفعة الأدب لا لمنفعة الأديب.

---

(1) سأله الأستاذ طاهر الطَّناحيُّ محرر (الدُّنيا) قبل وفاته بنحو شهرين: بعد الموت ماذا أريد أنْ يُقال عنك؟ فكتب إليه الرَّافعيُّ هذا الجواب الذي نشرته مجلة الرِّسالة، السَّنة الخامسة، العدد (203)، 14 ربيع الأوَّل 1356 هـ = 24 مايو 1937، ص 862، وراجع أيضاً: ساعات من حياتي لطاهر الطَّناحيِّ، ص 99 .

ثم لا يكون كلاماً كالذي يُقال على الأرض يتغيَّر ويتبدَّل؛ بل كلاماً خُتِم عليه بالخاتم الأبديِّ، وكأنَّما مات قائلوه كما مات الذي قِيل فيه.

أمَّا أنا فماذا ترى روحي وهي في الغَمام وقد أصبح الشَّيء عندها لا يُسمَّى شيئاً؟!

إنَّها سترى هذه الأقوال كلها فارغةً من المعنى اللغويِّ الذي تدلُّ عليه لا تفهم منها شيئاً إلا معنى واحداً هو حركة نفس القائل، وخفقة ضميره، فشعور القلبِ المتأثِّر هو وحده اللُّغة المفهومة بين الحيِّ والميِّت.

سترى روحي أنَّ هؤلاء النَّاس جميعاً كالأشجار المنبعثة من التُّراب عاليةً فوقه وثابتةً فيه، وستبحث منهم لا عن الجذوع والأغصان والأوراق والظَّاهر والباطن؛ بل عن شيءٍ واحدٍ هو هذه الثَّمرة السَّماوية المُسَمَّاة القلب، وكل كلمةِ دعاءٍ وكلمة تَرَحُّمٍ وكلمةِ خيرٍ، ذلك هو ما تذوقه الرُّوح من حلاوة هذه الثَّمرة.

الملاحق والفهارس

ثبتٌ بأهم الصحف والمجلات

التي نشر فيها الرافعي[1] [2]

- أبولو (1932 – 1934م): أحمد زكي أبو شادي.
- الإحسان: الجمعية الخيرية الإسلامية بحلب.
- الأخبار (1920م): أمين الرافعي، القاهرة.
- الإشاعة (1932): عبد الرحمن العيسوي، القاهرة.
- الأهرام (1879م): سليم وبشارة تقلا، القاهرة.
- البلاغ (1923م): عبدالقادر حمزة، القاهرة.
- البلاغ الأسبوعي (1926م): عبدالقادر حمزة، القاهرة.
- البيان (1897م): إبراهيم اليازجي وبشارة زلزل، القاهرة.
- البيان (1910م): عبدالرحمن البرقوقي، القاهرة.
- الثريا (1896م): إدوارد جدي.
- الجامعة (1906م): فرح أنطون، القاهرة.
- الجريدة (1907م): أحمد لطفي السيد، القاهرة.
- الجهاد (1931): محمد توفيق دياب، القاهرة.
- الجوائب (1932): حسن السندوبي، القاهرة.

---

(1) اعتمدنا في إعداد هذه القائمة على ما كتبه الأستاذ العريان في كتابه (حياة الرافعي)، والدكتور مصطفى البدري في كتابه «الإمام مصطفى صادق الرافعي»، فضلاً عما توصلنا إليه بالتنقيب في دار الكتب المصرية العامرة ومكتبة الإسكندرية وغيرهما.

(2) رأينا ترتيب الصحف والمجلات أبجدياً مع بيان اسم صاحب الامتياز ما أمكن تمييزاً لها عن غيرها.

- الجوائب المصرية (1903م): خليل مطران، القاهرة.
- الحال (1918م): حسن السيد علي الخولي، القاهرة.
- الدنيا المصورة (1929م): دار الهلال، القاهرة.
- الرسالة (1933م): أحمد حسن الزيات، القاهرة.
- الزهراء (1924م): محب الدين الخطيب، القاهرة.
- الزهور (1910م): أَنْطُون الْجُمَيِّل وأمين تقي الدين، القاهرة.
- سركيس (1905 – 1926م): سليم سركيس.
- السياسة (1922م): محمد حسين هيكل، القاهرة.
- السياسة الأسبوعية (1926م): محمد حسين، القاهرة.
- الصاعقة (1897م): أحمد فؤاد وإبراهيم حلمي، القاهرة.
- الضياء (1898م): إبراهيم اليازجي، القاهرة.
- العصور (1927م): إسماعيل مظهر، القاهرة.
- فتاة الشرق (1906م): لبيبة هاشم، القاهرة.
- الفتح (1926م): محب الدين الخطيب، القاهرة.
- الكفاح (1930): كمال الدين الطائي، بغداد.
- كل شيء والدنيا: (1925): دار الهلال، القاهرة.
- كوكب الشرق (1924م): أحمد حافظ عوض.
- لسان الحال (1877م): خليل سركيس.
- اللطائف (1886 – 1896م): شاهين مكاريوس، القاهرة.
- اللطائف المصورة (1915م): إسكندر مكاريوس، القاهرة.

- المجلة الجديدة (1930م): سلامة موسى، القاهرة.
- المساء (1930): أحمد محرم، القاهرة.
- المضمار الرياضي (1928): أحمد صادق، القاهرة.
- المعرفة (1931م – 1934م): عبدالعزيز الإسلامبولي، القاهرة.
- المقتبس (1906 - 1908م): محمد كرد علي.
- المقتطف (1876 – 1952م): يعقوب صروف وفارس نمر، القاهرة.
- المقطم (1889م): يعقوب صروف وفارس نمر وشاهين مكاريوس.
- المكشوف: فؤاد حبيش سنة 1935م.
- المنار (1898م): محمد رشيد رضا، القاهرة.
- المنبر (1918): محمد الههياوي، القاهرة.
- منبر الشرق (1921 – 1956م): على الغاياتي، القاهرة.
- منيرفا (1923م): ماري يني، بيروت.
- المؤيد (1889م): علي يوسف، القاهرة.
- الهداية الإسلامية (1928م): محمد الخضر حسين، القاهرة.
- الهلال (1892م): جورجي زيدان، القاهرة.

دراسات حول الرافعي وأدبه[1]

أولاً: الدراسات (مرتبة هجائياً)

- الاتجاه القصصي عن الرافعي: الدكتور عثمان عبدالرحمن عثمان، طبعة خاصة بالمؤلف، دون تاريخ.
- الأدب الأبيض بين الرافعي وطه حسين: محمود طرشونة، مطبعة تونس- قرطاج، الطبعة الثالثة 1985م.
- الآراء النقدية عند الرافعي بين النظرية والتطبيق: علي بختي، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، 2014م.
- أسرار النظام اللغوي عند مصطفى صادق الرافعي: الدكتور حامد محمد أمين شعبان، عالم الكتب- القاهرة، 1979 م.
- الإسلام في أدب الرافعي: الدكتور عباس بيومي عجلان، دار لوران- الإسكندرية، 1982م.
- إعجاز القرآن الكريم في فكر الرافعي: محمود سعد، دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية، 1991م.
- أغاريد الرافعي: الدكتور مصطفى نعمان البدري، دار الحرية للطباعة- بغداد، 1980م.
- الإمام مصطفى صادق الرافعي: الدكتور مصطفى نعمان البدري، دار البصري- بغداد، 1387 هـ = 1968 م.
- إيوان الألمعي.. شرح ديوان مصطفى صادق الرافعي: أسامة محمد السيد، مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت، 1993م.

---

(1) يُراجع: الرافعي في الكتب والدراسات للصديق أيمن أحمد ذو الغنى، مجلة الأدب الإسلامي (مرجع سابق). وما كتبه الصديق أحمد موسى في موقع الألوكة الإلكتروني.

- بدائع الحكم من وحي القلم: حسن السماحي سويدان، ضمن سلسلة كتب قيمة، العدد (46)، دار القلم، الدار الشامية- دمشق، 2001م.
- بلاغة القرآن في أدب الرافعي: الدكتور فتحي عبدالقادر فريد، دار المنار- القاهرة، 1985م.
- البيان ودلالاته عند مصطفى صادق الرافعي: صلاح الدين محمد حسين، مطبوعات جامعة القاهرة.
- التناص القرآني في شعر مصطفى صادق الرافعي: شاملي، نصر الله، زارع نجف أبادي، ساجد، عمراني ساردو، أمير، مجلة دراسات الأدب المعاصر- إيران، صيف 1391 هـ، العدد (14).
- الجانب الاجتماعي في أدب المفكر الإسلامي مصطفى صادق الرافعي: الدكتور عبدالستار السطوحي، دار الاعتصام- القاهرة.
- الجانب الإسلامي في أدب الرافعي: الدكتور عبدالستار السطوحي، دار الفكر- لبنان، 1391 هـ.
- الحكيم القرآني مصطفى صادق الرافعي: قصائد وأشعار في إمام الأدب العربي ومجدد الفكر الإسلامي: محمود الطاهر الصافي، مكتبة الآداب- القاهرة، 2005م.
- حياة الرافعي: محمد سعيد العريان، الهيئة العامة لقصور الثقافة- القاهرة، الطبعة الثانية - 2004م، ضمن سلسلة ذاكرة الكتابة، العدد (54).
- خواطر الرافعي في تفسير القرآن وإعجازه (جمع وتحقيق): الدكتور إبراهيم الكوفحي، الشركة الجديدة للطباعة والتجليد، الأردن- عمّان، 2006م.

- دراسة في أدب مصطفى صادق الرافعي: نعمات أحمد فؤاد، دار الفكر العربي- مصر، الطبعة الثانية، 1963 م.
- الرافعي الكاتب بين المحافظة والتجديد: الدكتور مصطفى نعمان البدري، مطبعة دار البصري- بغداد.
- الرافعي في وحي القلم: محمد بن نوري بكار، دار الوعي بحلب- سوريا.
- الرافعي وإعجاز القرآن الكريم: الدكتور مصطفى الشكعة- القاهرة، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، سلسلة دراسات إسلامية، العدد (98)، 1424 = 2003م.
- الرافعي والانتصار للعربية: محمد قنديل أبو المكارم، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية بطنطا- مصر، الطبعة الأولى، 1410هـ = 1990م.
- الرافعي وطه حسين: محمد عبدالقادر العمادي، دار الفكر الحديث، 1958 م.
- الرافعيُّ وميُّ: عبدالسلام هاشم حافظ، الدار القومية - القاهرة، 1383 هـ = 1964 م.
- رسائل الرافعي: محمود أبورية، الدار العمرية، دون تاريخ.
- السَّفُّود الأول للرافعي في ميزان النقد البلاغي: خالد السيد علي، دار الولاء للتراث- القاهرة، 2004م.
- شعر مصطفى صادق الرافعي بين التقليد والتجديد: الدكتور محمد بن علي، دار المعالم الثقافية- السعودية، 1998 م.
- الفكر الاجتماعي في كتابات الرافعي: علي عبده مصطفى الشيخ، طبعة خاصة بالمؤلف- مصر، 2001م.

- الفكر التربوي عند مصطفى صادق الرافعي: عطا الفرسوني، طبعة خاصة بالمؤلف، الأردن، الطبعة الأولى 1428 هـ = 2007م.
- قراءة جمالية في أوراق الورد للرافعي: الدكتورة سهام راشد عثمان، مجلة كلية الآداب بقنا- مصر، العدد (16) 2006م.
- الكاتب الإسلامي الكبير مصطفى صادق الرافعي نظرات في مواقفه تحت راية القرآن: عبدالرحمن الزياني، شركة صوت مكناس- المغرب، 1995م.
- المختار من أدب الرافعي: اختيار وتقديم صدرالدين شرف الدين، دار الكاتب العربي- بيروت.
- مدخل لدراسة مصطفى صادق الرافعي: الدكتور عبدالقادر القط، ضمن كتاب جامع لكتب الرافعي (رسائل الأحزان والسحاب الأحمر وأوراق الورد)، الشركة العالمية للنشر (لونجمان)- مصر، 1994 م.
- مصطفى صادق الرافعي أديباً إسلاميّاً، الدكتور إبراهيم عوضين، مطبعة السعادة- القاهرة، الطبعة الأولى، 1411 هـ = 1990م.
- مصطفى صادق الرافعي الناقد والموقف: إبراهيم الكوفحي، دار البشير بعمَّان ومؤسسة الرسالة ببيروت، الطبعة الأولى 1418 هـ = 1997 م.
- مصطفى صادق الرافعي حياته وأدبه ومعاركه الأدبية ومنطلقاته: عبداللطيف سعيد، جامعة أفريقيا العالمية، مركز البحوث والدراسات الأفريقية- السودان، 2009م.
- مصطفى صادق الرافعي حياته وأدبه: حسنين حسن مخلوف، كتاب الهلال (20)، دار الهلال- مصر، 1396 هـ.

- مصطفى صادق الرافعي رائد الرمزية العربية المطلة على السوريالية: الدكتور مصطفى الجوزو، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، الطبعة الأولى 1405 هـ = 1985 م.
- مصطفى صادق الرافعي شاعراً وناثراً بين الكلاسيكية والرومنطيقية: مصطفى الصيد، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- تونس.
- مصطفى صادق الرافعي فارس الكلمة تحت راية القرآن: الدكتور محمد رجب البيومي، دار القلم- دمشق، سلسلة أعلام المسلمين، الطبعة الأولى 1417 هـ = 1997م.
- مصطفى صادق الرافعي كاتباً عربيّاً ومفكراً إسلاميّاً: الدكتور مصطفى الشكعة، الدار المصرية اللبنانية- مصر، الطبعة الثالثة- والطبعة الأولى 1419هـ = 1999 م.
- مصطفى صادق الرافعي ناقداً: الدكتور محمود علي السمان، دار التضامن- القاهرة، 1985م.
- مصطفى صادق الرافعي وتفسير الخطاب القرآني: الدكتور إبراهيم الكوفحي، منشور ضمن أعمال المؤتمر الدولي (الخطاب العربي عند منعطف القرن الواحد والعشرين)، الذي عقد في كلية الآداب بجامعة طنطا، في الفترة من 2-3 مايو 2006 .
- مصطفى صادق الرافعي: الدكتور كمال نشأت، سلسلة أعلام العرب (81)، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ودار الكاتب العربي للطباعة والنشر- القاهرة، نوفمبر 1968 م.
- مصطفى صادق الرافعي: فؤاد حمدو الدقس، مراجعة أحمد عبدالله فرهود، ضمن سلسلة شخصيات أدبية، دار القلم العربي بحلب- سوريا، الطبعة الأولى 1418 هـ = 1997م.

- مصطفى صادق الرافعي: محمود محمد سالم، دار الفكر العربي– القاهرة، 1965م، سلسلة (شخصيات لها تاريخ).
- مع الرافعي الكاتب: الدكتور عمر الدسوقي، مطبعة جامعة القاهرة، 1388 هـ = 1969 م.
- معركة الشعر الجاهلي بين الرافعي وطه حسين: بحث موضوعي مفصل، الدكتور إبراهيم عوض، مطبعة الفجر الجديد– القاهرة، 1987م.
- مفهوم الحب عند الرافعي: ياسر عبدالرحيم، مجلة التراث العربي– سوريا، جمادى الآخرة 1422 هـ، العدد (83–84).
- مفهوم الشعر عن الرافعي والعقاد (دراسة تحليلية): صدقي، حامد، فشي، مجلة إضاءات نقدية في الأدبين العربي والفارسي– إيران، صيف 1392 هـ، السنة الثالثة، العدد (10).
- المقتبس من وحي القلم: خليل الهنداوي، مكتبة الشهباء– سوريا.
- من أدب الرافعي ومعاركه: الدكتور عباس بيومي عجلان، دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية – مصر، 1989م.
- المنهج المدرسي لتعليم البنات عند مصطفى صادق الرافعي: إبراهيم محمد المتولي عطا، مؤتمر الرافعي بكلية التربية– جامعة طنطا.
- نثر الرافعي: محمد الأخضر بن مسعود، المكتبة الشرقية– الجزائر، 1387 هـ = 1968م.
- نحو أدب إسلامي معاصر: مصطفى صادق الرافعي والاتجاهات الإسلامية في أدبه: الدكتور علي عبدالحليم محمود، جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض– السعودية، 1395هـ.

ثانياً: الرسائل العلمية (مرتبة تاريخيّاً)

- نشر مصطفى صادق الرافعي (ماجستير): أمين سعيد المبروك بن مسعود، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1962م.
- مصطفى صادق الرافعي الشاعر (ماجستير)، مصطفى نعمان البدري، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، 1967م.
- مصطفى صادق الرافعي الناقد الأديب: طه عبدالرحيم عبدالبر، كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر– القاهرة، 1967م.
- الرافعي ناقداً (أثر القرآن في أدب الرافعي): حسن عبدالقادر عبدالدايم، (رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، 1969م.
- الرافعي الكاتب بين المحافظة والتجديد، (دكتوراه)، الدكتور مصطفى نعمان البدري، جامعة القاهرة، 1974م.
- مصطفى صادق الرافعي ومكانته في الأدب العربي في القرن العشرين (دكتوراه)، أرول أي يلديز، جامعة مرمرة، تركيا، 1977م.
- مدرسة الرافعي في الأدب الحديث (دكتوراه): محمود محمد محمد لبده، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، 1978 م.
- القضايا الفنية والفكرية في أدب الرافعي (دكتوراه): أحمد جاد صالح، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، 1978 م.
- مصطفى صادق الرافعي واللغة (ماجستير): صلاح الدين عبدالرحمن، كلية اللغة العربية، بالقاهرة، جامعة الأزهر 1987م.
- الجانب الديني في أدب الرافعي (ماجستير): نجاة محمد عبدالماجد العباسي، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى1982م.

- معارك مصطفى صادق الرافعي التعليمية وأثرها في الأدب والشعر (دكتوراه): محمد عزت أحمد، كلية اللغة العربية بأسيوط، جامعة الأزهر، 1983م.
- مصطفى صادق الرافعي شاعراً (ماجستير): محمد إسماعيل عبدالحميد إسماعيل، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، 1984م.
- مصطفى صادق الرافعي: حياته وأدبه (دكتوراه)، فهد بن عبدالله الأطرم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1407 هـ = 1987م.
- الجهود البلاغية في مجال الإعجاز القرآني في العصر الحديث (ماجستير): أحمد محمد غريب، كلية الآداب جامعة سوهاج– مصر، 1409 هـ = 1989م.
- جهود الرافعي النقدية (ماجستير): إبراهيم الكوفحي، جامعة اليرموك، إربد– الأردن، سنة 1992م.
- المرأة في أدب الرافعي (ماجستير): مها عبدالستار السطوحي، كلية الألسن، جامعة عين شمس، 1992م.
- الجانب الديني في نثر الرافعي (ماجستير): سعاد صالح عبدالمطلب، كلية الألسن، جامعة عين شمس، 1993م.
- الصورة البيانية عند مصطفى صادق الرافعي (دكتوراه): نور الهدى محمد عامر، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، جامعة الأزهر 1996م.
- رباعية الرافعي في الحب والجمال.. دراسة أسلوبية (دكتوراه): مصطفى محمد أبو طاحون، كلية الآداب بجامعة المنوفية، 1999م.

- كتابات مصطفى صادق الرافعي وأثرها في الدعوة (دكتوراه): المنيب محمد عبداللطيف إبراهيم، كلية أصول الدين والدعوة بالقاهرة، جامعة الأزهر، 1999م.
- بناء الجملة عند مصطفى صادق الرافعي من خلال كتابه أوراق الورد (ماجستير): عادل بانعمة، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية عام 1421هـ = 2000م.
- الرؤية الجمالية عند الرافعي (ماجستير): ياسر عبدالرحيم، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة حلب، 2000م.
- فن الرسائل عند مصطفى صادق الرافعي.. دراسة تحليلية فنية (دكتوراه): خليفة محمد إبراهيم، كلية اللغة العربية، بالقاهرة، جامعة الأزهر 2002م.
- تركيب الجملة في نثر الأديب مصطفى صادق الرافعي (ماجستير): أحمد محمد حسين أحمد، كلية الآداب جامعة المنيا، 1424 هـ = 2003م.
- الصورة الفنية في أدب الرافعي النثري (دكتوراه): أحمد عبدالعزيز عواد، كلية الآداب، جامعة المستنصرية بالعراق، 2007م.
- النثر الفني بين مصطفى صادق الرافعي ومحمود محمد شاكر، دراسة موازنة (ماجستير): آمال محمد السيد عبدالغيث، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، سوهاج، جامعة الأزهر 2008م .
- أساليب التوكيد في أدب الرافعي دراسة نحوية دلالية (ماجستير): فاطمة حسين السيد حسين، كلية دار العلوم- جامعة القاهرة، 1430 هـ = 2009م.
- التراكيب البلاغية في الجزء الثالث من كتاب (وحى القلم) لمصطفى صادق الرافعي (ماجستير): شيماء محمد عبدالرحيم، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، بالقاهرة، جامعة الأزهر، 2010م.

- الجمال في أدب الرافعي (ماجستير): محمود شاكر خيون، كلية الآداب بالجامعة العراقية، 2012م.
- المضامين التربوية في كتابات مصطفى صادق الرافعي.. دراسة تحليلية ناقدة (ماجستير): عبدالرحمن أحمد عبدالفتاح أحمد، كلية التربية بجامعة الأزهر بالقاهرة، 1433 هـ = 2012م.
- شعرية الكتابة النثرية عند مصطفى صادق الرافعي (دكتوراه): سعيد فرغلي حامد علي، كلية الآداب جامعة أسيوط، 1434 هـ = 2013م.
- الواقعية في شعر الرافعي.. دراسة تحليلية (ماجستير): نهال عبدالناصر عزيز الدين بسيوني، كلية الآداب جامعة كفر الشيخ، 1435 هـ = 2014م.
- النقد الأدبي عند الرافعي (ماجستير): أحمد الحميد، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة دمشق.

ثالثاً: مراجع عامَّة

- الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر: الدكتور عبدالقادر القط، مكتبة الشباب– القاهرة، 1980م.
- الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر: الدكتور محمد محمد حسين، مكتبة ابن تيمية– القاهرة، الطبعة الأولى، 1429 هـ= 2008م.
- الأدب الحديث تاريخ ودراسات: محمد بن سعد بن حسين، مطابع الفرزدق التجارية– الرياض، الطبعة الخامسة 1411هـ – 1991م.
- الأدب الحديث تاريخ ودراسات، الدكتور محمد بن سعد بن حسين، مطابع الفرزدق التجارية– الرياض، الطبعة الخامسة 1411هـ – 1991م.

- الأدب العربي المعاصر في مصر: الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف- مصر، الطبعة الخامسة.
- الأدباء الخمس: عبدالحميد إسماعيل، المطبعة المصرية، 1940م.
- أدباء معاصرون: إسماعيل أحمد أدهم، المؤلفات الكاملة، الجزء الأول، تحرير وتقديم: أحمد إبراهيم الهواري، دار المعارف- القاهرة، الطبعة الثانية 1985م.
- الأسلوب؛ دراسة لغوية إحصائية: سعد مصلوح، دار البحوث العلمية- بيروت، 1980م.
- الأعلام الشرقية في المئة الرابعة عشرة الهجرية: زكي محمد مجاهد، دار الغرب الإسلامي- بيروت، الطبعة الثانية 1994م.
- الأعلام: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين- بيروت، الطبعة الخامسة عشر- مايو 2002م.
- البلاغة والأسلوبية: الدكتور محمد عبدالمطلب، ضمن سلسلة أدبيات، مكتبة لبنان ناشرون- بيروت، 1994م.
- تاريخ الشعر العربي الحديث: أحمد قبش، دار الجيل- بيروت، 1971م.
- تراجم الأدباء العرب: خلدون الوهابي، نشره ووقف على تصحيحه إبراهيم العلوي، وزارة المعارف العراقية- بغداد، 1382 هـ = 1962م.
- تراجم علماء طرابلس وأدبائها: عبدالله حبيب نوفل، مكتبة السائح- لبنان، 1984م.
- تطور الأدب الحديث في مصر من أوائل القرن التاسع عشر إلى قيام الحرب الكبرى الثانية، دار المعارف- مصر، الطبعة الأولى.
- الحوار الأدبي حول الشعر: الدكتور محمد أبو الأنوار، مكتبة الآداب-

مصر، الطبعة الأولى، 1428 هـ = 2007م.

- الخالدون من أعلام الفكر: أحمد الشنواني، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع- القاهرة، الطبعة الأولى 2007م.
- شخصيات أدبية: الدكتور أحمد هيكل، دار غريب للطباعة والنشر- مصر.
- صفحات مجهولة من الأدب العربي المعاصر، أنور الجندي، مكتبة الأنجلو- مصر، الطبعة الأولى 1979م.
- فصول في الثقافة: الدكتور فاروق صالح باسلامة، مطابع شركة دار العلم- السعودية، الطبعة الأولى 1406هـ1986-م.
- فن المقال في الأدب المصري الحديث: الدكتور أحمد حنطور، مكتبة الآداب- مصر، الطبعة الأولى، 1429هـ = 2008م.
- مدرسة البيان في النثر الحديث: الدكتور حلمي القاعود، دار الاعتصام- القاهرة.
- المساجلات والمعارك الأدبية في مجال الفكر والتاريخ والحضارة، مكتبة الآداب- القاهرة، الطبعة الثانية، 1429 هـ = 2008م.
- مصادر الدراسة الأدبية: يوسف أسعد داغر، منشورات الجامعة اللبنانية 1961م.
- مطالعات وذكريات: العوضي الوكيل، المكتبة الثقافية، العدد (284)، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، 1972م.
- مع الأدباء: يوسف الشاروني، المجلس الأعلى للثقافة- القاهرة.
- المعارك الأدبية في مصر منذ 1914- 1939م، مكتبة الأنجلو- مصر، 1983م.

- معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002م: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية– بيروت، 1424 هـ = 2002م.
- معجم المطبوعات العربية والمعربة: يوسف سركيس، مطبعة سركيس– مصر، 1346 هـ – 1928م.
- معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة. معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي– بيروت.
- مي زيادة وعشاقها الأدباء: الدكتور أحمد الطويلي، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، 2003م.
- النص الأدبي، دراسات أسلوبية إحصائية: الدكتور سعد عبدالعزيز مصلوح، عالم الكتب– القاهرة، الطبعة الثالثة 1422هـ– 2002م.
- هؤلاء عرفتهم: عباس خضر، سلسلة اقرأ، العدد 485، مارس 1983م، دار المعارف– مصر.
- هؤلاء ورحلة الذكريات: مأمون غريب، مكتبة مصر- القاهرة.

الفعاليات العلمية

- مؤتمر كلية التربية بجامعة طنطا بمصر في الفترة من 1986/12/28 حتى 1987/1/1م.
- الملتقى الأدبي الأول لرابطة الأدب الإسلامي بالقاهرة عن الأديب مصطفى صادق الرافعي في الفترة من 27–28 ذو الحجة 1424 هـ = 18–19 فبراير 2004م.
- احتفالية ذكرى مصطفى صادق الرافعي، ساقية الصاوي، القاهرة، مايو 2009م.


جمعية الرافعي للثقافة والأدب
ترحب برجال الأدب والعلم والإعلام
في ذكرى أديب العربية
مصطفى صادق الرافعي

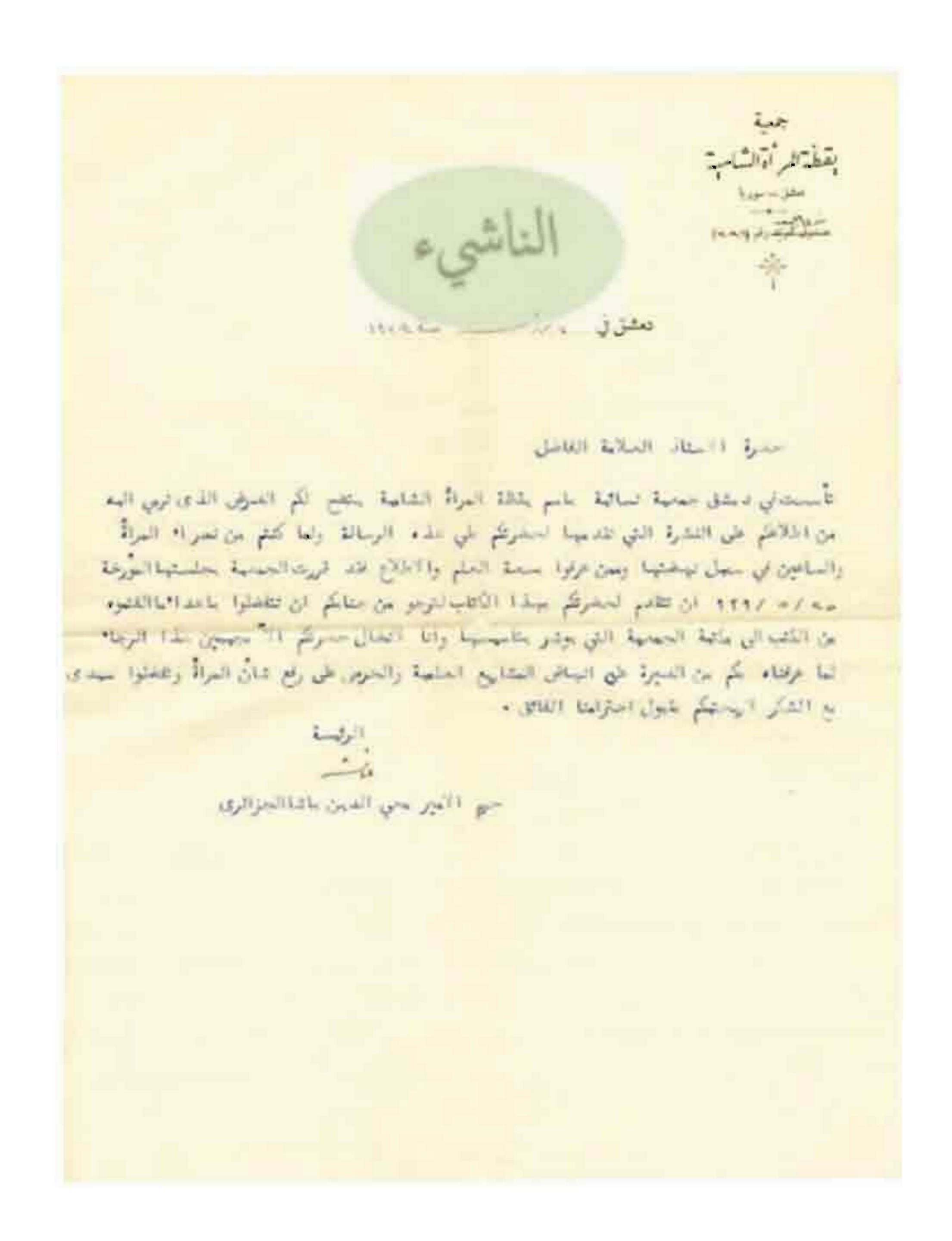


مصطفى صادق الرافعي

من متوظفي الحكومه الخديويه

Moustapha Sadek el Rafy

Employé au Gouvernement Egyptien



جمعية

يقظة المرأة الشامية

دمشق – سوريا

دمشق في [illegible] سنة ١٩٢٩

حضرة الأستاذ العلامة الفاضل

تأسست في دمشق جمعية نسائية باسم يقظة المرأة الشامية بحكم الغرض الذي ترمي إليه من الاطلاع على النشرة التي تقدمها لحضرتكم طي هذه الرسالة ولما كنتم من نصراء المرأة والساعين في سبيل نهضتها وممن عرفوا بسعة العلم والاطلاع فقد قررت الجمعية بجلستها المؤرخة [illegible] / ١٩٢٩ أن تتقدم لحضرتكم بهذا الكتاب لترجو من جنابكم أن تتفضلوا بإهداء ما [illegible] من الكتب إلى مكتبة الجمعية التي [illegible] وإنا [illegible] حضرتكم [illegible] هذا الرجاء لما عرفناه لكم من الغيرة على إنجاح المشاريع العلمية والحرص على رفع شأن المرأة وتفضلوا سيدي مع الشكر [illegible] بقبول احترامنا الفائق.

الرئيسة

[illegible]

حرم الأمير محي الدين باشا الجزائري



فقيد الأدب العربي
مصطفى صادق الرافعي

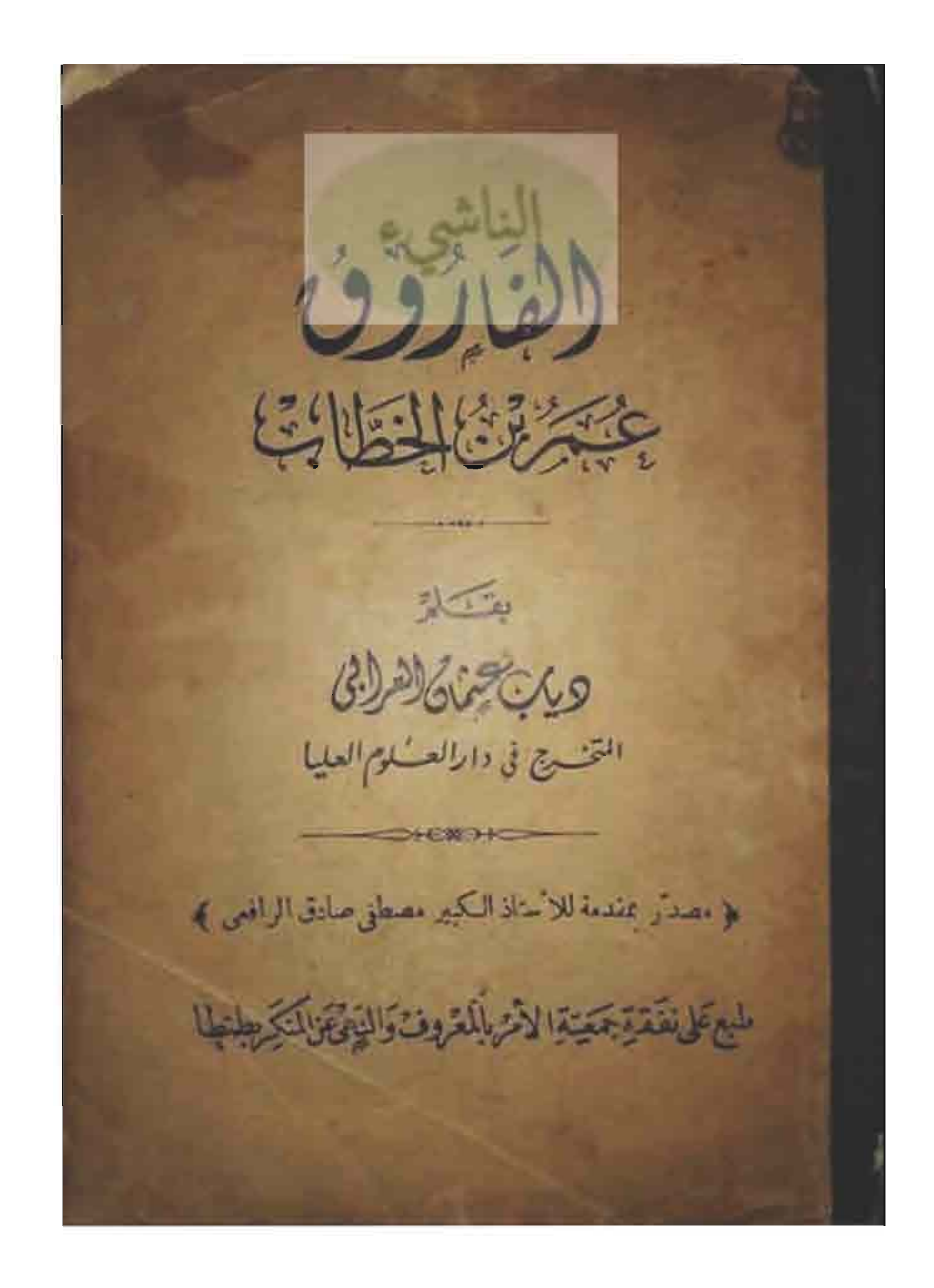
فقد الأدب العربي بوفاة «مصطفى صادق الرافعي» يوم ١٠ الجاري ، علما من أعلامه ، وكاتبا من أكبر كتابه . فقد كان داعية شديد الحماسة لإعلاء شأن العربية ، والتمسك بها وبعلومها وآدابها ، وكان الفقيد مدرسة وحده . له طابعه الخاص . يجد طلابه في انتاجه مادة غزيرة ينهلون منها . .

وكان الفقيد قد كتب في زميلتنا «الدنيا» منذ شهرين كلمة تحت عنوان : «بعد الموت ماذا أريد أن يقال عني» جاء في ختامها ما يأتي :

« وكل كلمة دعاء ، وكلمة ترحم ، وكلمة خير .

ذلك هو ما تذوقه الروح من حلاوة هذه الثمرة »

تغمد الله الفقيد برحمته ، وأدخله فسيح جناته





ديوان الأوقاف الخصوصية الملكية

قسم مراقبة التسليم

(مطلوب الرد)

حضرة الاستاذ مصطفى صادق الرافعي افندى

بناء على الالتماس المقدم منكم بشأن نجلكم محمد سمير الرافعي افندى عضو بعثة الديوان بفرنسا

نفيد حضرتكم أنه للمرة الأخيرة قد وافق الديوان على صرف مرتب شهرى يناير وفبراير سنة ١٩٣٥ اليه فقط وبعد ذلك لا يقبل أى طلب مهما كانت أسبابه

وتفضلوا تحياتنا !!

٤ من فبراير سنة ١٩٣٥

ARRISSALAH

الرسالة

أخي الأستاذ الجليل


144

Avril

دمشق

حضرة الاستاذ العلامة الفاضل

الرئيسة

تأبين صادق الرافعي

تأليف اللجنة العامة

تألفت لجنة تأبين فقيد العروبة العظيم المرحوم السيد مصطفى صادق الرافعي رئيس فرع رابطة الشباب العربي بطنطا من حضرات السادة الاجلاء الدكتور محمد حسين هيكل بك الرئيس العام للرابطة والدكتور منصور فهمي بك والاستاذ محمد مسعود بك وميرزا مهدي رفيع مشكي بك وعبد الرحمن الرافعي بك وفضيلة السيد الميرغني الادريسي والدكتور زكي مبارك والاستاذ ابراهيم دسوقي اباظه والاستاذ محمد احمد جاد المولى بك والاستاذ سامي السراج بك والاستاذ فؤاد صروف والاستاذ احمد حسن الزيات والاستاذ ابراهيم عبد القادر المازني والدكتور ابراهيم ناجي والاستاذ الساعي بيومي والاستاذ عبد المجيد نافع المحامي و لاستاذ يوسف احمد وفضيلة الشيخ ابراهيم اطفيش والاستاذ جميل الرافعي وستوالي اللجنة اجتماعها لاعداد ما يلزم لاقامة الحفلة على ان ترسل جميع القصائد في مصر والشرق بعنوان الرابطة بعابدين ، مراقب الرابطة

يوسف احمد

صادق الرافعي

في ذمة الله

يرى القراء في الصفحة الثامنة خبر وفاة الأديب الكبير المرحوم مصطفى صادق الرافعي الذي خسر الأدب المصري بفقده علما من أشهر أعلامه وكاتبا من أجل كتاب العربية خدمها خدمات متوالية جليلة لاشك أنها تذكرها له بعرفان الجميل وبالذكرى الطيبة

كان الفقيد الأديب مدرسة من مدارس الأدب العربي يجد طلابه في انتاجه مادة غزيرة ومنهلا عذبا ظلوا يرتشفون منه غذاء عقليا مستمرا ويرون فيه داعية شديد الحماسة لاعلاء شأن العربية وللتمسك بها وبعلومها وبآدابها طالما شهر قلمه للدفاع عنها والدعوة لها وكانت مؤلفاته الجليلية نبراسا لهؤلاء الطلاب طالما اعترف لها بالفضل العميم ومن هؤلاء المرحوم الامام الشيخ محمد عبده والمغفور له سعد زغلول باشا الذي قال عن كتابه اعجاز القرآن « كأنه تنزيل من التنزيل »

رحم الله هذا الاديب الكبير والهم آله واصدقاءه وعارفي فضله وطلاب أدبه الصبر في فقده

المصادر والمراجع

أولا: الكُتب

الأب أنستاس ماري الكرمليُّ: حياته ومؤلفاته: كوركيس عواد، مطبعة العاني ببغداد 1386هـ - 1966م.

- الأعلام: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين- بيروت، الطبعة الخامسة عشرة- مايو 2002 م.
- أعجب العجب من أحوال العرب في ماضيهم المنيف وحاضرهم المخيف أو مظاهر رضا الجبار عنهم وغضب القهار عليهم، في عظيم سيرتهم الغابرة وأليم حالتهم الحاضرة: السيد عبد الحقّ حقّي الأعظميُّ البغداديُّ.
- أعلام الأدب في العراق الحديث: مير بصرى، دار الحكمة - لندن، الطّبعة الأولى ١٤١٥-١٩٩٩م.
- أقرب الموارد في فصح العربيَّة والشّوارد: سعيد الخوري الشّرتونيُّ، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشيُّ النجفيُّ، قم - إيران.
- البيان والتّبيين: أبوعثمان الجاحظ، تحقيق وشرح عبدالسّلام هارون، تقديم الدكتور عبدالحكيم راضي، سلسلة الذّخائر 85 الهيئة العامَّة لقصور الثّقافة - مصر.
- تاريخ آداب العربية، ضبط وتقديم الدكتور محمد علي سلامة، دار الصّحوة، الطّبعة الأولى للنّاشر، 1429 هـ = 2008م.
- تأريخ علماء بغداد في القرن الرّابع عشر الهجريّ: يونس الشّيخ إبراهيم السّامرّائي، مطبعة وزارة الأوقاف والشّئون الدّينيَّة سنة ١٤٠٢-١٩٨٢.
- تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العُشّاق: داود الأنطاكيُّ، المطبعة الأزهريَّة المصريَّة، الطّبعة الثّانية 1319هـ.
- الحديقة: محبُّ الدّين الخطيب، العدد الثّامن، أول سبتمبر 1930م،
- حياة الرّافعيّ: محمد سعيد العريان، المكتبة التّجاريَّة الكبرى، القاهرة، الطّبعة الثّالثة 1375 هـ - 1955م.
- خزانة الأدب ولبُّ لباب لسان العرب: عبدالقادر بن عمر البغداديُّ، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطّبعة الرّابعة، 1418 هـ = 1997م.
- الخصائص: ابن جِنّيٍّ، تحقيق محمد علي النّجّار، طبعة الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب.
- دراسات أدبية، الدكتور ماهر شفيق فريد، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006م.
- ديوان أبي النّواس، طبع على نفقة لُطْفُ الله الزّهار، مطبعة جمعة الفنون 1301هـ.
- ديوان إسماعيل صبري (أبو أميمة) الذي حقّقه الدّكتور محمد القصّاص وآخرون، دار إحياء التّراث العربيِّ، بيروت - لبنان.
- ديوان إسماعيل صبري باشا: صحّحه وضبطه وشرحه ورتّبه الأستاذ أحمد الزّين، لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر 1357 هـ - 1938م.
- ديوان الشّريف الرّضيّ، جمع أبي حكيم الخبريّ، تحقيق الدكتور عبدالفتاح الحلو، سلسلة التّراث 60، وزارة الإعلام العراقيَّة.
- ديوان الصّبابة: شهاب الدّين ابن أبي حجلة، الباب السّابع والعشرون، نسخةٌ محفوظةٌ بدار الكُتب المصريَّة تحت رقم 135/3.

- ديوان بشار بن برد: جمعه وحقَّقه وشرحه الطَّاهر ابن عاشور، طبعة وزارة الثَّقافة الجزائريَّة 2007م.
- ديوان شيخ شعراء العربيَّة أبي الطَّيب المتنبِّي: الدكتور عبدالمنعم خفاجي وآخرون، مكتبة مصر، القاهرة.
- ديوان كثير عزة: تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة ببيروت، 1391هـ – 1971م.
- ذكرى فقيد الوطن المغفور له أمين بك الرَّافعيِّ، في الذكرى الأولى لوفاته، إعداد الأستاذ محمد صادق عنبر، مطبعة النَّهضة، مصر، الطَّبعة الأولى 1347 هـ = 1928م.
- رسائل الجاحظ، تحقيق عبدالسَّلام هارون، مكتبة الخانجي، 1384 هـ – 1964م.
- رسائل الرَّافعيِّ: محمود أبو ريَّة، الدار العمرية، دون تاريخ.
- زهر الآداب وثمر الألباب: الحُصريُّ القيروانيُّ، تحقيق علي محمد البجاويُّ، سلسلة الذَّخائر 216، الهيئة العامَّة لقصور الثَّقافة، مصر 2013م.
- ساعات من حياتي: طاهر الطَّناحيُّ، الدَّار المصريَّة للتَّأليف والتَّرجمة، القاهرة، يونيو 1966.
- السَّحاب الأحمر ورسائل الأحزان وأوراق الورد، طبعة خاصة جمعت الكتب الثَّلاثة، تقديم أ.د عبد القادر القط، الشَّركة المصريَّة العالميَّة للنَّشر، لونجمان، الطَّبعة الأولى 1994م.
- سِرُّ الفصاحة: ابن سنان الخفاجيُّ الحلبيُّ، دار الكتب العلميَّة، الطَّبعة الأولى 1402هـ=1982م.
- شرح أدب الكاتب: أبومنصور موهوب بن أحمد الجواليقيُّ، دار القدسيِّ، القاهرة، ط 1350هـ.
- شرح ديوان أبي تمام للخطيب التِّبريزيِّ 82/1، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه راجي الأسمر، دار الكتاب العربيِّ بيروت، الطَّبعة الثَّانية 1414 هـ = 1994م.
- الشِّعر والشُّعراء: أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدِّينوريُّ، دار الحديث، القاهرة 1423هـ.
- الشُّعراء السُّود وخصائصهم في الشِّعر العربيِّ: الدكتور عبده بدوي، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب 1988م.
- الصُّبح المُنْبي عن حيثية المتنبِّي: الشَّيخ يوسف البديعيُّ، تحقيق مصطفى السَّقا وآخرين، دار المعارف، الطَّبعة الثَّالثة.
- العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومَن عاصرهم من ذوي الشَّأن الأكبر: ابن خلدون، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطَّبعة الثَّانية، 1408 هـ = 1988م.
- الفاروق عمر بن الخطَّاب: دياب عثمان العُرابي، نشر بالمطبعة اليُوسُفية بطنطا على نفقة جمعية الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، 1934م.
- الفهرست: ابن النديم، تحقيق أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتُّراث الإسلاميِّ، لندن 1430هـ – 2009م.
- الكامل في اللغة: أبوالعباس المبرِّد، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، دار الفكر العربيِّ – القاهرة، الطَّبعة الثَّالثة 1417هـ = 1997م.
- الكتاب: سيبويه، تحقيق عبد السَّلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطَّبعة الثَّالثة 1408 هـ – 1988م.
- كنايات الأدباء وإشارات البلغاء: القاضي أبوالعباس أحمد بن محمد الجُرْجانيُّ، تحقيق الدُّكتور محمود شاكر القطَّان، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب ٢٠٠٣م.
- اللُّزوميَّات: أبو العلاء المعرِّيِّ، مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة الهلال ببيروت، تحقيق أمين عبدالعزيز

الخانجي، تقديم الأديب الأستاذ كامل كيلاني.

- لسان العرب: ابن منظور الإفريقيّ، دار صادر، بيروت، الطّبعة الثّالثة، 1414هـ.
- محاضـرات الأُدباء ومحاورات الشُّعراء: والبلغاء للرّاغب الأصفهانيّ طبعة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الأولى 1420هـ.
- مسرحية مجنون ليلى: أحمد شوقي، مؤسسة هنداوي للتّعليم والثّقافة، القاهرة.
- المفصّـل في صـنعة الإعراب: جار الله الزّمخشريّ، تحقيق الدكتور علي بو ملحم، مكتبة الهلال بيروت، الطّبعة الأولى سنة 1993م.
- ملاحظاتٌ على القانون النّظاميّ: سعد زغلول باشا، فبراير 1919م في مطبعة الصّباح بالقاهرة.

ثانياً: الصحف والمجلات

- أبولّو (مجلة)، العدد الثامن، 6 ذو الحجة 1351 هـ = 1 أبريل 1933م.
- الأهرام، العدد 14252، السّبت 6 جمادى الثّانية 1343 هـ = 12 يناير 1924.
- الأهرام، العدد 14680بتاريخ 27 مايو 1925م.
- البلاغ (صحيفة)، 27 ذو الحجة 1451 هـ = 23 مارس 1933م.
- البلاغ، 22 ذو القعدة، 1351 هـ = 18 مارس 1933م.
- البلاغ، 23 ذو القعدة، 1351 هـ = 19 مارس 1933م.
- البلاغ، 23 ذو القعدة، 1351 هـ = 19 مارس 1933م.
- الرّسالة (مجلة)، السّنة الرّابعة، العدد 149، 20 صفر 1355 هـ = 11 مايو 1936م.
- الرّسالة ، السّنة الخامسة، العدد 203، 14 ربيع الأوّل 1356 هـ = 24 مايو 1937م.
- الرّسالة، السّنة السّادسة، العدد 281، 29 رمضان 1357 هـ = 21 نوفمبر 1938م.
- الرّسالة، السّنة العاشرة. العدد 482، بتاريخ 17 رمضان 1361 هـ = سبتمبر 1942م.
- الرّسالة: العدد 484، السّنة العاشرة، الاثنين 2 شوال 1361هـ = 12 أكتوبر 1942م.
- الرّسالة ، السّنة الرّابعة عشرة، العدد 679، 9 شعبان 1365 هـ = 8 يوليو 1946م.
- الرّسالة، السّنة السّادسة عشرة، العدد 800، 29 ذو الحجة 1367 هـ = 1 نوفمبر 1948م.
- سركيس (مجلة)، العدد الثّاني، السّنة الخامسة، 2 شوال 1327هـ.
- الفتح (مجلة)، أول فبراير 1930م.
- الفتح ، السّنة الرّابعة، العدد 186، 14 رمضان 1348 هـ = 13 فبراير 1930م.
- المقتطف (مجلة)، أغسطس 1919.
- المقتطف، سبتمبر 1919.
- المقتطف، مايو 1920.
- المقتطف، عدد مايو 1922م.
- المقتطف، المجلّد 61، الجزء الثّالث، 7 ذو الحجة 1340 هـ = 1 أغسطس 1922م.

- المقتطف، أغسطس 1923.
- المقتطف، العدد الثّالث، نوفمبر 1923م.
- المقتطف، ديسمبر 1923م.
- المقتطف، عدد مارس 1924.
- المقتطف، عدد أبريل 1925.
- المقتطف، مج 76/ ج 5، 2 ذو الحجة 1348 هـ = 1 مايو 1930م.
- المقتطف، المجلّد 77، ج2، 5 صفر 1349 هـ = 1 يوليو 1930م.
- المقتطف، المجلد 79، العدد الرابع، 21 رجب 1350هـ = 1 ديسمبر 1931م،
- المقتطف، عدد 5، ديسمبر 1936م.
- الهلال (مجلة) ، السنة الثّالثة والثّلاثون، الأول، 2 ربيع الأول 1343هـ = أول أكتوبر 1924م.
- الهلال، السّنة الثّالثة والثّلاثون، العدد 3، 4 جمادى الأولى 1343 هـ = 1 ديسمبر 1924م.

الكاتب في سطور

وليد عبدالماجد كساب.

كاتب وإعلامي مصري، من مواليد سنة 1976م.

لـه عـدة مؤلفات في النقـد والأدب والبلاغة القرآنية والسياسـة الشـرعية وغيرها من قضايا الفكر الإنساني.

عمل برابطة الجامعات الإسلامية مديراً لإدارة التنسيق والمتابعة وسكرتيراً لمجلتها (الجامعة الإسلامية) وجميع إصداراتها الأخرى.


العربية

الكتابة في الوقت الراهن عن الرافعي وأمثاله ممن تغيَّوا الحفاظ على هوية الأمة أمر واجب تحتمه الظروف الراهنة التي تعيشها أمتنا، وسط المحاولات الضارية التي تستهدف بنيانها من القواعد، إذ للرافعي خصوصية كبيرة بين كتاب عصره، وهو ما وضَّحه تلميذه محمد سعيد العريان بقوله: «فالرافعي أديب الخاصة، كان ينشئ إنشاءه في أي فروع الأدب ليضيف ثروة جديدة إلى اللغة تعلو بها وتعز مكاناً بين اللغات».

وهذا الكتاب يكشف عن بعض الحلقات المفقودة في المنجز النقدي للرافعي كما في مقالاته، مثل: حرفة الأدب، وإعجاز القرآن: نقد ظهرت أذنه، وكتاب ابن الرومي.. نقد وتحقيق، والشعر الفني في نظم شوقي بك، وكلها مقالات جديرة بالدراسة بإمكانها أن تُضيف الجديد إلى الرافعي ناقداً.